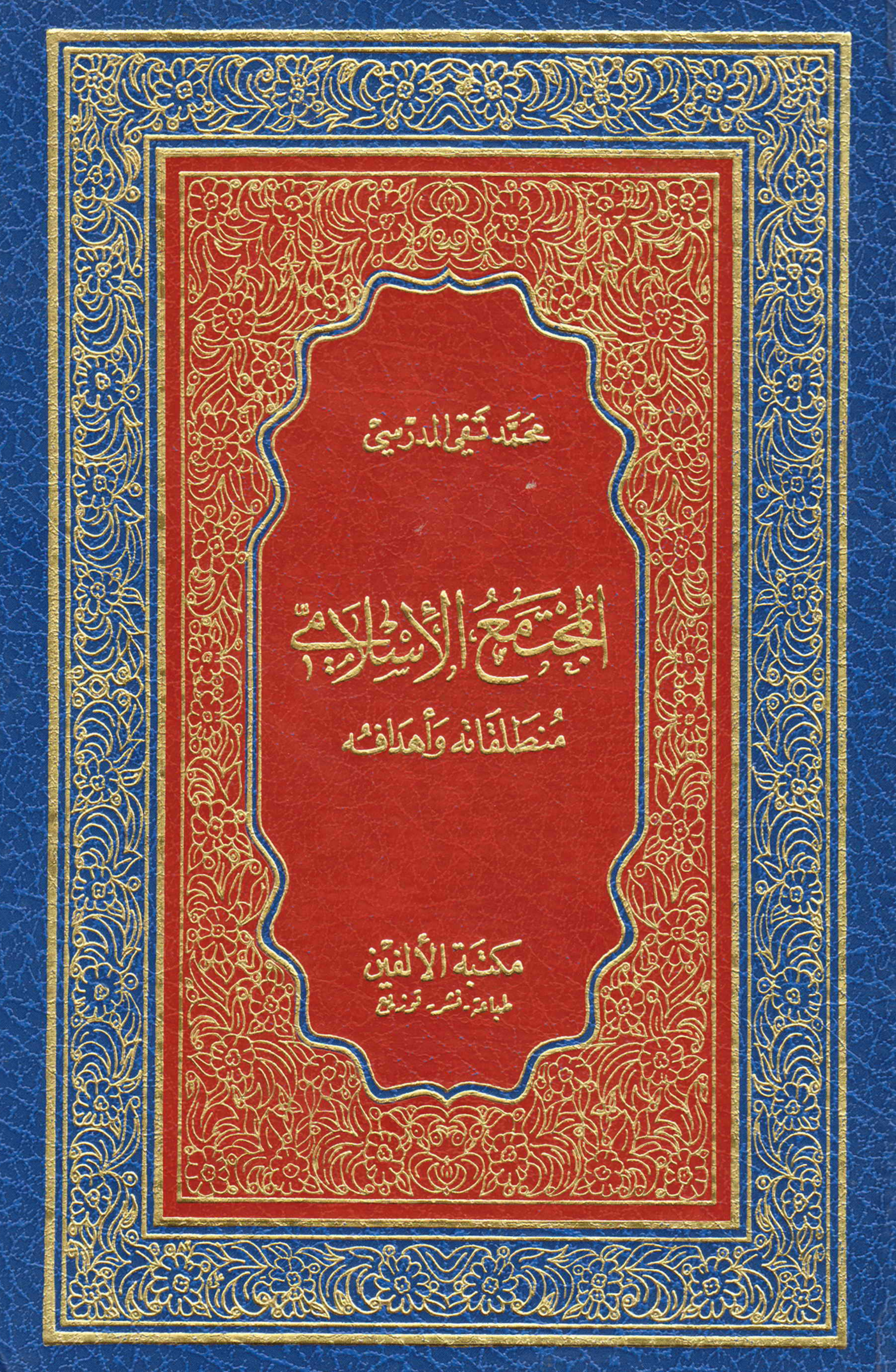

محمد تقي المدرسي
المجتمع الإسلامي
منطلقاته وأهدافه
مكتبة الألفين
طباعة - نشر - توزيع



المجتمع الإسلامي

المجتمع الإسلامي

مُنطلقاته وأهدافه

محمد تقي المدرسي

مكتبة الألفين

طباعة - نشر - توزيع

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

والحمدلله الذي ألزم المؤمنين كلمة التقوى .

والحمدلله الذي أرسل محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة ، محمد وعلى آله الهداة ، واصحابه المنتجبين ، وعلى من اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

تلك كانت سلسلة محاضرات القيتها في السنة الماضية . خلال وبعيد شهر الله المبارك . وقد قام الأخوة الكرام بعدئذ بجهد مشكور في كتابتها وتهيئتها للطباعة .

أما القضايا الأجتماعية التي تتحدث عنها المحاضرات فهي ليست مجرد بيان لأحكام الدين في المجتمع ، كما ليست بحوثا معمقة في المشكلة الاجتماعية . بل تتخذ بين ذلك سبيلا وسطا .

حيث سعينا نحو تحقيق ثلاثة اهداف في الاسلوب .

(١) ان يكون مفهوما لأكثرية قرائنا الكرام .

(٢) أن يحتوي على بيان موجز لحكمة الشرائع الاسلامية في قضايا المجتمع .

(٣) أن يعالج - عن كثب - أهم المشاكل التي تعاني منها أمتنا اليوم . وتستنبط الحلول الكافية لها من التعاليم الاسلامية .

واني اذ أقدم هذا الكتاب الى الأخوة المؤمنين - ارجو من زملائي اصحاب الفكر والقلم أن يجتهدوا اليوم في بلورة وصياغة الأفكار الاسلامية حسب حاجات الشعوب الاسلامية الناهضة .

ولا يتجاهلوا القضايا الاجتماعية في زحمة الاحداث السياسية الصاخبة .. لأن البنية الأجتماعية هي خلفية الظواهر السياسية ، والأقتصادية .

واسأل الرحمن ان يرزقنا : البصيرة في الدين ، والعزيمة في العمل .. والتقوى في المنهج ، والنصر في كل معاركنا الحضارية .. أنه مجيب الدعوات .

محمد تقي المدرسي

١٦ / ١١ / ١٤٠٢ هـ

٥ / ٩ / ١٩٨٢ م

الأنتماء الأجتماعي

١ـ العالم يبحث عن الاسلام.

٢ـ الانسان بين ارادة الفردو قانون المجتمع.

٣ـ المجتمع بين سبل السلام و اصرالاغلال.

٤ـ الاسلام و شرعية الانتماء الاجتماعي.



● العالم يبحث عن الاسلام

لماذا جاءت رسالات السماء ؟

وما هي اهدافها الحقيقية ؟

وكيف تستطيع ان تحقق هذه الاهداف ؟

وما هي المكاسب التي اعطتها للبشرية ؟

هذه اسئلة خالدة خلود الرسالات ، وهامة اهميتها ، وخطيرة بالنسبة الى حياة البشرية خصوصا في هذه المرحلة التي نعيشها حيث طغت المادية واخذت تهدد العالم كله بالفناء ، وهي تتطلع الآن الى الخلاص بصورة اكثر جدية من السابق لانه بقدر عظمة وخطورة المشاكل التي تحيط بالبشرية ، سيكون مدى تطلعها نحو الخلاص منها .

كنت بين النوم واليقظة في ليلة ما واذا بي اجد نفسي اردد هذه الكلمات (نجاة منك ياسيدي الكريم) فنهضت فزعا ، وقلت لنفسي ترى لماذا انا ارددها ؟ لم ادرك السبب وقتها ، ولكن عموم الاحداث التي تجري في العالم تشير الى الاجابة الصحيحة .

لقد كانت تلك قطعة من دعاء مأثور ،وهي تعني :

(يارب نطلب منك النجاة فأنت سيد ، وانت كريم).

الواقع ان على البشرية ان تدعو ليل نهار بهذا الدعاء ، لان الاخطار المحدقة بالبشرية كبيرة وعظيمة جدا ، سواء تلك التي تتجسد في الحروب ، او الاستغلال والاستعباد ، او في الرعب النووي الذي يخيم على رأس

البشرية جميعا . كل ذلك يدفعنا الى ان نلتمس الخلاص من الله سبحانه وتعالى ، ونكرر :

(نجاة منك ياسيدي الكريم)

الخلاص في رسالات السماء :

والنجاة موجودة وجاهزة في رسالات السماء التي يجب ان تفهم من جديد اذا اردنا ان تكون نجاة لنا من واقعنا الفاسد ، اما اذا اردنا ان نجعل الرسالات السماوية جزءا من واقعنا المتخلف ، ونفسرها حسب افكارنا التبريرية ونظراتنا التقليدية لها ، فسوف تكون غير ذات جدوى ، لانها تصبح آنئذ جزءا من وهم البشر وفكره القاصر ، وتكون بالتالي تغطية لفساد البشرية .

اننا اذا قررنا ان ننطلق من تقييمنا للرسالات السماوية من ادراك حقيقي ، وفهم اصيل لها ، فآنئذ سوف تكون الرسالة قادرة بالتأكيد على تغيير واقعنا الفاسد .

اذا علينا ان نعيد هذا السؤال :

لماذا جاءت الرسالات السماوية ؟

وما هي اهدافها ؟

وكيف تستطيع ان تحقق هذه الاهداف ؟

وما هي المكاسب التي اعطتها للبشرية والتي تستطيع الان ان تعطيها ومستقبلا ، اذا ارادت البشرية ذلك ؟

بكلمة ، الرسالات السماوية قادرة على ان تخلق الواقع السليم في بعدين :

البعد الاول : في ذات الانسان كفرد .

البعد الثاني: في كيان الانسان كمجتمع .

ان اكثر من نظر الى الاسلام والرسالات السماوية وفسّرها ، حاول ان يحمّلها هذه الفكرة وهي ان الرسالات السماوية تهتم بواقع الفرد اكثر من اهتمامها بواقع المجتمع .

ولا اعرف كيف ظهر هذا التفسير التحميلي ولماذا ؟

انني لا افهم الادلة الحقيقية على هذا التفسير الخاطىء ، ولكنني افهم الخلفية الواقعية له ،وهي فصل الدين عن الحياة ، والمجتمع حينما يرى الدين كمنهاج سلوكي شخصي يرتبط بالاحوال الشخصية والخلقيات الفردية ويفسر على اساس انه علاقة بين الانسان وبين الله ، او حسب تعبير (**وليم جيمس**) تجربة فردية للانسان بينه وبين خالقه .

انطلاقا من هذا التفسير الخاطىء للدين جاء التفسير الخاطىء ايضا لاهتمامات الدين واولوياته ، حيث يقول بان الدين اهتم بالبعد الاول ، وهو البعد الذي يسعى من اجل خلق واقع فردي للانسان . ونحن على ايماننا بأهمية هذا البعد ، وبأولويته الزمنية ، او بتعبير آخر بأنه البعد الذي يبدأ الدين به عمله في اللحظات الاولى من مواجهته للانسان ، فاننا نعتقد بأن الاولوية الاستراتيجية ، انما هي للبعد الثاني ، وهو خلق المجتمع الانساني الصالح .

امامنا الآن رسالة السماء متجسدة في القرآن الحكيم فهو لا يخاطب الفرد الا في آيات قليلة ولأسباب ادبية معينة ،فيقول مثلا :

﴿ يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ﴾

(٦/الانشقاق)

بوضوح ان البذرة الحية حينما تدفنها تحت التراب وتوفر لها فرصة النمو فأذا بها تستمد من اشعة الشمس ومن املاح الارض ومن قوة الاسمدة، المواد المفيدة لها وتحولها كلها في تركيبة واحدة ، وتوجهها باتجاه واحد وهو النمو ، فتتحول تلك البذرة الصغيرة الى شجرة كبيرة متكاملة ٠

اما البذرة الميتة فهي تبقى لتمتصها المواد المحيطة بها فتتحول بعد فترة الى تراب ٠

ما الفرق بين النطفة الحية والنطفة الميتة ؟

الفرق هو ان النطفة الميتة بعد مدة قصيرة تتحول الى لاشيء تذوب وتتفتت ، وتصير موادها الى الأشياء الاخرى بينما النطفة الحية ، بعد تسعة اشهر ، تتحول الى طفل وبعد عدة سنين تراه قد اصبح رجلا سويا ٠

لماذا كبرت هذه النطفة بينما تلك ذابت وتفتتت ؟

لان هذه حية وتلك ميتة ، واعتقد انه اصبح بذلك معنى الحياة في الطبيعة واضحا ٠

ثانيا: معنى الحياة في المجتمع ٠

نأتي الى معنى الحياة في المجتمع فنتساءل ،

ما هو المجتمع الحي ؟

وما هو المجتمع الميت ؟

ان الاجابة على هذا السؤال ، كفيلة بتوضيح قضايا كثيرة جدا في المجتمع البشري ، ومن ابرزها الحركات والثورات التي تشكل ظاهرة متميزة في تاريخ الانسانية ٠

المجتمع الحي هو تماماً كتلك البذرة الحية التي أشرنا اليها ، فهو يملك القدرة على ان يمتص من حوله

بوضوح ان البذرة الحية حينما تدفنها تحت التراب وتوفر لها فرصة النمو فأذا بها تستمد من اشعة الشمس ومن املاح الارض ومن قوة الاسمدة، المواد المفيدة لها وتحولها كلها في تركيبة واحدة ، وتوجهها باتجاه واحد وهو النمو ، فتتحول تلك البذرة الصغيرة الى شجرة كبيرة متكاملة .

اما البذرة الميتة فهي تبقى لتمتصها المواد المحيطة بها فتتحول بعد فترة الى تراب .

ما الفرق بين النطفة الحية والنطفة الميتة ؟

الفرق هو ان النطفة الميتة بعد مدة قصيرة تتحول الى لاشيء تذوب وتتفتت ، وتصير موادها الى الأشياء الاخرى بينما النطفة الحية ، بعد تسعة اشهر ، تتحول الى طفل وبعد عدة سنين تراه قد اصبح رجلا سويا .

لماذا كبرت هذه النطفة بينما تلك ذابت وتفتتت ؟

لان هذه حية وتلك ميتة ، واعتقد انه اصبح بذلك معنى الحياة في الطبيعة واضحا .

ثانيا: معنى الحياة في المجتمع .

نأتي الى معنى الحياة في المجتمع فنتساءل ،

ما هو المجتمع الحي ؟

وما هو المجتمع الميت ؟

ان الاجابة على هذا السؤال ، كفيلة بتوضيح قضايا كثيرة جدا في المجتمع البشري ، ومن ابرزها الحركات والثورات التي تشكل ظاهرة متميزة في تاريخ الانسانية .

المجتمع الحي هو تماماً كتلك البذرة الحية التي أشرنا اليها ، فهو يملك القدرة على ان يمتص من حوله

الامكانات المادية والبشرية ويذوّبها كلها في بوتقة واحدة ، ويعطيها التفاعل ويوجهها من أجل بناء الحضارة الانسانية التي تسير أبدا في اتجاه النمو والتكامل .

بينما المجتمع الميت يصبح مثل البذرة الميتة الموضوعة في الارض انه يفتقد خاصية الامتصاص والتفاعل والنمو ، وبالتالي سرعان ما يتفسخ ويتفتت ومن ثم يتلاشى .

امثلة على ذلك ..

هذا هو الفرق بين المجتمع الحي والمجتمع الميت ، ولنضرب امثلة عليها :

مجتمع رسول الله (ص) في مكة المكرمة لم يكن عدد افراده قبل الهجرة النبوية يزيد عن مائتي انسان مستضعف ، ولكنه بعد اقل من ربع قرن ، استطاع ان يحوّل المجتمعات الكثيرة المتواجدة في الجزيرة العربية ، الى مجتمع مسلم واحد ، ويذوّبها في هدفه .

واذا نظرت الى خريطة العالم ، لوجدت ان المسلمين وبعد قرن ونيّف من البعثة النبوية ، قد طرقوا غربا ، ابواب اوربا من ناحية شمال افريقيا ، وعبروا شرقا ، نهر السين واقتحموا الشرق الاقصى في آسيا . وقد استطاعوا ان يذوّبوا كل المجتمعات والحضارات التي كانت موجودة في هذه البقعة الشاسعة من الارض ، ويصبغوها بالصبغة الاسلامية ، ويخلقوا منها الامة الاسلامية الكبيرة وهذا هو مجتمع الحياة .

ومثل آخر هو المجتمع الاوربي ، فاوروبا بالنسبة الى العالم صغيرة المساحة ، وفقيرة من ناحية الامكانات الطبيعية ، ولكن هذا المجتمع الحيوي استطاع ان ينشر حضارته وفكره على العالم كله ويوجهه من باتجاهه الخاص .

فترى مثلا ألف مليون شخص صيني وهندي وعشرات الملايين من الناس من افريقيا وامريكا اللاتينية واستراليا كان يوجههم اربعون مليون فقط ، هم سكان جزيرة صغيرة تسمى بريطانيا • ويجب هنا ان ننبّه على وجود فارق كبير بين هذين المثالين ، فالمثال الاسلامي كانت صبغته الحق والعدل والتوافق مع السنن الطبيعية والبشرية ، بينما المثال الاوروبي على العكس من ذلك تماما • ووجه الشبه بينهما هو في الحيوية والفاعلية فقط •

واما المثال على المجتمع الميت ، فهو الامة الاسلامية اليوم ، والتي انقسمت الى وحدات صغيرة تسمى بالدول • كل دولة انطوت على نفسها وتجمّدت داخل حدودها ، مما ادّى بهذا المجتمع ذي الأمجاد التاريخية العظيمة الى ان يفقد شخصيته الاسلامية ، ويضعف ويتفسخ من الداخل ، ويصبح نهزة الطامعين ومذقة الشاربين ، وتتعرض ثرواته وخيراته للنهب ، وكرامته للسحق ،وليصبح اليوم مجتمعا متخلفا يخضع لسيطرة القوى الاجنبية العظمى توجهه كيف شاءت ، وتتلاعب بمقدراته أنّى يحلو لها •

واذا ما ظل على هذه الحال مدة زمنية أخرى ، فانه حتما سيتلاشى ويصبح من جملة القصص والاساطير التاريخية ، وتذهب حضارته التي تعب الأولون في بنائها هدرا •

هذا هو المجتمع الميت ، لأنه ليس لديه تطلع ولاهدف كما أنه يفتقر الى الحيوية •

والأن نصل الى أساس الحديث •

ما هو المجتمع الحيوي وكيف يمكن ايجاده ؟

وما هو عوامل موت المجتمع ؟

هناك آية قرآنية تصف المجتمع الحيوي المؤمن فتقول :

﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل ، كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ﴾ . (٢٩/الفتح)

ونلاحظ ان القرآن يذكرنا ، هنا بهذه الحقيقة بوضوح فيقول :

﴿ كزرع اخرج شطأه ﴾

من البداية تزرع ، البذرة الحية في باطن الارض ، وبعد فترة تتحول الى زرع يرتفع فوق سطح الارض

﴿ آخرج شطأه ﴾ ﴿ فآزره ﴾

اي وضع له الزارع عصا قائمة تسنده ، فاذا بهذا الشطء يستمد الضوء والماء ، والاملاح ، من البيئة المحيطة ، فيقوى .

﴿ فاستغلظ ﴾

﴿ فاستوى على سوقه ﴾

اي وقف على ساقه مستقلا .

﴿ يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾

بمعنى ، اخضرت الارض واينعت ، فالصديق معجب والعدو مغتاظ وحاقد .

ان هذه الآية تشير الى معنى الحياة والى عوامل الحياة في المجتمع المؤمن ، ونحن هنا نحاول ان نركز الضوء على صفة واحدة وهامة من صفات المجتمع الحيوي وهي :

ان المجتمع الحي هو ذلك المجتمع الذي تكون علاقات ابنائه ببعضه قائمة على اساس القيم السليمة ، والعمل الصالح ، فالعلاقات هي أهم شيء في تكوين المجتمع .

والمجتمع الذي تكون علاقاته قائمة على اساس العنصرية ، والأعتبارات العشائرية ، والمصالح المادية ، والاقليمية ، يكون كالجسد الميت الذي لا تلبث البكتريا والميكروبات الموجودة فيه ان تحلله وتفسخه وتحوله في مدة قصيرة الى تراب وعظام نخرة .

وأول سؤال نطرحه على انفسنا ،

ما هي صفة العلاقات الايمانية بين أبناء المجتمع المسلم ؟

ونترك الاجابة على هذا السؤال الهام الى الفصل القادم .



الانسان بين ارادة الفرد وقانون المجتمع

هناك ثلاث نظريات فيما يخص العلاقة بين الفرد والمجتمع :-

النظرية الاولى تقول :

ان الفرد هو كل شيء في المجتمع ،وهو العامل الحاسم في تحرّك التاريخ ، ولذلك ينبغي الاهتمام بالمجتمع من حيث هو أفراد ، وسن المناهج والانظمة التي تربّي أفرادا متفوقين نابغين هم الذين يبنون الحضارة البشرية ويهبون التقدم للانسانية ، ويضربون امثلة على هذه النظرية من واقع عظماء التاريخ ورجالاته الذين أستطاعوا أن يغيروا مسيرة التاريخ ، ويعيدوا رسم حياة مجتمعاتهم من جديد .

النظرية الثانية تقول :

ان الفرد لا قيمة له اطلاقا فهو أشبه ببرغي صغير في ماكنة المجتمع ، وهذه النظرية تتمسك بالحتميات الاجتماعية ، وترى بان حركة المجتمعات وتطوراتها نابعة من أنظمة عامة يخضع الافراد لسلطانها ، فلا يملكون ان يواجهوها أو يغيّروا منها شيئا اذا ما رأوا أنهاتقودهم في الاتجاه الخاطيء ولذلك فهذه النظرية تؤمن بفكرة الدورات الاجتماعية المنتظمة ،أي ان كل مجتمع لابد ان يمرّبنفس المراحل التي يمر بها الانسان في حياته ، حيث يولد طفلا رضيعا ثم يصبح شابا مراهقا ، فرجلا ، فكهلا ، فشيخا ، فهرما ، ثم يموت ، والأمثلة التاريخية على

ذلك كثيرة ومتنوعة يعددّها أونولد توينبي في كتابه المختصر لدراسة التاريخ .

النظرية الثالثة :

والتي يؤيدها الاسلام وتقوم أنظمته وشرائعه عليها فهي تقف في الوسط بين النظريتين السابقتين ، وهي تعطي للفرد أهميته اللائقة ، كما تعطي للمجتمع دوره المدشر وتنظم العلاقات بينها بشكل دقيق ومتوازن .. فالمجتمع يؤثر في الفرد والفرد بدوره يؤثر في المجتمع، انها : لا تسلب من الفرد ارادته ولا تحرم المجتمع من تلك القوانين والانظمة الديناميكية التي تعطيه الوقود المناسب في مسيرته الحضارية التكاملية ، وعلى هذا فهي لا تنفي تينك النظريتين ، وانما وتربط بينهما بحيث تزيل تلك الهوة الفاصلة بين الفرد والمجتمع وتجعل الاثنين لبعضهما لما فيه خير الانسانية وسعادتها .

كذلك فهي ترى ان الدورة الاجتماعية المنتظمة ليست حتمية أبدا ، ففي التاريخ الحديث مثلا نجد ان المجتمع الألماني كان مجتمعا حيويا يتفجر ثورة واندفاعا وكان باستطاعته ان يبقى زمنا طويلا متحكّما في القارة الاوربية ولكن هذا المجتمع الفتي الشاب ابتلي بطاغوت أهوج كهتلر ، وبحزب متطرف كالحزب النازي ، فانقاد الى النهاية المحتومة وأنك لترى الآن بعد أكثر من خمسة وثلاثين عاما من أنتهاء الحرب العالمية الثانية ، ان المانيا مازالت منقسمة على نفسها الى قسمين أحدهما تحت مظلة المعسكر الشرقي والآخر تحت مظلة المعسكر الغربي .

وهكذا فالمجتمعات قد تموت في أيام شبابها ، وقد يشيخ المجتمع ويهرم ويشرف على الموت ، ولكن لا يلبث

ان ينبعث في داخله مصلح يفجّر امكاناته الذاتية المختزنة فيتحدى المجتمع بارادة ابنائه تيار الانحدار، ويتقدم مرة أخرى حتى يثبت نفسه ، كما حدث بالنسبة للمجتمع العربي الجاهلي الذي كان مشرفا على التفسخ والاندثار ، ولكن بعد مجيء النبي محمد (ص) وظهور الاسلام ، دبت الروح في ذلك المجتمع الهرم واذا بالعرب يصبحون في فترة وجيزة سادة العالم وبناة الحضارة .

دينامية المجتمع :

ان بناء المجتمع على أساس القيم الصحيحة ، والعمل الصالح يعيطه ديناميكية في الاتجاه الصحيح ، وعكس ذلك صحيح أيضا ولكي نوضح الفكرة دعنا نضرب مثلا اذا حفرت نهرا يمتد من ينابيع المياه ويجري عبر الاراضي الصالحة للزراعة فسوف يروي آلاف الهكتارات من الاراضي المزروعة ويصبح سلة خبز لأولئك الذين يعيشون حول هذه المنطقة ، أما اذا حفرت ذات النهر عبر أراضي سبخة فانه لن ينفع شيئا وستذهب مياهه هدرا .

ان هذه واحدة من السنن الطبيعية التي تنطبق أيضا على المجتمع البشري ، فالمجتمع هو مثل ذلك النهريمتلك طاقة هائلة اذا ما وجهت في الاتجاه السليم وحفرنا لها قنوات ملائمة ، تحركت هذه الطاقة عبر القنوات وأعطت ثمارا طيّبة ، ولكن اذا كانت هذه القنوات غير سليمة ومتناقضة الاتجاهات فان المجتمع سرعان ما يتحطم ويموت .

مثلا ، اذا أقمنا بناء المجتمع على العنصرية ، فان طاقاته ستتوجه عبر هذه القناة الرديئة ، فيفرض الرجل الابيض سيطرته على الرجل الأسود في جنوب أفريقيا وتكون النتيجة ان بضع مئات من الألوف من البيض يتحكمون في عدة ملايين من المواطنين السود ، وهذا يعني فيما يعني ان

الرجل الابيض يعمل ساعتين في اليوم فيستطيع ان يضمن لنفسه بهما حياة مرفهة ، بينما الأسود يعمل أربع عشرة ساعة يوميا حتي يحصل على أجر قليل لايكفيه ، الاول تكون عنده ست ساعات من الفراغ ، والثاني يرهق بست ساعات من العمل الأضافي ، وبعد فترة يموت الأبيض من الترف والفراغ ويموت الأسود من الجوع والتعب ، وينتهي المجتمع شر نهاية وهذه واحدة من السنن الأجتماعية .

والمجتمع البشري له قوانين وأنظمة ذاتية كثيرة نسمّيها بديناميكية المجتمع وسوف نستعرض هنا جملة منها بشكل موجز من خلال عهد الامام على بن أبي طالب عليه السلام ، لمالك الأشتر لمّا ولّاه مصر ، برسم لنا فيه الديناميكية الاجتماعية والقوانين التي تتحكم في المجتمع :-

((وأعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلٌّ قد سَمّى له الله سهمه [1] ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (ص) عهدا منه عندنا محفوظا .

فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة ، وعز الدين، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية الا بهم.

ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم .

---

١ ـ سهمه: نصيبه من الحق.

ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب ، لما يحكمون من المعاقد (٢) ، وما يجمعون من المنافع ، وما يؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامّها .

ولا قوام لهم جميعا الا بالتجّار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[٣] ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق[٤] بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم .

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة يحق رفدهم[٥] ومعونتهم وفي الله لكلٍ سعة ، ولكلٍّ على الوالي حق بقدر ما يصلحه » .

ويمكننا ان نستخلص من هذه القطعة من عهد الامام علي (ع) بعض القوانين الاجتماعية للأمة .

(١) قانون التفاضل بالسعي :

أي ان المجتمع يتألف من طبقات .

أولا : تقوم على أسس سليمة وهي العلم والخبرة والكفاءه والقدرة البدنية .. الخ .

ثانيا : لا يوجد بينها أستعلاء ولا تفاخر فالمجتمع متساوون في الانسانية ، وسواسية أمام القانون القضائي ، وهذه غير الطبقية البغيضة التى تقوم على أساس العنصر والدم ، أو الثروة والمال ، أو المنصب ، والمركز الاجتماعي أو على أسس عشائرية وطائفية وعائلية وما أشبه .

---

٢ ــ يحكمون من المعاقد: يقومون بتنظيم عقود البيع و الشراء، والزواج والطلاق، و سائر المعاملات بين الناس.
٣ ــ المرافق: المنافع التي يجتمعون لأجلها.
٤ ــ الترفق: التكسّب.
٥ ــ رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(٢) قانون التعاون :

وهذه الطبقات التي تشكل جسم المجتمع ، أنها

غير منغلقة على ذاتها ، بل تنفتح على بعضها بالتعاون المثمر البناء ، ويكمل بعضها بعضا فلا غنى لواحدة عن الآخرى كما ان علاقاتها على الانسانية والمحبة والاحترام المتبادل .

(٣) قانون العدالة :

وهذه أهم ركيزة يقوم عليها المجتمع الحيوي السليم ، وينبغي ان تكون العدالة شاملة للجميع حاكما ومحكوما ، غنيا وفقيرا ، قويا وضعيفا .. وعلى هذا المعدل . حتى تؤتي ثمارها وفقدانها له تأثير هدام مزدوج ، فمن ناحية يؤدي الى التجروء على أكل حقوق الآخرين ، والاعتداء عليهم ومن ناحية أخرى يؤدي الى تثبيط همّ العاملين المنتجين من زرّاع وتجّار وجنود وكتّاب ومفكّرين والخ ، بسبب قلقهم من احتمال أغتصاب وسرقة جهودهم من قبل الآخرين .

(٤) قانون المحافظة على المجتمع :

لكي يحافظ المجتمع على نفسه من الاعتداء ، الخارجي أو الاضطراب والتفسخ الداخلي فلابد له من عدّة ركائز هامة .

أولا : القوة العسكرية :

جيش ـ أسلحة ـ تدريب ـ تنظيم الخ .

ثانيا : القوة الاقتصادية :

زراعة ـ صناعة ـ تجارة ـ حرف ومهن الخ .

ثالثا : القـــوة القضـائيــة :

قضاة ـ حكام شرع ـ كتـاب ٠٠ الخ ٠

رابعا : القوة الادارية والتغدية :

وهي جهاز الحكومة بما فيــه مـن وزراء وموظفــين ، وأداريين ٠

خامسا : القائد الأعلى أو الرئيس :

هو الذي يجمع كل هذه الخيوط بيده ويكون خاضعا للقيادة التي تتمثل في النبي(ص) أو الامام المعصوم أو الولي الفقيه وهم الامناء على شريعة الله في الارض ٠

وبكلمة واحدة لكي يحافظ المجتمع الاسلامي علـــى حيويته وفاعليته فلابد له من حكومة اسلامية ٠

(٥) قانون التكامل والضمان الاجتماعي :

أي ان الفقراء والمساكين وذوي الحاجه ممـــن قعدت بهم كارثة تعرضوا لها أو مرض ألم بهـم أو شيخوخة اصابتهم تنشاء لأجل هؤلاء جميعا مؤسســات خاصة تقوم برعايتهم وهم من يسميهم الامـام بعمال الرفق والانصـاف وهذا القانون يجلب الاطمئنـان للفرد فيما يخص مستقبله وبالتالي يؤدي الى زيـادة انتاجه اضافة الى اشاعة روح التراحم بين أفراد المجتمـع ٠

(٦) قانون اعطاء المجتمع حق العيش بكرامة :

فترى ان أهل الذمة من اليهود ،والمســيحيين وغيرهم يعيشون بين المسلمين ولهم حق الـــعمل والاقامة والتوظف والتنقل ٠٠ الخ ، في مقابـل ان

يدفعوا الجزية وهذا ليس اجحافا بحقهم ، فالجزية بالنسبة لهم تقوم مقام الخمس والزكاة بالنسبة للمسلمين .

أما الصبغة العامة للمجتمع الاسلامي الصحيح فهي التقوى عقيدة وسلوكا ، ويشير الى ذلك حديث للامام علي عليه السلام ، أيضا يقول فيه .

((واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم .

سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بافضل ما أكلت ، فحظوا من الدنيا بما يحظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة والمتكبّرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ والمتجر الرابح)) .

وكما هو واضح من السياق ، فان التقوى المقصودة هنا ليست هي التقوى الفردية بل هي تلك التي تأخذ الطابع الجماعي ، أي تصبح خاصية من خصائص المجتمع يمتاز ويعرف بها .

وهذا الحديث يبين فلسفة مهمة في الحياة الاجتماعية الاسلامية فالمسلمون ليسوا هم أولئك الذين تعلقوا بالآخرة فقط وتركوا الدنيا وشئونها وراء ظهورهم ، وليسوا أولئك الضعفاء الفقراء الزاهدين في متاع الدنيا المعتزلين لأمور الحكم والسياسة والجيش ، والذين لا يؤمنون بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة ، ان هذه أفكار رجعية دسّها الأجانب الحاقدون في صفوفنا وحاولوا بها اضعاف المسلمين من جهة ، وتشويه وجه الاسلام المشرق من جهة ثانية .

فالمجتمع الاسلامي هو مجتمع القوة والسيطرة والثراء ، والتقدم في كافة المجالات العلمية والتكنولوجية ، وهو مجتمع يبني حضارة متكاملة بكل أبعادها غاية ما في الأمر أنه بمبادىء محّددة في تعامله مع شئون الحياة الدنيا ومع المجتمعات الأخرى ، تقوم على أساس الحلال والحرام الذي تقرره الشريعة الاسلامية وعلى أساس القيم والأخلاق الفاضلة .

ومع ذلك فهو أقوى وابقى من سائر المجتمعات لأسباب عديدة أحدهما ان الاسلام يوجّه طاقة العمل عند المسلمين في الوجهة السليمة ويرفع أمرهم والاغلال التي كانت عليهم ويوفر لهم ديناميكية التحرك السريع بالمناهج التي تحدثنا عن بعضها أنفا .



● المجتمع بين سبل السلام و اصر الاغلال

الاسلام والعمل :

الانسان مفطور على النشاط والعمل وهو لا يحب الفراغ والبطالة ، ولذلك نجد ان الانظمة الدكتاتورية تستخدم التعذيب بالفراغ كأشد أنواع التعذيب ، فتسجن الثوار المناضلين في زنزانات انفرادية وتحرمهم من أي نوع من العمل حتى القراءة وسماع الراديو والتحدث مع الآخرين .

وكذلك نجد الطفل ـ وهو اب الرجل حسب تعبير علماء التربية ـ لا يكف ابدا عن اللعب والحركة وممارسة حيويته ونشاطه في كل شيء ، واذا منع من ذلك بأي اسلوب فانه سرعان ما تسوء حالته الصحية .

هذا من الناحية النفسية ومن الناحية البدنية فان اكثر اعضاء الانسان في حالة حركة ونشاط ، حتى عندما تكون مسترخيا أو نائما . يكون عقلك في حالة تخزين للمعلومات وتبويبها وربطها مع بعضها البعض حتى في اوقات الراحة والفراغ .

انها طبيعة الانسان فهو كأي كائن حي آخر مبتن على اساس النشاط ومجبول على التحرك والنشاط .

ولكن الانسان مفطور على الطموح وبذلك ، يتميز عن سائر الاحياء فهو لا يكتفي بما يحصل عليه . ولا يشبعه الا الموت أو الجنة .

قيل للخليفة الاموي المعروف بالزهد عمر بن عبد العزيز (والذي لا ابت فيه برأي)
لماذا زهدت في الدنيا ؟

قال لانني كنت في صغري الهج في أعلى مقام يمكن ان يصل اليه فرد وهو امرة المسلمين ، فسعيت لها فلما بلغتها عرفت ان ذلك قليل علي ففكرت في الجنة ودرجاتها العليا فزهدت في ملك الدنيا لأحصل على ملك الآخرة !

ان الطموح قوة داخلية دافعة ،فهو لا يبحث عن الأكل والشرب فقط ولو كان كذلك لاستغنى عن بذل الجهود الجبارة لبناء تلك الحضارات الكبيرة في التاريخ ، لان اكله وشربه مضمون بأدنى جهد كما هو بالنسبة لأي حيوان في هذا العالم .

بل الانسان يبحث عن الملك والخلود ، ولذلك حينما أراد ابليس اللعين ان يغوي أبانا آدم وأمنا حوّاء عليهما السلام قال لهما :

﴿ هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾
(١٢٠/طه)

اذا فالعمل ـ الذي هو نتيجة الطموح ـ هو من طبيعة الانسان ، ولكن المشكلة التي تعاني منها البشرية على مر الزمن هي في أمرين .

الاول: الفساد والانحراف ، حيث يصبح الطموح طريقا للتردي والعاقبة السؤى . ولذلك اننا نجد حين نستعرض آيات القرآن الحكيم انّ اغلب الآيات لا تتحدث عن العمل باعتباره ضرورة فهو قضية مفروغ منها ، بل تدعو الى صلاح العمل ، لتوجيهه في وجهة التعاون . ونادرا ما نجد آية تذكر العمل مجرداً مثل :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾
(١٥٠/التوبة)

بل كثيرا ما نجد الدعوة الى صالح العمل .

﴿ ان الانسان لفي خسر الآ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾
(سورة العصر)

﴿ ومن يعمل منكم صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينّه حياة طيبة ﴾
(١١٠/الكهف)

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ﴾
(١١٠/ الكهف)

وهكذا يعالج القرآن مسألة الطموح عند الانسان فيرفعه عن الاقتصار على البعد الدنيوي ، فيوجهه باتجاه الغيب .

﴿ يا ايها الانسان انك كادح الى ربّك كدحا فملاقيه ﴾
(٦/الانشقاق)

﴿ انا الى ربنا راغبون ﴾
(٣٢/ القلم)

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الارض ولا فسادا ﴾ .
(٨٣/ القصص)

الاسلام يرفع اصر الاغلال :

الثاني: وهناك مشكلة مهمة اخرى عانت منها المجتمعات البشرية على طول التاريخ وبالذات شعوب العالم الثالث وهي وجود الاغلال الكثيرة امام العمل والحركة الهادفة ، فبالرغم من ان الانسان مفطور على

العمل والنشاط وان هناك وقودا يحركه في هذا الاتجاه وهو الطموح ، فان الاغلال الاجتماعية والتي تتحول الى اغلال نفسية وفكرية تجمّده وتعرقل حركته ،ولقد جاءت رسالات السماء من أجل فك هذه الاغلال التي تعيق سير البشر باتجاه التقدم والبناء ، يقول القرآن الحكيم ٠

﴿ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ﴾
(١٥٧/الاعراف)

وعندما نتأمل الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة نجد كثيرا من الآيات والنصوص تسعى من أجل تحطيم الاغلال بكافة اشكالها مثلا :

١ ـ الخشية من السلطة أو اصحاب القوة التي تؤدي الى سيطرة الدكتاتورية أو تستقدم الاحتلال من قبل القوى الخارجية الطامعة ولذلك يقول القرآن مخاطبا المؤمنين :

﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾
(٣/ المائدة)

﴿ اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ﴾
(١٣/ التوبة)

وهكذا فهو يهدف ازالة خشية العباد التي تقيد البشر وتكبله ، ويبقي على خشية الخالق التي تدفعه من أجل الجد والعمل ٠

٢ ـ الخوف من الاخطار المستقبلية والحزن على الخسائر مما يحطم معنويات الانسان ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى عنها :

﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١٣/الاحقاف)

دعنا نتصور عندما يتحرر الانسان من كابوس الحزن والخوف كيف يكون اندفاعاته في الحياة عظيما .

٣ - تأثير الانباء الكاذبة والافكار الخاطئة التي يقول القرآن عنها :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ﴾ . (٦/الحجرات

اي لا تصّدقوا كل الاخبار التي تسمعونها من اجهزة الاعلام العالمية ما لم تتأكدوا يقينا من صحتها ، كذلك لا تأخذوا الثقافة والافكار من اي شخص وانما من المؤمنين المخلصين فقط .

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ (٢٨/آل عمران)

فبدل ان تقرأوا كتب الماركسيين والماديين الغربيين ، اقرأوا كتب علماء الاسلام المجاهدين الذين ينقلون لكم الثقافة الاسلامية من معينها الصافي .

٤ - الاستحياء من الحق الذي هو غل اجتماعي ثقيل يكبل طاقات الافراد ، تمنعهم من اداء كثير من الاعمال الضرورية أو المفيدة ، عندما يريد شخص ان يقدم على عمل بناء ، فانه يحسب الف حساب لكلام الناس عنه ونظراتهم اليه ، فاذا ما أحس أنهم سيسخرون منه ويعيبون عليه وان كان عن جهل منهم ، فأنه يحجم عن العمل ، والقرآن ينسف الخضوع لهذا الضغط حيث يقول :

﴿ الله لا يستحي من الحق ﴾ (٥٣/الاحزاب)

﴿ ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ (٢٦/البقره)

فاذا كان الله كذلك فكيف انت يا عبدالله ؟ اذن لا تحسب لكلام الناس حسابا ، واقدم على العمل مادمت تراه مفيدا وفي طريق الحق ويقول عن المجاهدين :

﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (٥٤/المائدة)

مثلا :

أ - الخطابة وتأليف الكتب بالنسبة للمثقفين المبتدئين في هذا المجال .

ب - اداء بعض النشاطات اليدوية كالزراعة والحصاد، وبناء البيوت والمنشآت وغيرها مما يحتاجه المجتمع بشكل ماس في بعض الظروف ، بالنسبة لمن يملكون الوجاهات والمراكز .

ج - حمل السلاح ونصب المتاريس وحفر الخنادق والركض هنا وهناك في الحالاتالتي تتطلب مجهودا حربيا ، بالنسبة للعلماء وطلبة الدين المعممين وغيرهم ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة .

وغير ذلك كثير ، ولو درسنا سيرة نبينا محمد (ص) وعلي بن ابي طالب (ع) وسائر الائمة والاصحاب الاجلاء ، لرأينا انهم لم يكونوا ليستنكفوا من اداء اي عمل يكون فيه خير للمجتمع مهما كان صغيرا .

ه - اليأس والقنوط ، عندما يرتكب الانسان ذنوبا كبيرة وكثيرة في حق الله والناس ، أو عندما تكون الظروف صعبة ومعاكسة ، والضغوط شديدة فان قنوطه من رحمة الله ، ويأسه من انفراج الامور وتحسّن الاحوال يدفعانه الى التقاعس والقعود عن العمل ، ولكن القرآن

يرفع هذه العقبات ويفتح طريق الأمل من جديد فيقول :

﴿ ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ﴾
(٥٣/الزمر)

﴿ ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾
(٨٧/يوسف)

﴿ فان مع العسر يسرا ﴾
٦/ الانشراح)

﴿ ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ﴾
(١٠٤/النساء)

وهكذا نرى ان الاسلام ليس بحاجة الى ان يقول للناس اعملوا انه فقط يقوم برفع الموانع والعقبات من طريقهم ويفك عنهم اغلالهم فتتحرك طبيعتهم البشرية المحبة للعمل والنشاط واذا بهم يندفعون اندفاعا شديدا بحيث يضطر الى ان يكبح قليلا من هذا الاندفاع محافظة عليهم من الارهاق ، فيقول رسول الله (ص) :

((ان لبدنك عليك حقا)) .

((روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فان القلوب اذا كلّت عميت)) .

ان رسالات السماء لا تحتاج أن تقول للانسان كيف يشق الذّرة ويستخرج الطاقة النووية ،فان اكتشاف ذلك موكول الى الانسان بما اودع الله فيه من عقل وعلم وقدرة ولكنها تكتفي بتوجيهه الى الطريقة الصحيحة لاستخدامها . كذلك فهي لا تقوم بتعليم الانسان كيف يبني بيتا ، وانما تحدّد له كيف يستفيد منه بعد بنائه ..

زار علي بن ابي طالب (ع) يوما رجلا من اصحابه في بيته فوجد ان بيت ذلك الصحابي واسع وجميل ، فقال له يا هذا ما احوجك الى هذا البيت في الآخرة فتحمّس الرجل وقرر ان يبيع بيته ويعطي ثمنه للفقراء لكي يحصل على بديل له في الجنة ، ولكن الامام (ع) سرعان ما وجهه قائلا بما مضمونه : اذا استقبلت الضيف في هذا البيت فانك قد اشتريت به الدار الآخرة ، واذا رفّهت فيه عن عائلتك فان ذلك ثواب الآخرة ، واذا اجتمع عندك فيه اصحابك على الخير فانك تحصل على افضل منه في الاخرة .

ونلخّص بان الهدف الاساسي لرسالات السماء ليس التشجيع على العمل فقط وانما الأهم من ذلك هو فك الاغلال التي تكبّل الانسان ليعمل هو بذاته ، وتوجيهه عبر القنوات السليمة لكي تكون اعماله مثمرة ومفيدة فيتجنّب بذلك كثيرا من المصائب والمآسي التي يعاني منها مجتمعه ، ويستطيع ان يتغلب على التخلف والجمود وينطلق في طريق التقدم والازدهار .

● الاسلام و شرعية الانتماء الاجتماعي

لماذا يعطي الاسلام الحياة الاجتماعية شرعية مؤكدة ؟

ولماذا يحث الفرد على الانتماء الاجتماعي ؟

لعدة اسباب :

السبب الاول : امكانية تطبيق الرسالة .

المجتمعات المتماسكة تجري فيها القيم وتطبق فيها الشرائع والقوانين بسهولة ويسر ، بينما المجتمعات المائعة غير المتماسكة من الصعب تطبيق القوانين والانظمة فيها ، ومن الصعب توفيق الافراد مع الخط العام للمجتمع . فالمجتمع المتماسك هو المجتمع الذي يندفع فيه الفرد نحو تكييف نفسه مع الآخرين اندفاعا ، ولا يجد صعوبة في تطبيق الانظمة على نفسه ، بل يندفع نحو التطبيق اندفاع السيل من عل ، من دون صعوبة أو مقاومة وهو منذ الطفولة يتربى على ذلك .

وبما ان الاسلام رسالة سماوية متكاملة ذات قيم وانظمة وذات احكام وشرائع تفصيلية ، لذلك تجد ان هذا الدين لابد وان يؤكد على شرعية المجتمع لكي تطبق تلك القيم وتلك الشرائع في هذا المجتمع بسهولة ويسر ، وطالما انه يؤمن بوجوب اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وأهمية الصدق والوفاء وضرورة الصلاح والخير ويؤكد على ذلك .. فلا يمكنه ان يترك تطبيق هذه القيم والانظمة والاحكام للهوى أو الصدفة ، بل لابد ان يوفر الضمانات

الكافية لتطبيقها على الحياة الاجتماعية ، ومن ابرز تلك الضمانات ، ايجاد التماسك المتين داخل المجتمع عن طريق الشرعية للكيان الاجتماعي .

السبب الثاني : امكانية نشر الرسالة .

المجتمع الرسالي مجتمع صداميّ .. لانه يحمل رسالة الى العالم ، وحينما يحمل مجتمع ما مثل هذه الرسالة فسوف يصطدم حتماً مع قوى كثيرة في طريق نشرها ، والاسلام رسالة عالمية لا تريد ان تحصر نفسها في الجزيرة العربية أو في الشرق الاوسط أو في البلاد النامية أوما اشبه . لذلك لابد ان يستعد للصدام ذلك لانه عندما يصطدم هذا المجتمع بالعقبات فلابد أن يضحي من أجل ازالة تلك العقبات بالاموال والانفس . والقتلى والشهداء سيكوّنون عادة وسنة فطرية لهذا المجتمع ، وسيكون هذا المجتمع معطاء ، يعطي من دماء ابنائه بسخاء في سبيل تطبيق الرسالة .

والمجتمع المتماسك من السهل عليه ان يعطي ضحايا من ابنائه لتطبيق قيمه لاعتبارين :-

الاول : هو ان هذا المجتمع يؤمن بالقيم ايمانا شديدا ومن يؤمن بالقيم يضحي من أجلها .

الثاني : فهو السبب السيكولوجي ولكي اوضح هذا السبب لابد ان اضرب مثلا : الانسان الذي يملك طفلا واحدا من الصعب ان يقدمه شهيدا في سبيل الله لانه لا يملك غيره . ولكن لو افترضنا ان رجلا يملك عشرين أو ثلاثين ولدا ، فسيكون تقديم الشهداء بالنسبه له اكثر قبولا لانه سيفقد قسما من أولاده ويحتفظ بالباقين .

هذه طبيعة سيكولوجية . والانسان الذي يعيش داخل مجتمع متماسك يحس بشدة الانتماء الاجتماعي ، سوف يحس

شعوريا ونفسيا بأن كل أبناء المجتمع هم أبناؤه أو آباؤه أو اخوانه واخواته . لذلك لا فرق عنده بين ان يعطي من أولاده اوأقاربه ،أو ان يضحي من قبل الآخرين في هذا السبيل بل من السهل عليه أن يضحي بنفسه لأنه لا يحس لفرديته او تميزه عن الآخرين . انما يحس أنه جزء متفاعل مع كل افراد المجتمع .

فاذا مضى في سبيل الله فانه سيكون وراء من يتابع دربه ويحقق أهدافه .

وهذا هو الشعور الذي كان يسود المقاتلين الاسلاميين وهم يحاربون في كل الجبهات في اقاصى الارض حيث كان بعضهم يحارب في حدود السند ، والبعض الآخر في جبل طارق أو في اندلس ولكنهم جميعا كانوا يشعرون بأنهم أمة واحدة اذا استشهد أحد منهم ، فلا ضير لأن هناك الملايين من البشر سوف يسلكون دربه ويحققون طموحاته . كما يقول ربنا عنهم :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (٢٣/الاحزاب)

من هنا ولأسباب أخرى غيرها يعطي الاسلام الشرعية للانتماء الاجتماعي . ولكن كيف يحقق تلك الشرعية وبأي أسلوب ؟

المجتمع عموما يتكون من خلايا عديدة تنتظم في تشكيلات معينة . والخلايا الاجتماعية نوعان :

الخلية الفطرية والخلية الحضارية . الخلية (الفطرية) هي الخلية التي توجدها غريزة الانسان وربما مصالحه ، اما الخلية الحضارية فهي التي تكونها قيم الانسان ومبادئه .

اولا : الخلايا الفطرية :

بالنسبة الى الخلايا الفطرية ، فان الاسلام يؤكد عليها ويؤيدها مقاومة وتماسكا ، مثلا الاسلام يؤمن بخلية الاسرة ايمانا قويا قد لايصل اليه ايمان اي مذهب او دين آخر . فالاسرة مقدسة ، والتماسك الاسري هام في نظر الاسلام .

المجتمع الاسلامي مبتن على أساس الاسرة كوحدة اجتماعية . ولذلك تسمى الأسرة فيه حصنا . فالاسلام يسمي الرجل المتزوج بالمحصن ، ويسمي المرأة المتزوجة بالمحصنة ، لأنهما قد دخلا في الحصن .. والاسلام لا يرضى لاي سبب من الأسباب بهدم هذا الحصن .

ومن أهم هذه الاسباب التي وضع الاسلام تشريعات مشددة لمكافحتها هو الزنا ، واعتبر الزاني هو ذلك الذي يعتدي على حصن الاسرة فيسبب هدم البيت الاسري .

والواقع أنه اذا تفشى الزنا في المجتمع فان الأسرة طبيعيا تتفتت . انك ترى في المجتمعات الاوروبيه مثلا حيث الزنا متفش على نطاق واسع (١) ان الأسرة قد أصبحت حبرا على ورق .

---

١ — جاء في كتاب (جامعه شناسي بالفارسية) تأليف «تي. بي. باتومور»، المترجم من قبل «سيد حسن منصور» و «سيد حسن حسيني كلجاهي» ص ١٩٨/١٩٩. جاء ماترجمته:

في المجتمعات الصناعية الغربية ازداد الطلاق منذ القرن العشرين بصورة سريعة (في الولايات المتحدة الامريكية) ارتفع معدل الطلاق من ٧٥ في الألف في عام ١٩٠٠، الى ٢/٥٨ في ١٩٦٠ اما في انكلترة و ويلز فقد ارتفع من ٢٠ في الألف في عام ١٩٠٠ الى ١٥ في الالف في العام ١٩٣٨، و بلغ نسبته ٨١ في الألف في العا م ١٩٤٢، و كان ارتفاع معدل الطلاق في الدول الاوروبية الغربية الاخرى مثل هذه النسبة.

ثم يضيف المؤلف في معرض حديثه عن الاسباب المؤدية الى تضعيف الروابط العائلية. و على هذا نستطيع ان نرى العلاقة بين الارتفاع النسبي في معدل الطلاق في هذه المجتمعات و بين الفردية الشائقة. والبحث عن اللذة و (انعدام) الزوجية على العلاقات الجنسية خارج اطار العلاقة الجنسية. والواقع ان المجتمعات الغربية قد خففت في العقود الاخيرة والى حد بعيد من الرقابة على السلوك الجنسي للافراد و يمكن ان يكون كل ذلك ذات صلة بتقليل الاهتمام المجرد بالجوانب الجنسية في الزواج و معدلات الطلاق.

لذلك الاسلام يؤكد على حرمة الزنا ويعتبره أمرا خطيرا جدا . القرآن الحكيم يقول عن الزنا :

﴿ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل صالحا . فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾

(٦٨/الفرقان)

ونجد ان نبينا محمداً (ص) وسائر الائمة من أهل بيته (ع) حينما يريدون ان يبينوا سبب حرمة الزنا يؤكدون على هذه الناحية ، وهي ان الزنا يهدم هذا الحصن (اي حصن البيت) بحطم المجتمع ، ولان للمجتمع شرعية عند الاسلام فانه يحرّم ذلك ،ونستطيع ان نستلهم هذه الافكار من الاحاديث التالية :

((لما آسري بي (اي في حادثة الاسراء والمعراج) مررت بنسوان معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبرائيل ؟ فقال هؤلاء اللواتي ورثن أموال ازواجهن أولاد غيرهن))

- اي انهن يزنين وبسبب زناهن يلدن أولاداً من غير أزواجهن ، وهؤلاء الاولاد من الطبيعي ان يرثوا اموال غير آبائهم ، باعتبار أن الازواج لم يكونوا الآباء الحقيقيين لهم

في حديث آخر نجد الامام الرضا (ع) يقول :

((حرم الزنا لما فيه من الفساد ، من قتل الانفس وذهاب الانساب وترك التربية للاطفال ، وفساد المواريث وما آشبه ذلك من وجوه الفساد))

فالامام الرضا (ع) يؤكد على ان المجتمع الذي لا

يحصن بالاسرة ، فانه لا يملك تربية صالحةللاولاد . اذ ان الانسان عندما يجد بيتا غير بيته يقضي فيه شهوته فانه لا يهتم بأمور اولاده وزوجته ، والاولاد لايشعرون بالمقابل بأهمية بيتهم ، ولذلك لا يستلهمون القيم والافكار من أبيهم ، وبالتالي تتفتت الأسرة ويتفتتالمجتمع ، وفي حديث آخر يقول الامام أمير المؤمنين (ع):

((ألا أخبركم بأكبر من الزنا ، قال هي امرأة توطىء فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها ، فتلك التي لا يكلمها الله ولا ينظر اليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب اليم)) .

ان هذه الرواية ايضا شديدة وحاسمة ، وتبين أهمية حصن الأسرة .

والعقوبات الاسلامية حول الزنا تؤكد هذه الأهمية يقول القرآن الحكيم :

* الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين *

(٢/النور)

في هذه الآية . القرآن الحكيم يبين أن للزاني رجلا كان او امرأة ، ثلاث عقوبات عقوبة (جسدية) وهي مائة جلدة ، و (عقوبة معنوية) وهي غضب الناس "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" . و (عقوبة نفسية) ، " وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " . وبعد المرور بهذه العقوبات الصارمة يستحيل على الزاني ان يكرّر فعلته كما أنه سيصبح عبرة للأخرين . وهذا يبيّن مدى أهمية الأسرة عند الاسلام ، وفي بعض الاحاديث نجد

تفسيرا يبيّن سبب شدة الاسلام مع الزناة ، يقول الامام الرضا (ع) :

((علة ضرب الزاني على جسده بأشد الضرب لمباشرة الزنا واستلذاذ الجسد كله به ، فجعل الضرب عقوبة له وعبرة لغيره وهو اعظم الجنايات)) .

ثانيا : الخلايا الحضارية :

الاسلام يعطي أهمية كبيرة للخلايا الحضاريه التي لا تهتم بها المجتمعات جميعا ، ولا يعتني بها الا الذين يمتلكون قيما معينة يؤمنون بها .

من جملة الخلايا الحضارية في المجتمع تلك الخلايا التي تتكون من مجموعة رجال يمتلكون رؤى واحدة ويسيرون في خط واحد . حينما تؤمن بفكرة وتحمل رسالة ، وتتحسس بمسؤولية أجتماعية فلا تبق وحدك وانما ابحث عن أولئك الذين يؤمنون بفكرتك ويتحسسون بمسؤليتك ، ويحملون رسالتك .

من هم ؟
وأين هم ؟

ابحث عنهم في كل مكان حتى تجدهم ، فاذا وجدتهم فاقتطع من وقتك برهة تزورهم فيها ، واجلس اليهم وتحدث معهم عن افكارك واستمع منهم حتى تتلاقح افكارهم جميعا .

تجد أن الأحاديث الشريفة تعطي أهمية كبيرة لزيارة الاخوان ولكن بشرط أن تكون هذه الزيارة في الله . أي في سبيل تحقيق هدف اجتماعي . حينما تجد الظلم متفشيا والطاغوت متحكما ، والظلمات مخيمة على بلدك آنئذ عليك ان تبحث عن رفاق مسيرة ، واخوة جهاد ، وعليك ان تبحث

عمن يحمل افكارك فاذا وجدتهم ، تزورهم في الله اي لكي ترفع الظلم وتسقط الطاغوت فتجلب لمجتمعك الخير والسعادة .

الامام الباقر (ع) يقول وهو يحدّث احد القادة الذين زاره في المدينة ثم حمل رسالة منه الى اتباعه وانصاره في الكوفة . يقول الرجل وهو خيثمة :

" دخلت على ابي جعفر أودعه فقال :

((ياخيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وأن يعود غنيّهم على فقيرهم وقويّهم على ضعيفهم وان يشهد حيّهم جنازة ميّتهم وأن يتلاقوا في بيوتهم فان لُقيا بعضهم حياة لأمرنا . رحم الله من أحيا أمرنا . ياخيثمة ابلغ موالينا أنا لا نغني عنهم من الله شيئا الا بعمل ، وأنهم لن ينالوا ولايتنا الا بالورع ، وأن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره)) .

هذا الحديث يضع في طياته برنامج عمل متكامل للانسان الثوري داخل مجتمع يتحكم فيه الطاغوت . ولكن نحن نركز على هذه الكلمة التي يقول فيها الامام :

((وان يتلاقوا في بيوتهم فان لقيا بعضهم لبعض حياة لأمرنا ، رحم الله من أحيا أمرنا))

وفي حديث آخر يقول الامام الصادق (ع) :

((من زار أخاه في الله ، قال الله عز وجل اياي زرت وثوابك علي ، ليست ارضى لك ثوابا دون الجنة))

اذا كانت الزيارة من أجل الله سبحانه وتعالى وتحقيق القيم الاسلامية .

وفي حديث آخر يقول (ع) :

((ما زار مسلم أخاه المسلم في الله ، ولله الا ناداه الله عز وجل أيها الزائر طبت وطابت لك الجنة)) .

ويقول الامام ابوجعفر (ع) :

((ان العبد المسلم اذا خرج من بيته زائرا اخاه لله لا لغيره وكّل الله عز وجل به سبعين الف ملك ينادونه من خلفه الى ان يرجع الى منزله .. ألا طبت وطابت لك الجنة)) .

انظروا الى الاحاديث الصريحة التي تدل على اهمية الزيارة . والائمة (ع) لا ينسون ان كثيرا من اتباعهم ومواليهم ملاحقون من قبل السلطات الغاشمة فلا يستطيعون اللقاء في اجتماعات عامة ، ولذلك فهم يؤكدون على تزاور المؤمنين في بيوتهم .

وهناك حديث مأثور آخر : ان النبي (ص) قال :

((حدثني جبرائيل ان الله عز وجل أهبط ملكا الى الارض ، فاقبل ذلك الملك يمشي حتى دفع الى باب دار رجل . فاذا برجل يستأذن على باب الدار فقال الملك : ما حاجتك الى رب هذه الدار ؟

قال : أخ لي مسلم زرته في الله تعالى .

قال : تالله ما جاء بك الآ ذاك ؟

قال : ما جاء بي الآ ذاك (اي والله ما جئت الى هذه الدار لزيارة هذا الأخ الآ في سبيل الله [٢]

قال : فاني رسول الله اليك : وهو يقروءك السلام ويقول وجبت لك الجنة .

---

٢ ـ طبعا المقصود من «سبيل الله» كل الاهداف النبيلة التي امربها الله و منها القضاء على الطاغوت او الفساد.

ثم قال : فان الله تعالى يقول : " ما من مسلم زار مسلما فليس اياه يزور بل اياي يزور وثوابه الجنة ")) .

فهل تريد ان تزور الله ؟

زره بزيارة اخيك المسلم في سبيل الله .

ان هذه الاحاديث توجهنا الى بناء الخلايا الاجتماعية الحضارية بالاضافة الى الخلايا الفطرية الطبيعية ، فبالاضافة الى انك تنتمي الى أسرة متماسكة ومحصنة عليك ان تبحث عن رفاق عمل ، واخوة جهاد تزورهم في بيوتهم من أجل ان تجلسوا وتتحدثوا عن امر الامة الاسلامية ، وأمور الدين وكيفية تنفيذ البرامج والتخطيط لتحطيم نظام الطاغوت وانقاذ الناس من ظلم الجبابرة ،ومن ظلمات الكفر والجهل .

والائمة (ع) يدعونكم والاسلام يدعوكم الى ذلك ، وهذا معناه ان الاسلام يعطي شرعية للمجتمع المتماسك ، ان بالخلايا الفطرية او الخلايا الحضارية .

التقوى محور المجتمع الاسلامي

١ـ الطليعة... شهداء حاضرون بين الناس.

٢ـ التقوى... محور المجتمع الاسلامي.

٣ـ التقوى : ضمانة ضد الانحراف.



● الطليعة.. شهداء حاضرون بين الناس

استمراراً للحديث عن اعطاء الاسلام الشرعية للانتماء الاجتماعي نتناول الموضوع هنا من ناحية ارتباطه الوثيق بالحركة الاسلامية وموقف هذه الحركة من الجماهير .

كما ان الاسلام يعطي الشرعية للكيان الاجتماعي ويؤكد عليه تأكيدا كذلك فهو يرفض الرهبانية والاعتزال عن الناس اعتزالا دائما ويؤكد على حضور الطليعة المؤمنة في ساحة الجماهير .

فمثلا ترى ان النبي (ص) يقول :

((ان رهبانية أمتي الجهاد .. رهبانية أمتي الحج سياحة أمتي الجهاد)) .

وفي حديث آخر يؤكد الرسول ان البديل عن الرهبانية واعتزال الناس هو حضور الجماعة ، وأن صلاة الجماعة ذات أهمية بالغة .

جاء في الحديث عن انس قال :

((توفي ابن لعثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجدا يتعبّد فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له :

ياعثمان ان الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله .

ثم قال ياعثمان من صلى صلاة الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة بُعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد المضمر[١] سبعين سنة . ومن صلى الظهر في جماعة كان له في جنات عدن خمسون درجة ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد خمسين سنة . ومن صلى العصر في جماعة كان له كأجر ثمانية من ولد اسماعيل كل منهم رب بيت يعتقهم . ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة . ومن صلى العشاء في جماعة كان له كقيام ليلة القدر[٢])) .

ونجد هناك حديثا آخر يؤكد على ضرورة لزوم السواد الاعظم آي الحضور مع الجماهير في ساحة المجتمع ، وعدم الأعتزال ، وفي حديث آخر يؤكد على أن " الشاردة للذئب " اي أن الانسان الذي يعتزل الجماهير يشبه الشاة التي تبتعد عن القطيع فتكون من نصيب الذئب .

ومن مظاهر هذه الشرعية التي يعطيها الاسلام للكيان الاجتماعي ، رفضه للفوضوية حتى في حقل الثورة . فمثلا نجد هناك حديثا شريفا يقول :

((واعلم يابني أنه لابد للناس من امام برّ أو فاجر)) .

أي ان هناك قضيتين .. ضرورة وجود سلطة ، وضرورة أن تكون هذه السلطة صالحة فلا يمكن نفي السلطة رأسا لأن وجودها ضمان لاستمرار وجود المجتمع .

فالسلطة بذاتها ضرورة ولا يمكن ان نستبدل النظام

---

١ ــ حضر ــ كقفل ــ ارتفاع الفرس في عدوه و وثوبه.
٢ ــ بحار الانوار الجزء ٧٠ الصفحة ١١٥

الجائر بالفوضى ، لأن النظام الجائر أفضل عند الاسلام من الفوضوية . نعم يجب ان نعمل من أجل اقامة نظام عادل عوضا عن نظام جائر . هذا واجب شرعي . أما ان نزيل النظام الجائر لِلاشيء فهذا أمر مرفوض عند الاسلام ، وفي الآيات القرآنية اشارة واضحة الى هذه الحقيقة . انك تجد ان موسى (ع) ينطلق الى فرعون ويحاول اولا ان يهديه . وذلك دليل على ان موسى (ع) لم يكن يريد ان يهدم هذا النظام وانما ان يقوّمه ويصلحه . ولكن فرعون كما فراعنة كل زمان يحاولون ان يتهموا الحركات الاسلامية الثورية في العالم بأنها تحاول هدم النظام واشاعة الفساد والفوضى واقامة شريعة الغاب .

فالانبياء (ع) في دعواتهم الاصلاحية عندما كانوا يدعون الى هدم النظام القائم ، فانهم كانوا يسعون الى اقامة نظام مكانه وكانوا يريدون اقامة نظام صالح قبل أن يهدموا النظام الفاسد ، لذلك تجد القرآن الحكيم يقول في آيات مكررة على لسان الرسل :

﴿ ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ﴾
(٣/ نوح)

عبادة الله يعني رفض الشركاء ، الآلهة ، الاصنام ، الأنظمة الطاغوتية المتحكمة في رقاب الجماهير . " واطيعون "يعني اقامة دولة الامامة الاسلامية اقامة دولة الحق دولة الأنبياء .

كما ان الدعوة الاسلامية قامت على كلمتين ، الكلمة الاولى " لا اله الا الله " اي تحرير الانسان من الجبت والطاغوت والسلطات الجائرة من عبادة الآلهة البشرية والحجرية . والكلمة الثانية " محمد رسول الله (ص) " اي اقامة تلك الحكومة الالهية البديلة عن ذلك النظام الفاسد .

من هنا نجد ان الأسلوب المناسب لتبديل الانظمة ليس هدم النظام وانتظار قيام نظام بديل ، وانما اقامة نظام بديل ثم هدم النظام . وليس هدم المجتمع وتفتيته من أجل اقامة مجتمع بديل . وانما اقامة مجتمع جديد في داخل هذا المجتمع الفاسد ، ومن ثم محاولة احتواء عناصر المجتمع الفاسد وتوجيهه في الاتجاه السليم ومن هنا تجد ايضا الأحاديث الكثيرة التي تؤكد على ضرورة تواجد العناصر الرسالية داخل الجماهير وعدم اعتزالهم بعيدا عنها ، حتى ولو كان ذلك يسبب لهذه العناصر الأذى حيث ان المؤمن الصالح يشق عليه كثيرا ان يعيش مع الناس العاديين الذين لا يلتزمون بدين ، ولا يتحملون مسئولية ولكن هذه الصعوبة يجب ان يتحملها العنصر الرسالي ، لأنه ان فقد الجماهير يكون قد فقد أرضه التي ينبت وينمو فيها ، ويستمد منها عناصر نموه .

والسلطات الجائرة عبر التاريخ كانت تحاول دائما فرز المجموعة المؤمنة عن الجماهير وفصلها عن الناس . واذا قبلت الطليعة المؤمنة أو استسلمت لخطة الطاغوت وانفصلت عن جماهيرها ، عن أرضها وقاعدتها فان ذلك يسبب لها الانتحار العاجل أو الآجل .

والآن سأتلوا عليكم بعض الأحاديث التي تؤكد بضرورة تواجد الطليعة المؤمنة في ساحة الجماهير " الحديث الاول كلمة للامام زين العابدين (ع) موجهّة الى الزهري وهو من أئمة المسلمين - يقول :

((يازهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه)) .

ثم قال يازهري ..

((أما عليك ان تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل

بيتك فتجعل كبيرهم منك بمنزلة والدك وتجعل صغيرهم منك بمنزلة ولدك وتجعل تربك – أي الذي في مستواك وفي عمرك – بمنزلة آخيك .

فأي هؤلاء تحب ان تظلم ؟

وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه ؟

وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره ؟

– طبعا لا يحب الانسان أن يهتك ستر والده أوابنه أوأخيه –

وان عرض لك ابليس لعنه الله أن لك فضلا على أحد من أهل القبلة ، فانظر ان كان اكبر منك فقل قد سبقني بالايمان والعمل الصالح فهو خير مني ، وان كان أصغر منك فقل قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني ، وان كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فمالي أدع يقيني لشكي ؟ وان رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك ، فقل هذا فضل أخذوا به ،وان رأيت منهم جفاءا وانقباضا عنك فقل هذا ، لذنب أحدثته . فانك اذا فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك وكثر أصدقاؤك وقلّ أعداؤك ، وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم)) .

ان هذا الحديث يؤكد لنا ضرورة محبة الآخرين والتواجد معهم جميعا ، أي مع اهل القبلة باعتبار كل ابناء المسلمين الذين يصلون باتجاه القبلة آباء وأولاداً واخوة ،وحتى الذين يشك في عدالتهم فكل انسان يجب ان يشك في عدالته هو شخصيا ،ولا يقول انه منزّه مزكّى ، " ولا تزكّوا انفسكم " فلا يستطيع ان يدّعي أنه أفضل من الآخرين وانما عليه ان يعتبر نفسه أبدا آقل منهم ، ولذلك يعظمهم ويحترمهم ، ويكون قريبا منهم .

وفي حديث آخر يقول الامام الصادق (ع) :

((حسنُ المعاشرة مع خلق الله تعالى_في غير معصية- من مزيد فضل الله عز وجل عند عبده ومن كان خاضعا في السر - اي كان خاضعا في سره لله سبحانه وتعالى - كان حسن المعاشرة في العلانية . فعاشر الخلق لله . ولا تعاشرهم لنصيبك من الدنيا ولطلب الجاه والرياء والسمعة ، ولا تسقطنّ بسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة)) .

عاشر الناس ولكن لا تتبع طريقتهم ولا تنحرف عن طريقتك السليمة من أجل مماثلة الناس أو الاشتهار بينهم فالطليعة يجب أن تبقى داخل الجماهير ولكن لا تذوب في سلبياتها ، فتحفظ بميزاتها وحيويتها وبأخلاقها الحسنة وتعاشر الجماهير بأخلاقها وبأعمالها العامة .

فانهم لا يغنون عنك من الله شيئا وتفوتك الآخرة .

اذا قلت حشر مع الناس عيد . فان هذا الحشر سيكون بالتالي الى النار وهل الحشر مع الناس في نار جهنم عيد للانسان ؟

يؤكد الامام الصادق (ع) نفس الفكرة التي أكدها زين العابدين (ع) .

((واجعل من هو أكبر منك بمنزلة الأب والاصغر منك بمنزلة الولد والمثل بمنزلة الأخ ، ولا تدع ما تعمله يقينا من نفسك بما فيه من غيرك . وكن رفيقا في أمرك بالمعروف،شفيقا في نهيك عن المنكر ولا تدع النصيحة في كل حال . قال الله عز وجل :

﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾)) .

(البقرة/٨٣)

أي أن علينا ان ننصح الناس ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ولكن بأسلوب لين وطريقة رفيقة .

وفي حديث آخر يوجه الامام ابو عبدالله الصادق (ع) حديثه الى شيعته ومواليه . والشيعة حسب ما قلت في أحاديث سابقة نعتبرهم أولئك الطليعة الذين لم ينفصلوا عن سائر الجماهير بل كانوا في الجماهير من أجل اصلاح الناس وهدايتهم لا أكثر ولا أقل . الامام يوصيهم ويقول :

((عليكم بالصلاة في المسجد ، وحسن الجوار للناس واقامة الشهادة وحضور الجنائز انه لابد لكم من الناس ، فأما نحن نأتي جنائزهم وانما ينبغي لكم أن تصنعوا مثل ما يصنع من تأتمّون به)) .

أي اذا كنتم تعتبروننا أئمة لكم فعليكم أن تصنعوا مثل ما نصنع نحن فكما نحن نصلي معهم ونحضر جنائزهم ونحسن المعاشرة معهم فعليكم أن تفعلوا مثل ذلك .

" والناس لابد لبعضهم من بعض . ماداموا على هذا الحال حتى يكون ذلك ثم ينقطع كل قوم الى أهل أهوائهم "

تعبير الامام قد يكون غامضا ولكن حسب ما أفهم سياق كلام الامام هو أن الانسان الثائر الرسالي يجب أن يبقى مع الناس ، وأن يكون داخل المجتمع في الصلاة ، في المساجد ، في الجنائز ، في كل شأن من شئون المجتمع يكون حاضرا شاهدا ، لا يغيب عنهم الى ان تقوم الثورة . وفي حالة الثورة ينفصل الناس . الذين معه يأتون معه . والذين هم ضده يذهبون الى من يتبعونه . ولكن قبل أن تقوم الثورة العملية وفي أيام الاعداد والتربيه وفي أيام توعية الجماهير يجب ان يحضر مع الناس ويكون معهم في سرهم وعلانيتهم .

((عليكم بحسن الصلاة واعملوا لآخرتكم واختاوروا لأنفسكم فان الرجل قد يكون كيّسا في أمر الدنيا فيقال ما أكيس فلانا ، وانما الكيّس كيس الاخرة))

ثم الامام مالبث ان أوضح بأن الحضور مع الناس والاختلاط بالجماهير لا يعني الذوبان في بوتقتهم ، وانما يجب المحافظة على الدين ، وعلى الميزة الرسالية ، والبقاء مع الناس هو من أجل هدايتهم فقط وفقط .

الامام علي (ع) يحتضر وتقترب وفاته فيجمع أولاده يدعو الحسن والحسين وسائر أبنائه ثم يوصيهم بهذه الوصية التي هي وصية لي ولك ايضا يقول الامام (ع) :

((يابني عاشروا الناس عشرة ان غبتم حنّوا اليكم وان فقدتم بكوا عليكم . يابني ان القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها وكذلك هي في البغض)) .

وهناك حديث آخر عن الامام الصادق (ع) يقول :

((اتقوا الله وعليكم بالطاعة لأئمتكم . قولوا ما يقولون وصمتوا عما وأصمتوا انهم في سلطان من قبل الله تعالى . وان كان مكرهم تزول منه الجبال - يعني ولد العباس - فاتقوا الله فانكم في هدنة ، صلوا من عشائرهم واشهدوا جنائزهم . وأدّوا الامانة اليهم ، وعليكم بحج هذا البيت فأدمنوه فان في ادمانكم الحج دفع مكاره الدنيا عنكم وأهوال يوم القيامة)) .

الامام يعيش وضعا استثنائيا . الدولة بيد الآخرين . الطغاة هم المتحكمون في رقاب الناس الامام يعرف ذلك ، ويعرف أن الثورة لما تنضج بعد ، وان

الحركة الاسلامية لاتزال ناشئة وليست قوية . هنا يقول لهم عليكم بحضور الصلوات ، وادمان الحج .

حينما يكون الثوار الرساليون داخل الجماهير ، في المواسم ، في الصلوات ، في أوقات الاجتماع مثل حضور الجنائز وما أشبه لا يمكن عزلهم بسهولة ، ولا يمكن ضربهم بسهولة ، ولا يمكن اتهامهم بالمروق عن الدين . اما اذا كانوا مجموعة شباب يختبئون في سراديب ويبتعدون عن الجماهير ، ليتركوها طعمة للدعايات المظللة ، آنئذ يمكن للحكام الطغاة ، ومن يعينهم في طغيانهم وظلمهم سواء من الداخل أو من الخارج أن يبثوا حول هؤلاء الشبيبة انواع الاعلام المضلل ويتهموهم بانهم مرقة ، كفار فاسدون .. الخ . هذا الاعلام المضلل من الذي يرده ؟

من الذي يكشف للناس الحقيقة ؟

اذا كنت أنت وأنا من أصحاب الرسالة موجودين في السراديب بعيدين عن الناس فان أحدا لا يستطيع ان يرد الاعلام الكاذب ، اما اذا كنت مع الناس وفي صميم المجتمع آئنذ لا يستطيع أحد أن يصدق كلام السلطة . لأنها عندما تقول عنك مارق فان الناس يعرفون بانك انت اول من يحضر الجماعة ويصلي وانت خاشع في صلاتك . واذا قالوا عنك سارق ، فإن الناس يعرفون بان افضل الناس اداء للامانة هو انت . اذا قالوا انت رجل لا تعترف بالقيم فان الناس يقولون نحن نراه كل سنة في الحج .

فكيف لا يعترف بالقيم ؟

وكيف لا يطبق الفرائض ؟

وهكذا فان الدعايات المغرضة تتبخر آليا .

وهناك أحاديث اخرى تشبه هذا الحديث مثل قول

الرسول (ص) والخطاب موجه الى بني عبد المطلب أو بني هاشم لا فرق فهؤلاء هم المجموعة التي حملت راية الرسالة وكانوا قدوة للآخرين . انظروا الى الرسول كيف يتحدث اليهم .. يقول لهم بكل وضوح :

((يابني عبد المطلب - أو يابني هاشم على اختلاف الاحاديث - انكم لن تسعوا الناس بأموالكم . فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر)) .

انظروا ان بني عبد المطلب يجب ان يكونوا هداة الناس وقادتهم وولاتهم ، ولكن ،

هل بالسيف ؟

كلا .

هل بالمال ؟

كلا .

لأنهم لا يملكون لا السيف ولا المال الكافي . ولكن النبي (ص) ينبههم الى انهم يملكون ما هو أمضى من السيف وأغنى من المال ، وهو الأخلاق الحسنة والمعاملة الانسانية ، وطلاقة الوجه والبشر .

هذا كلام يمكن ان نقوله ايضا للدعاة الى الله .

فماذا يملك هؤلاء ؟

هل يملكون الاموال كما تملكها الامبريالية العالمية ؟

هل يملكون القوة كما يملكها الجبابرة والمفسدون؟

هل يملكون أجهزة المخابرات ودوائرها وشبكاتها ؟

كلا ..

انما هم يملكون أهم وأقوى وأحسم من كل ذلك وهو الأخلاق الحسنة . يملكون الجماهير ، اذا قالت الامبريالية لي الثروة الطائلة . وقالت السلطات

الجائرة لي القوة الحاسمة والشبكات الجاسوسية فسوف تقول الطلائع الرسالية المؤمنة بأن لنا جماهيرنا . نحن نملك الانسان ، نملك القلوب ونحكمها . وهذا هو الشيء الحاسم في قضية الثورة الاسلامية وقال الرسول (ص) :

((من لم يرحم صغيرا ولم يوقر كبيرا ليس منا)).

((ولا تكفر مسلما بذنب تكفره التوبة الا من ذكره الله في الكتاب ـ قال الله عز وجل :

﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾

واشتغل بشأنك الذي انت به مطالب))

لا تجلس وتوزع الاتهامات يمينا وشمالا فتقول هذا فاسق ، وهذا كافر وهذا كذا وذاك كذا . كلا .. فأنت رجل تهدي الناس وداعية الى الخير .. فكيف تكفر المسلمين ؟

الرجل المسلم قد يزني ويشرب الخمر ولا يصلي ولا يصوم ، ولكن هل يمكنه انيتوب الى الله وتوبته تصبح كفارة له أم لا ؟

نعم يمكنه انيتوب فاذا تاب تاب الله عليه . فكيف تكفره ، وتخرجه عن الاسلام ؟

الله لم يوظفك بأن تكون على باب الجنة والنار، لتدخل فيهما من تشاء حسبما يحلو لك . كلا .

فالقرآن يقول :

﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ (١٢٨/آل عمران)

ربما انت تكفر رجلا مسلما ثم يتوب هذا الرجل ويصبح من أحسن الصالحين . وانت الذي كفرته سوف تأتيك فتنة ولا سمح الله فتضلك عن سبيل الله فتصبح من اهل النار .

لذلك علينا نحن المسلمين عموما والذين يريدون ان يصبحوا طليعة الامة الاسلامية ان يهتدوا بهدى القرآن وبسنة الرسول (ص) وسيرة الائمة عليهم السلام فلا يبتعدوا عن الناس لا قلبيا ولا جسديا وانما يكونوا دائما مع الناس ويتفاعلوا مع الجماهير . ولكن لا يذوبوا في التيار الفاسد بل يبقوا محافظين على أنفسهم .

وأتصور بأن الاسلوب الذي اتبعه الأنبياء والائمة واولياء الله الصالحون ، كما اتبعه قائد الثورة الاسلامية في ايران الامام الخميني أطال الله بقاءه هو الاسلوب الناجح في الحركة الاسلامية . ذلك الاسلوب هو

اولا : عدم محاولة هدم النظام قبل ان يؤسس كيانا قادرا على احلال النظام الصالح مكان النظام الفاسد .

ثانيا : محاولة تغيير النظام عن طريق الناس عن طريق التأثير في الناس وليس الابتعاد عن الناس ، والسعي نحو اقامة نظام عادل بالرغم من الناس .

كلا .

نحن نريد ان يختار الناس النظام الصالح بأنفسهم ، ونحن انما يجب أن نكون وسائط خير وأدلاء معروف فقط نعرّف الناس على طريق الحق ، ونضحي من أجل هذه المسئولية ، نضحي في طريق توعية الجماهير . اما بعد ذلك فالجماهير هي التي سوف تبني الحكومة ، هي التي تثور ، وهي التي تتحرك ، نحن لا نريد ان نفرض على الجماهير خطا معينا ولا نريد ان نتخذ القرارات بديلا عن الجماهير او بالوكالة عنها لا نريد ان نقوم بالثورة

نيابة عن الناس ، لا نريد ان نقيم حكومة اسلامية غصبا على الناس ورغما عنهم .

كلا .

انما نريد ان نرفع عن اعين الناس غشاوة التضليل الاعلامي ونرفع عن طريق الناس العقبات الكأداء ونسمح لهم بأن يقيموا الحكومة الصالحة . ونحن دورنا دور المبلغ والداعي ، وهكذا كان دور الأنبياء عليهم السلام الذي يحدثنا عن دورهم القرآن الحكيم ويقول :

﴿ فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾
(٢١/الغاشية)

فالنبي ليس مسيطرا على الناس هو بشير .. ونذير . وان عليه البلاغ وبقية الامور مرتبطة بالناس وبالله . بأقدار الله ،وبقضاء الله سبحانه وتعالى .

وأتصور لو اننا اتبعنا هذا المنهج في اقامة حكم الله سبحانه وتعالى فسوف يكون ذلك منهجا سليما ومفيدا المنهج الذي قاد الثورة الاسلامية في ايران الى الانتصار، الامام الخميني حفظه الله رفض ان يخل بالنظام . رفض ان يحمل الثوار السلاح وكانوا مستعدين لذلك . كان دائما يريد ان يحسم المواقف عن طريق حضور الجماهير في ساحة الجهاد وقد رأيتهم حتى بعد انتصار الثورة الاسلامية وبعد امتلاكه للاسلحة الكافية انه رفض ان يستخدم السلاح . وانما استخدم سلاحا واحدا ، ذلك السلاح هو الناس انفسهم ، فالجماهير دائما كانت سلاحه الحاسم والآن حينما تحارب الدولة الاسلامية في ايران المجموعات الارهابية .

من الذي يساعد الدولة ؟

أتتصورون ان في ايران مثلا أجهزة مخابرات قوية.
تلك الأجهزه التي كانت للشاه لم تستطع ان توقف العمليات التي كان يقوم بها الثوار ضد ذلك النظام .
فهل تستطيع هذه الاجهزه ان توقف هذه العمليات ؟
كلا .

وانما الذي يقوم بذلك هم الناس أنفسهم .

وقد شاهدنا في طهران وفي سائر المدن الايرانية كان أقارب الفرد ، أخوه .. أبوه .. أخته .. زوجته كل هؤلاء يخبرون السلطة بأن فلانا من " منافقي خلق" وبيته كذا ورقم هاتفه كذا وكذا يعمل وعند أقل حركة تلاحظ في بيت من البيوت فان الجيران فورا يخبرون اللجان الثورية بذلك .

وهكذا الناس حاضرون وشاهدون في ساحة المواجهة وهذا هو أكبر سلاح . ولم يستطع الامام ان يستخدم هذا السلاح الآ لأنه منذ البداية اعتمد على الناس . وعرف ان السلطة الحقيقية هي السلطة التي تكون داخل القلوب . وليست تلك التي تفرض برؤوس الحراب وعن طريق الارهاب .

وزراء الخارجية الاوروبيون في لوكسميرج عقدوا جلسة وقالوا ان ايران أخذت تعاني من وجود فراغ في السلطة بعد الثورة . كيف يكون ذلك وثلاثة ملايين انسان يخرجون الى الشوارع في عزاء قادة السلطة في مدينة طهران فقط . ويلطمون على رؤوسهم وبعضهم مشوا على أقدامهم ٤٠ كيلو مترا . انهم في لوكسميرج لا يعرفون أن سلطة الارهاب وسلطة الدوائر وشبكة التضليل الاعلامي من تلفزيون واذاعة وصحف وما أشبه .. هذه ليست أكثر من بيوت العنكبوت . فالسلطة الحقيقية هي سلطة الجماهير .

حينما سمع الناس بقضية استشهاد الاثنين والسبعين من قادة الثورة خرجوا في منتصف الليل لا يعرفون اين يذهبون ، فقد كانوا يريدون ان يعبروا عن مشاعرهم تجاه قادتهم الذين يحبونهم بطريقة ما . فهل هذه السلطة أفضل ؟ أم سلطة الولايات المتحدة حيث انقطعت الكهرباء في نيويورك لعدة ساعات فقط واذا (٢٠) مليون دولار سرقت في نيويورك عبر سويعات فقط وقد نشرت ذلك كل صحف العالم ! .

سلطة الجماهير صاحبة الحق في البلد ومقدراته ، أم سلطة الارهاب والخنق والتضليل وابعاد الناس عن الحضور في الساحة ؟

الأنبياء انما كانوا يريدون ان يؤسسوا سلطة القلوب سلطة الحق والاندفاع الطبيعي الى العمل . وقد نجحوا في ذلك ، ودليل نجاحهم انه الآن وبعد ١٤٠٠ سنه نحن كل يوم خمس مرات نقول :

أشهد أن محمدا رسول الله (ص) . هذه هي سلطة القلوب .

وهكذا يجب ان يكون الثوار الاسلاميون ، والحركة الاسلامية في العالم التي نرجوا لها أن تنتصر في هذه المهمة .



● التقوى.. محور المجتمع الاسلامي

هناك كثير من الانظمة التي يحافظ بها الاسلام على استقامة المجتمع وعلى صلاحه ومن شأنها أيضا أن تنشيء الديناميكية والحيوية داخل المجتمع المسلم وتحفر له القنوات التي تجري عبرها طاقاته وفاعلياته في الاتجاه الصحيح . والحديث عن هذه الأنظمة والقنوات ليس حديثا مقتضبا لأنها كثيرة ومتشعبة ، ويجب أن نضرب لها الأمثلة ونبين حكمتها وفلسفتها . الا أن كل تلك الأنظمة والقنوات تعود بالتالي الى نقطة محورية واحده هي التقوى . تلك الأرضية الثابتة التي يبني عليها الاسلام الكيان الاجتماعي .

التقوى هي القاسم المشترك لكل التوجيهات والتعاليم الرسالية . واذا انتزعنا التقوى من مجتمع ما فلن يكون هذا المجتمع اسلاميا أو رساليا حتى لو طبق كل الأنظمة الاسلامية ، كما لو انتزعنا الروح من الكائن الحي فان هذا الكائن الذي لا روح فيه ليس بحي حتى لو قام بكل الأعمال التي يقوم بها الكائن الحي .

ان أكبر الكمبيوترات في العالم والذي يقوم بمئات الألوف من العمليات الرياضية المعقدة التي يعجز الانسان عن القيام بها لا يمكن أن نقول ان له عقلا لأنه يفتقد الحياة كذلك المجتمع الذي لا تقوى فيه فمهما بنى من حضارة مادّية فهو ليس مجتمعا حيا ، ولا يمكن أن يتسم بالاسلام والرسالية أبدا .

السؤال الأول الذي يطرح هو :
ما هي التقوى ؟

التقوى : هي الالتزام الداخلي بالعقيدة الاسلامية ، النابع عن القناعة التامة ، وتذليل الشهوات عن طريق الارادة الصلبة ومع الوعي الكافي .. يمكن أن يكون هذا التعريف مطولا . ولكني حاولت أن أفصله لكي نفهم معنى هذه الكلمة . ليست التقوى مجرد عمل . وانما عمل وراءه التزام وتعهد وتحمل مسئولية . وليست هي مجرد التزام ، فقد يلتزم بشيء أدبيا ، انما يجب أن يكون التزامك نابعا من ايمانك بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر وبالرسالة .

وهذه القناعة يجب أن تكون نابعة من تذليل شهواتك عن طريق عقلك ، فلو كنت انسانا مستقيما تعيش بصورة طبيعية في مجتمع مسلم ولم يسلط عليك ضغط ولم تجد أمامك محرّما حتى تفتتن وتبتلى بارتكابه أو عدم ارتكابه فلست متقيا .

المتقي هو الذي يجرب ويقع تحت الضغوط ولكن ارادته وعقله وبالتالي جوهر انسانيته هو الذي يجعله يتحدى الضغوط .. ويحافظ على استقامته .
كان هذا تعريفاً مفصلا عن التقوى دعنا اذن نبحث عن أهمية التقوى . القرآن الحكيم يذكر التقوى في آيات كثيرة ويبين أفكاراً شتى حولها . الا انك حين تقرأ القرآن وتتدبر فيه تجد ان التقوى هي المحور الأساسي فيه ،

لماذا تصوم ؟

لكي تتقي .

لماذا تحج ؟

لكي تتقي .

لماذا تعطي الزكاة ؟

لكي تتقي .

لماذا شرع القصاص في الاسلام ؟

للتقوى .

ماذا ينفع الانفاق بالنسبة للانسان ؟

ينفعه التقوى .

وهكذا فالآيات القرآنية تبين أن حكمة أكثر الاحكام الشرعية هي الوصول الى مستوى التقوى . والاحاديث بالطبع تجري على نفس المنوال . لنتدبر في طائفة من الآيات القرآنية . القرآن الحكيم يقول :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله ﴾

(١٧٧/البقرة)

وفي آية قرآنية يؤكد القرآن الحكيم ويقول :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ... ﴾

(١/ النساء)

الى أن يقول :

﴿ واتقوا الله الذي تسآءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ﴾

(١/ النساء)

من هذه الآية نستوحي أن محور المجتمع الاسلامي هو التقوى. انظروا ..

* واتقوا الله الذي تساءلون به *

أي أن التقوى هي محور سؤالكم بعضكم عن بعض ومحور ثقة بعضكم ببعض وبالتالي هي عمود اجتماعكم وقاعدة كيانكم . في الآية الأخرى يجعل القرآن العدالة احدى افرازات التقوى . حين تقول الآية الكريمة .

* اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون))

(٨/المائد)

وفي آية أخرى يجعل القرآن الخير والرفاه والسعادة مبنية على أساس التقوى . ويقول :

* ولوأن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون *

(٩٦/ الاعراف)

وفي آية أخرى يجعل القرآن الحكيم التقوى مرة أخرى ركيزة للبناء الاجتماعي الاسلامي ويقول :

* لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه *

(١٠٨/التوبة)

ثم يبين أن أي بناء لا يقوم على التقوى فهو بناء هاو على عروشه .

* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم *

(١٠٩/التوبة)

فالبناء الاجتماعي الذي لا ينبني على أساس التقوى يكون على جرف، على الحافة، وهذا البناء سرعان ماينهار في نار جهنم وفي الآية الأخرى يؤكد القرآن الحكيم على أن الحياة الدنيا، المعيشة الفاضلة ، السعادة الدنيوية مبتنية على التقوى ويقول القرآن :

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾

(٦٣/٦٤ يونس)

أي أن هذه الحقيقة ليست حقيقة مرتبطة ببرهة معينة من الزمن . يعني في زمان الرسول مثلا . لا ، وانما هكذا **﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾** .

في آية أخرى يربط القرآن بين التقوى والاحسان ، ويبين بأن التقوى أهم نوع من أنواع الاحسان ويقول :

﴿ انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع آجر المحسنين ﴾

(٩٠/ يوسف)

الى آخر الآيات .

التقوى تيار اجتماعي

هناك فكرة تستوحى من الآيات القرآنية حول التقوى، وهي أن القرآن الحكيم يطرح التقوى كتيار اجتماعي ، وليس كعمل فردي . وبتعبير آخر التقوى لا تعيش وحدها وانما تعيش ضمن مجموعة بشرية متفاعلة مع بعضها . تجد القرآن الحكيم في سورة البقرة يقول :

﴿ الم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾
(٢/١ البقرة)

ويطرح التقوى كقضية اجتماعية ويقول :

﴿ هدى للمتقين ﴾

وليس لشخص واحد وفي آيات أخرى نجد هذه الحقيقة تتكرر.

﴿ وموعظة للمتقين ﴾

﴿ والعاقبة للتقوى ﴾

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ﴾
(٦٧/ الزخرف)

وفي هذه الآية تأكيد على فكرة ينبغي أن نقف عندها قليلا . انظروا .. القرآن يقول ان أي رابطة تربط الانسان بأخية الانسان لو لم تباركها التقوى فانها ستكون رابطة هشه يمكن أن تنفصم في أية لحظة . وفي آية أخرى يربط القرآن الحكيم بين التقوى وبين السلام الذي ينشده الانسان فيقول :

﴿ ان المتقين في مقام أمين ﴾
(٥١/ الدخان)

هذه هي الآيات التي تحدثنا عن أهمية التقوى وأنها قاعدة أساسية لسائر قواعد المجتمع الاسلامي . وهناك أحاديث تدل على ذات الحقيقة لا بأس أن نبين بعضها وهي كثيرة جدا .

مثلا أبو جعفر الباقر (ع) يقول كان أميرالمؤمنين عليه السلام ، يقول :

((ان لأهل التقوى علامات يعرفون بها .. صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، ووفاء بالعهد ، وقلة العجز والبخل ، وصلة الأرحام ، ورحمة الضعفاء ،

وقلة المؤاتاة للنساء ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم فيما يقرب الى الله طوبى لهم وحسن مآب)) .

ان كل هذه العلامات تتلخص في قضية واحدة وهي الارتباط بالكيان الاجتماعي ارتباطا متينا وحسنا ، فصدق الحديث قضية اجتماعية ، وكذلك أداء الأمانة ، الوفاء بالعهد ، قلة العجز والبخل ، صلة الأقارب ، رحمة الضعفاء ... الخ .

فاذا التقوى ركيزة اجتماعية وتجد في حديث أخر في نهج البلاغة يقول الامام علي (ع) :

((كم من صائم ليس له من صيامه الا الضمأ . وكم من قائم ليس له من قيامه الا العناء ، حبذا نوم الاكياس وافطارهم)) .

اذن فالمجتمع الاسلامي لا يقوم على أساس كثرة الصيام أو كثرة القيام ، انما على قلب العمل وهو التقوى .

وعن الامام علي عليه السلام يقول :

((لا يغرنك بكاؤهم فان التقوى في القلب)) .

أن يبكي الانسان من خوف الله هذا ليس تقوى وانما التقوى هو أن يحطم الانسان في داخل قلبه الحواجز التي لا تدعه يفهم الحقائق ويؤمن بها .

ولا تدعه يوفق أعماله وفق مناهج الله سبحانه وتعالى . وفي حديث آخر يقول الامام (ع):

((التقى رئيس الأخلاق)) .

أي أن سائر الأخلاق كلها تنبني على أساس التقوى .
وفي حديث مفصل يقول الامام علي (ع) :

((أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ، ونحوه قصد سبيلكم ، واليه مرامي مفزعكم ، فان تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى أفئدتكم ، وشفاء مرض أجسادكم ، وصلاح فساد صدوركم ، وطهر دنس أنفسكم ، وجلاء غشاء أعينكم ، وأمن فزع جأشكم ، وضياء سواد قلبكم)) .

فالتقوى بالتالي تعطي الانسان كل ما يحتاجه اذا كان البشر يحتاج الى أن يكون قلبه بصيرا فان التقوى ضياء القلب أو يحتاج الى سلامة الجسد فالتقوى سلامة للجسد أو يحتاج أن يفهم الحياة فالتقوى عينٌ بصيرة للانسان .

((فاجعلوا طاعة الله شعارا دون دثاركم ، ودخيلا دون شعاركم ، ولطيفا بين أضلاعكم ، وأميرا فوق أموركم ، ومنهلا لحين وردكم ، وشفيعا لدرك طلبتكم ، وجنة ليوم فزعكم ، ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ، ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ... الى آخر الحديث)) .

ان الامام على (ع) يبين لنا بأنه لا يكفي أن يكون ظاهر الانسان ملتزما ببرامج الله سبحانه وتعالى ، انما ينبغي أن يكون قلبه كذلك .

انظروا الى التعابير اللطيفة ، ان للانسان شعارا ودثارا (الشعار هو ما يلبسه الانسان تحت ثيابه ، أما دثاره فهو ثيابه الظاهرة) الامام في البداية يقول لتكن التقوى **شعارا دون دثاركم** يعني ثيابكم الالصق الى قلوبكم ، ثم لا يكتفي بذلك فيقول **دخيلا دون شعاركم** ، أي

يجب أن تكون التقوى عند الجلد حتى قبل الشعار . ثم لا يكتفي بذلك فيقول ولطيفا **بين أضلاعكم** أي لا يكفي أن تكون التقوى في جلد الانسان بل يجب أن تكون مستقرة بين أضلاعه .

ولا يكفي أن تكون التقوى مع سائر أعمال الانسان أي يكون عنده مجموعة توجهات احداها التقوى ! لا، وانما ينبغي أن يكون دون أموركم أي أن ما يعطي كل أموركم صبغتها يجب أن يكون التقوى **منهلا لحين وردكم** ، يعني عطشك ، يجب أن تكون ولها الى التقوى ، وأن تستهدفها قبل كل شيء. لا تفكر أن تبني بيتا أو تؤسس اسرة .. الخ ، بل فكر قبل كل ذلك أن تكون متقيا . وفي حديث آخر من الطف ما قاله الامام (ع) حول التقوى :

((**التقوى سنخ الايمان**)) .

ماذا يعني ذلك ؟

يعني ان الايمان الذي لا يثمر التقوى لا خير فيه ابدا . الايمان هو الذي يعطيك التقوى . أما اذا رأيت نفسك مؤمنا بدون تقوى فلا بد أن تشك في ايمانك .

لقد طال الحديث في بيان النصوص التي بحثت عن التقوى . والسبب أنني موقن بأن الركيزة الأساسية للمتجتمع الاسلامي كما سبق وقلت هيالتقوى . وما سنتحدث عنه في المستقبل من مختلف المناهج والبرامج انما هو مرتبط ارتباطا وثيقا بالتقوى .

آثار التقوى في المجتمع الاسلامي

أما الآن فسنقوم ببيان الآثار الايجابية للتقوى في الكيان الاجتماعي .

ان أهم أثرين للتقوى في المجتمع الاسلامي هما :

الاول : أن التقوى هي قصب السبق الذي يتنافس حوله المسلمون .

الثاني : أن التقوى هي القيادة الحقيقية للمجتمع الاسلامي .

دعنا نشرح هاتين الفكرتين ، قبل كل شئ لابد ان نتذكر ان الانسان كما خلق طموحا ومتطلعا فكذلك قد خلق من أول يوم متنافسا . اذا عاش الناس جميعا على الخبز والماء القراح ، فكلهم سيكونون قانعين . لكن تعال وأعط لانسان قصرا من خمسة عشر طابقا وأعط لآخر بناية من خمسين طابقا تجد أن الأول لن يكون راضيا بقصره ، بل يسعى بكل جهده لأن يحصل على ما حصل عليه الآخر وأكثر . فطبيعة الانسان التنافس واذا كان الأمر كذلك فلابد أن يبحث عن مادة يتنافس حولها . حسنا ،

ما هي مادة التنافس ؟

يمكننا أن نقسم محالات التنافس في الحياة الى قسمين :

القسم الاول :

القيم المادية كالجاه والسلطة ، والمال والشهرة والمتع الجسدية والتنافس حول هذه الأمور فيه عدة عيوب كبيرة ،مثلا :

أ - ان هذه الاشياء عرضة للزوال،وحياة الانسان على الارض قصيرة جدا فهو سيموت ويترك وراءه كل ما تعب في جمعه والحصول عليه .

ب - ان طبيعة الانسان محدود بحيث أن تلذذه بالأشياء المادية محدود جدا فمهما كان الانسان

غنيا فانه لن يستطيع أن يأكل الا مقدارا محدودا من الطعام ولا أن يمارس الا قدرا محدودا من المتعة الجنسية .

ج — ان التنافس حول المال سيعود بالأضرار الوخيمة على المجتمع ، حيث ستتركز الثروة في أيد قليلة ويبقى السواد الاعظم محروما فيصبح عرضة للجهل والتخلف ويسود الحقد والكراهية بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء .

د — ان التنافس حول الجاه والسلطة يخلق الحروب والتقاتل لأنه لا يمكن للجميع أن يصبحوا حكاما ورؤساء ، فالمجتمع يكفيه حاكم واحد وكل تنظيم في هذا المجتمع يكفيه رئيس واحد .

وهكذا فالشهوات والقيم المادية محدودة والبحث عنها والتنافس حولها يحطم الفردو المجتمع معا .

القسم الثاني :

القيم المعنوية كالعلم وتهذيب النفس والعمل الصالح الخ ...

وهذه القيم تمتاز بأنها لا محدودة ، فحينما يتنافس الناس حول العلم يستطيع كل منهم أن يحصل على قدر وافر منه دون أن ينقص من علم الآخرين شيئا وحينما يتنافسون في العبادة وتزكية الذات كذلك ، وحينما يتنافسون حول الأعمال الخيّرة كتأليف الكتب وتزكية النشء وتأسيس الأجهزة الاعلامية الصادقة كالصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون الخ ... أو كانشاء المرافق الضرورية مثل المدارس والمساجد والمستشفيات والمصانع ، واعداد الجيش الذي يدافع عن الثغور ، فان المجال مفتوح على مصراعيه للجميع .

القرآن الحكيم يحدد لنا هدف التنافس في المجتمع ويقول :

﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾
(١٣/ الحجرات)

ابحثوا عن التقوى . تنافسوا على التقوى .

﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

(٣٦/المطففين)

﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾
(١٤٨/البقرة)

دعوا سباقكم وتسارعكم وبالتالي تنافسكم يكون حول الخيرات . فالخيرات كثيرة لا يمكن تحديدها . وبامكان الجميع أن يحصلوا عليها . والتقوى باعتبارها ركيزة التنافس وقصب السبق الذي يحاول الجميع أن يصلوا اليه قبل الأخرين فهذا يسبب أن المجتمع دائما يبحث عن التقدم .

وبالتالي يتقدم الجميع وتتقدم البشرية . من هنا يضرب الاسلام وبكل عنف على هذا الوتر ، فالامام على بن الحسين (ع) يقول في حديث مفصل نقتطف منه هذه الفقرة :

((لا حسب لقرشي ولا لعربي الا بالتواضع . ولا كرم الا بالتقوى)) .

وفي وصية النبي (ص) لأبي ذر يقول :

((عليك بتقوى الله فانه رأس الأمر كله)) .

فان كنت تريد أن تصبح رئيسا وتحصل على الرئاسة ، فعليك بتقوى الله سبحانه وتعالى . وأما الامام الصادق عليه السلام ، فيقول :

((من أخرجه الله من ذل المعصية الى عز التقوى أغناه الله بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا بشر . ومن خاف الله عز وجل أخاف الله منه كل شيء . ومن لم يخف الله عز وجل أخافه الله من كل شيء)) .

وفي حديث آخر ينقل الامام علي (ع) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قولَه :

((المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، والجلوس اليهم عبادة)) .

هذا من ناحية التنافس ، اما من ناحية القيادة ، فان أي مجتمع لا يمكن أن يعيش قيما شتى . انما يعيش عادة قيمة واحدة ، تكون محورا له . فمثلا هناك مجتمع يعيش قيمة المادة ، فأغناهم وأكثرهم ثروة هو سيدهم . هناك مجتمع يعيش قيمة الجاه والحسب فأقربهم الى العشيرة الفلانية هو سيدهم ، هناك مجتمع يعيش القوة فأقواهم هو سيدهم . ولكن المجتمع الاسلامي يعيش قيمة التقوى ، لذلك تكون هذه القيمة هي امام المجتمع ويكون أتقى الناس هو سيد الناس . وحينما يكون الأمر كذلك تكون قيادة هذا المجتمع قيادة نظيفة مائة بالمائة . ومن هنا تجد في ذلك الحديث الامام (ع) يقول :

((المتقون سادة)) .

الى هنا واتصور أن الحديث يكفي حول التقوى باعتبارها ركيزة أساسية للمجتمع الاسلامي . ولكن لابأس أن نوجه الأخوة الى قضية هامة وهي أن لا يكون حديثنا فقط من أجل المعرفة . فاذا أردنا أن نعرف المسائل فقط ، فسيكون مثلنا مثل ذلك الذي جعل التقوى دثاره . والاسلام يعطي مثلا سيئا لهؤلاء ويقول :

* كمثل الحمار يحمل أسفارا *
(٥/ الجمعة)

ان سيارة الوانيت التي تحمل مجموعة كتب من المطبعة الى دار النشر ، لا تفهم شيئا من هذه الاسفار وكذلك الانسان الذي يسمع لا لكي يفهم أو يفهم لا لكي يعمل .

لنجعل من المواعظ التي نستفيدها من الاحاديث التي نسمعها ، وسيلة لتزكية أنفسنا ، لنخرق حجب الشهوة والغفلة والضلالة التي تفصل بين قلوبنا وبين الحقائق . لا نردد الكلمات دون أن نكون جديين كتلك العجوز التي يروون قصتها حيث كانت مريضة وتطلب دائما من الله سبحانه وتعالى الموت والخلاص من الدنيا وصادف ان ثور جيرانها أدخل رأسه في برميل فعلق قرنه به وما استطاع أن يخرج رأسه ، فضل طريقه وبحث عن مكان يدخل فيه فدخل في بيت هذه العجوز . وكانت لا تزال جالسة تطلب من الله سبحانه وتعالى الموت فاذا بها ترى هيكلا ضخما يدخل عليها الباب فتصورت أن هذا هو ملك الموت فاخذت تنادي (ان من كان يريد الموت ليس هنا وانما في بيت جيراننا) .

يجب أن لا يكون استماعنا لاحاديث التقوى ومواعظها وأهميتها استماعا للآخرين أو لمجرد الحفظ وقضاء الوقت ، فان الدنيا فرصة وحيدة لنا . واذا انقضت فليست هناك فرصة أخرى للخلاص من عذاب الله الذي يحق للانسان أن يبحث عن الخلاص منه بكل وسيلة ممكنة .

● التقوى: ضمانة ضد الانحراف

في الفصل السابق تحدثنا عن التقوى كأساس للمجتمع الاسلامي وجذر يتفرع عنه كل البرامج والمناهج داخل هذا المجتمع ، وهنا نتحدث عن ثلاثة أمور هامة :

الاول : أهمية التقوى في أعطاء الحيوية والفاعلية للمجتمع .

الثاني : العلاقة بين التقوى والعمل .

الثالث : أن التقوى هي التي تعطي للمجتمع الاسلامي الحصانة ضد الأنحراف التي تحطمه .

التقوى وحيوية المجتمع :

المجتمع الاسلامي هو المحتمع الذي يوجه أبناءه بحيث يعلمون بأن طاقاتهم وامكانياتهم ، وقواهم وفاعلياتهم كل ذلك ينصّب في قنوات سليمة ويتجه الى الأهداف التي يتوخونها ويتطلعّون نحو تحقيقها ، لذلك تجد أن كل فرد مطمئن وموقن الى أنه ذاهب في الجهة الصحيحة ولا يخشى ان يعمل عملا فيستثمر الآخرون نتيجة عمله ، انه يعرف أن المكاسب التي يكتسبها بعمله تكون بالتالي له لا لغيره ، وهذا سيدفع بهذا المجتمع الى المزيد من العطاء .

ولكن كيف يثق المجتمع المسلم الذي يطبق كل القيم والمناهج الاسلامية بهذه الحقيقة ، انه يثق بهذه الحقيقة عن طريق واحد وهو ضرب كل يد سارقة تمتد الى مكاسب

الجماهير ، وقطعها بحزم وبسرعة ، فحينما تقطع الأيادي السارقة ولا يوجد في داخل المجتمع من يفكر أن يستغل الآخرين ، أو يستثمر جهودهم ، حينئذ تجد كل واحد يعمل مطمئنا لانه يعلم بأن عمله سينتهي بالتالي اليه اما مباشرة واما بصورة غير مباشرة .

وبتعبير آخر المجتمع الاسلامي يحفر القنوات التي تصب فيها فاعليات الأفراد بحيث يكون ضفافها هي ضرب كل القيم الفاسدة ، فاذا كان في المجتمع يستطيع الفرد عن طريق السرقة ، أو الاحتيال أو الفسق أو الرشوة ، أو القوة ، أو الجاه والنسب ، أو عن أي طريق فاسد آخر ، أن يحصل على عيشه ومكاسبه ، آنئذ لا يثق الآخرون بالعمل. لماذا يعملون ؟

مادام الطريق الأيسر والأسهل هو أن تسرق وترتشي وتنهب ، وتحصل على أي شيء عن طريق الخداع والتضليل ، فلماذا تعمل ؟
أنك لا تعمل آنئذ .

وذلك حينما يؤكد الاسلام على ضرب الأيادي السارقة لجهود المستضعفين ، والكادحين من الجماهير ، فليس لان هؤلاء مجرمون بحق أنفسهم أو أنهم يسرقون بضعة دنانير فقط ، وانما لكي يشيع في الناس الأمن ويعرفوا بأن عملهم لا يذهب في مكان آخر لانهم اذا خافوا من هذا الواقع ، وتصوروا أن عملهم سيذهب الى جيوب الآخرين ، آنئذ لا يعملون ، فتتوقف الدورة الاقتصادية في المجتمع لذلك تجد مثلا رسول الله (ص) يقول في حديث كريم حين فتح مكة وقام على الصفا .

((يابني هاشم ، يابني عبد المطلب ، اني رسول الله اليكم ، واني شفيق عليكم ، لا تقولوا ان محمدا

منا ، فو الله ما أوليائي منكم ولا من غيركم الا المتقون)) .

هنا يركز الرسول على قاعدة التقوى ، ومحوريتها في المجتمع الاسلامي كما قلنا .

((الا فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الاخرة)).

أي اذا جئت يافلان المنسوب الى رسول الله يوم القيامة وحملت معك البلاد التي فتحتها والأموال التي انتهبتها وما أشبه ، ثم جاء غيرك وحمل معه الزهد والتقوى والعمل الصالح آنئذ لا أعرفك أنت المنسوب اليّ بالنسب ، انما أعرف ذلك الذي ينتسب الي بالحسب والعمل الصالح .

((الا واني قد أعذرت فيما بيني وبينكم ، وفيما بيني وبين الله عز وجل وان لي عملي ولكم عملكم))

وفي حديث آخر جاء عن الامام علي (ع) .

((ان أولى الناس بالانبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلى ﴿ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ ثم قال (ع) : ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحمته ، وان عدو محمد من عصى وان قربت قرابته)) .

في هذه الرواية تجد الامام على (ع) يؤكد بوضوح بأن ولي محمد (ص) ليس ذلك الرجل الذي ينتسب الى رسول الله نسبا ويبتعد عنه حسبا وعملا انما العكس هو الصحيح ، وكذلك الانبياء (ع) وقصة ابن نوح (ع)واضحة ومعروفة ، من هنا نجد أهل البيت (ع) يجهدون أنفسهم ولا يكتفون بأنهم من أبناء رسول الله القريبين اليه ، انما يجهدون أنفسهم عبادة .

والرواية المعروفة عن الامام زين العابدين ، دليل على هذه السلوكية للأئمة (ع) وهي شاهدة على كذب وبطلان كلام أولئك الذين يحسبون أن مجرد الانتساب الى رسول الله هو الذي يعطيهم صك الغفران يوم القيامة ، كلا . الرواية مطوّلة وسنورد قسما منها .

فاطمة بنت علي بن أبي طالب (ع) أتت جابر بن عبد الله الانصاري وهو صحابي جليل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت له :

" ياصاحب رسول الله ، ان لنا عليكم حقوقا وان من حقنا عليكم اذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهادا أن تذكروه الله وتدعوه الى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين (ع) قد انخرم أنفة ، وثفنت جبهته ، وركبتاه وراحتاه ، فأتى جابر بن عبدالله باب علي بن الحسين (ع) وبالباب أبو جعفر محمد بن علي (ع) وبعد حوار طويل بين جابر وبين الامام الباقر دخل أبو جعفر وهو ابن الامام زين العابدين الى أبية وأخبره الخبر وقال ان شيخا بالباب وقد فعل بي كيت وكيت فقال يابني ذلك جابر بن عبد الله ، ثم يقول جابر :
" وجدته في محرابه ، قد أمضّته العبادة ، فنهض علي وسأله عن حاله سؤلا حثيثا ، ثم أجلسه ، فاقبل جابر عليه يقول يابن رسول الله ما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ، أما علمت بأن الله خلق الجنة لكم ولمن أحبكم ، وخلق النار لمن أبغضكم ، فقال له علي بن الحسين عليه السلام :

((ياصاحب رسول الله ، أما علمت أن جدي رسول الله قد غفر له الله من ذنبه ما تقدم وما تأخر فلم يدع الاجتهاد وقد تعبد بأبي هو وأمي حتى انتفخ منه الساق وورم القدم ، فقيل له أتفعل ذلك وقد غفر

لك الله عن ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال ، أفلا أكون عبدا شكورا ؟)) .

فلما نظر جابر الى على بن الحسين وأنه ليس يغني فيه قول من يستميله من الجهد والتعب الى القصد ، قال له يابن رسول الله البقاء على نفسك فأنك من أسرة بهم يستدفع البلاء ، ويكشف اللأواء ، وبهم تستمطر السماء ، فقال يا جابر لا أزال على منهاج آبائي (ع) حتى القاهم فأقبل جابر على من حضر وقال والله ما رؤي من أولاد الانبياء مثل على بن الحسين (ع) الا يوسف بن يعقوب .

هكذا كان على بن الحسين ، انهم لم يكونوا يكتفون بأنهم من أولاد رسول الله أو من أولاد علي أو من أولاد الحسين ، انما كانوا يجهدون أنفسهم هذا الاجهاد كل ذلك لأنه قبل أن يبدأ الاسلام باقامة المجتمع الاسلامي فانه ينظف هذا المجتمع من القيم الفاسدة ، ولذلك فعندما سأل ابراهيم ربّه سبحانه وتعالى أن يعطي الملك والامامة لأولاده جاءه الجواب الالهي :

﴿ لاينال عهدي الظالمين ﴾
(١٢٤/البقرة)

عهدي أي امامتي ، ولأيتي ، خلافتي ، لا يمكن أن يصل الى الظالمين وسيكون في ذريتك يا ابراهيم بعض الظالمين قبل كل شيء الاسلام يضرب القيم الفاسدة وذلك يعني ضرب أولئك الذين يستفيدون من هذه القيم ، حينما يقول لك نبيّ الاسلام بان العصبية في النار وانه لا عصبية في الاسلام الا عصبية عمي حمزه حينما يقول هذه الكلمات الشديدة الحاسمة القوية ، فانه يقصد بها أولئك الذين يستفيدون من العصبية ويريدون أن يستثمروها ، ويقيموا المجتمع البشري على أساسها .

هناك من ينتفع بالعصبية ، كالقومية الضيقة والوطنية المزيفة ، والاقليمية البغيضة .. فلولا الاقليمية لسقطت عروش ، ولولا القومية لتحطمت أحزاب ومنظمات مشبوهة ، ولولا الوطنية ، لما استطاع الطغاة أن يتحكموا برقاب الشعوب ، ولكن هذه القيم الفاسدة هي التي مكنت الطغاة من رقاب الجماهير المؤمنة .. الاسلام يضرب هذه القيم الفاسدة لكي تعيش المجتمعات على أساس التقوى والعمل الصالح وحينما يضرب الاسلام بعض الأمور بالأخرى مثل قيمة الدم ، والعنصرية ، حتى بعض أنواعها الخفية ، كالعنصرية الجنسية حسب ما أُسميها أي تفوق الرجل على المرأة ليس بالعمل وانما لمجرد أنه رجل ولمجرد أنها امرأة ، الله سبحانه وتعالى يؤكد بأن الرجال قوامون على النساء ولكن بماذا ، الرجال قوامون على النساء بما أنفقوا من أموالهم ، وبسبب ما تفضل بعضهم ببعض أي بالعقل ، أما أن يكون الرجل لمجرد أنه رجل متفوقا على المرأة فهذه عنصرية جنسية مرفوضة عند الاسلام • وهذا بخلاف ما يرتبط بالتنظيم الاجتماعي داخل الأسرة ، انما أقصد عموم المجتمع ، فاذا رأينا امرأة كاتبة تكتب أفضل من غيرها ، وهناك رجل كاتب ولكن تأليف الرجل وكتابته ودراساته أقل قيمة علمية من أعمال تلك المرأة فأيهما نقدم ؟

اننا لو قدمنا الرجل في هذه الحالة ، فقد كفرنا بقيمة التقوىو العمل الصالح وغيرنا حكم الله سبحانه وتعالى الذي يأمر بأن ،

* أكرمكم عند الله أتقاكم *

حينما يضرب الاسلام هذه القيم الفاسدة فانه يصنع حصنا لجهودك ، ويكون الامر أشبه شيء كما قلت بشاطئي

النهر اللذين يحفظان مياهه ، فاذا لم تكن هناك شواطيء ولم تكن هناك ضفاف للأنهر لكان الماء يسيل في كل مكان ولم يكن لينفع الزرع والضرع ، أما وجود هذه الجدران التي تحفظ المياه فهو الذي يمنح الماء الحصانة الكافية للوصول الى أهدافه ، كذلك جهودك في المجتمع الذي تسود فيه القيم الفاسدة لا يمكن لها أن تثمر لأنك مهما عملت واجتهدت فان نتيجة عملك سيكون لمن ؟ للأخرين ٠

ان أحد أسباب التخلف في العالم الثالث هو قلة الأدمغة ، ولكن هل خلق الله البشر في العالم الثالث أقل ذكاء وُفطنة من العالم المتقدم ؟

كلا ٠

ان الله أعطى للناس قدرا متساويا من العقل والذكاء ، ﴿ قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ﴾ ولكننا هنا كلما ربينا أدمغة من المفكرين والمهندسين والاطباء ، والخبراء الاجتماعيين والسياسيين ومن أشبه فانهم لا يجدون المجال المناسب ٠
يفاجأون بان من هم أقل منهم علما وخبرة قد أصبحوا رؤساء عليهم لاعتبارات فاسدة كأن يكونوا من الاسرة الحاكمة أو من حملة الجنسية الكذائية ... الخ ٠

وعندما يرون أنهم قد أجهدوا أنفسهم وعملوا ليل نهار من أجل وطنهم ومع ذلك لم تقدّر جهودهم ولم تحترم شخصياتهم فانهم يحملون أمتعتهم ويأخذون جوازات سفرهم ويهربون الى أوربا أو امريكا ٠٠ اذهبوا وانظروا كل من عنده مقدار من المعرفة والعلم والنشاط فانه يهاجر الى تلك البلاد حتى أنه في سنة واحدة كتب في تقرير أن الولايات المتحدة الامريكية استفادت عشرين مليار دولار من الادمغة الهاربة من العالم الثالث الى الولايات المتحدة

الامريكية ، لماذا ؟
لعدم وجود احترام لقيمة العلم ، والعمل الصالح وبالتالي لقيمة التقوى بسبب سوء النظام الذي يسود بلادنا .

التقوى والعمل .

في حديث شريف أن قليلا من العمل مع التقوى خير من العمل بدون تقوى ، لماذا ؟
لعدة أسباب .

السبب الاول :

ان التقوى ليس فقط تدفعك الى العمل ، وانما أيضا توجد فيك تلك الدوافع المباركة الكريمة التي تدعوك الى الاستمرار في العمل .

وكثير من الناس يندفعون الى العمل من وحي العواطف وبسبب ردود الفعل وهؤلاء سرعان ما تخبو في أنفسهم جذوة العمل ويتوقفون ويتركون العمل ويكون ضررهم على العمل أكثر من نفعهم ، الذي يبني مثلا نصف بناية وليس بناية كاملة يأتي ويحفر الارض ويضع الأساس ويبني نصف بناية هذا ضرره على المجتمع أكثر من نفعه ، لماذا ؟
لان هذا الانسان قبل أن يبني هذه الارض كانت صالحة للبناء هذه المواد الانشائية كانت مفيدة للبناء امّا الان فانه أشغل الارض وأيضا أفسد المواد الانشائية ، بينما الذي يعمل اندفاعا لله سبحانه وتعالى وبدافع التقوى فانه يستمر في عمله ، ولذلك جاء في الحديث .

((قليل من العمل تدوم عليه خير من كثير لا تدوم عليه)) .

السبب الثاني :

حينما يكون العمل مع التقوى تكون وجهة العمل وجهة سليمة أما اذا كانت وجهته وجهة باطلة فانه ظاهرا قد يكون كبيرا ومفيدا ولكنه في لحظة واحدة يتحطم ويكون مثله مثل البقرة الحلوب التي تعطي مقدارا كبيرا من اللبن السائغ ولكن في آخر لحظة تضرب برجلها اناء الحليب فتقلبه .

كثير من الناس يعمل الواحد منهم ويجتهد ، يكتب يحاضر .. الخ ، ولكن في سبيل أي شيء ؟
في سبيل أن يصبح رئيس جمهورية ، وبعدما أصبح رئيس جمهورية يتحالف مع المنافقين ومع كارتر ليحطم منافسية ويستقر في الحكم مثل ما فعل بني صدر والذي ربما كان يعمل (١٨) ساعة في اليوم ولكن لأي هدف ؟
حينما كان هدفه هدفا فاسدا فانه أفسد أكثر مما نفع .

والقوى الكبرى كذلك تجتهد وتبني المصانع والمعاهد وتقوم بالدراسات العلمية المكثفة .. الخ ولكن بالتالي من أجل ماذا ؟
من أجل أن يصنعوا قنبلة ذرية ، وهدروجنية ونيوترونية وبالتالي ليحطموا العالم .. " ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك " .

حينما أعطى الله الزينة والأموال لفرعون لم يعطه ذلك لكي يضل عن سبيل الله ويحطم البلاد ، ويستضعف الجماهير ويستثمرهم اذن التقوى ضمان لوجهة العمل بينما العمل الذي يكون وراءه دافع فاسد يكون ضرره أكبر من نفعه ، وبذلك فان رسول الله (ص) في احدى غزواته رأى رجلا مقتولا فقال هذا شهيد الحمار ، لان هذا حينما رأى المسلمين يذهبون الى المعركة ، ذهب معهم

لأنه يعلم أن في جبهة العدو حمارا فارها قرّر أن يستولي عليه ، ولكن الدائرة دارت عليه فقتله صاحب الحمار وهكذا خسر دنياه وآخرته ، ومثل هذا في الحياة كثيرون ولذلك فان تعبهم ومجهودهم يضيع هباء منثورا .

الامام علی (ع) في يوم الخندق حينما جلس على صدر عمر بن ود ، بصق عمرو في وجه الامام (ع) فقام الامام ومشى خطوات ثم عاد فقتله ، فتعجب المسلمون وقد كانوا ينتظرون قتل عمرو ويخشون أن تحدث مفاجأة غير مرتقبة ، فسألوا علياً ..
لماذا أخرت حز رأسه والاجهاز عليه ؟
قال لانه بصق في وجهي فثار غضبي وكنت أريد أن أعمل هذا العمل تقربا الى الله وخالصا لوجهه تعالى دون ان يداخله غضب لنفسي وانتقام لشخصي ، وهكذا الاسلام يجعل العمل في اطار التقوى محوراً للمجتمع .

التقوى ضمانة ضد الانحراف :

العمل قد يخلف رواسب نفسية سلبية داخل نفس العامل الا العمل الصادر عن التقوى ، أي انسان يعمل يرجو جزاء عمله ، لذلك يتعقّد اذا لم ير المجتمع شاكرا لعمله وشيئا فشيئا يصبح انسانا معقدا وضميره ضميرا أسود ، وربما يصبح سبعا على الناس . أما المتقي الذي يعمل من أجل الله سبحانه وتعالى فانه لا يزداد بكثرة العمل الا اجتهادا ، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى في سورة " هل أتى " عن العاملين في سبيل الله :

﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقّاهم نضرة وسرورا ﴾
(١٠/ الانسان)

هذا هو العمل السليم وهذا هو السبب الذي يجعل الاسلام يؤكد على محورية العمل في اطار التقوى ، وبعدما يتم هذا الأمر داخل المجتمع المسلم وتنظف أرضية المجتمع من القيم الفاسدة ومن الذين ينتمون الى هذه القيم ويعيشون عليها ويكتسبون من ورائها ، بعدئذ يبدأ الاسلام في دافع الفرد الى الجهاد والجهاد غير العمل الصالح بالرغم من أن الاسلام يؤكد على العمل الصالح في ما يزيد على مائة وعشرين مرة في القرآن الحكيم ، فالجهاد هو أن تبذل كل ما لديك من قوة ومن امكانية فكرية ومادية وغيرها في سبيل الله ، والمؤمن الحقيقي يفعل ذلك لأنه لا يجد هناك مانعا أمامه بل يجد الدافع الكافي ، وذلك بعد أن تنظف أرضية المجتمع وتكرس قيمة التقوى داخله .

وفي نهاية حديثنا سنتلو عليكم بعض الأحاديث التي تركز القيم الصالحة في المجتمع الاسلامي .. في حديث شريف ، يقول الامام على بن الحسين (ع):

((ان أبغض الناس الى الله عز وجل من يقتدي بسنة امام ولا يقتدي بأعماله)) .

وأني لأتصور أن هذه قيمة فاسدة تورط المسلمون فيها ومع الأسف فهي سبب رئيسي لكثير من الكسل والتوكل داخل المجتمعات الاسلامية ، انهم يحسبون بمجرد أن قالوا نحن من أتباع على (ع) والحسين (ع) ومحمد عليه الصلاة والسلام - فان ذلك يكفيهم ، بينما القرآن والأحاديث والأئمة يقولون هذا لايكفي ، بل يقولون انهم أبغض الناس الى الله عز وجل .

ولماذا أبغض الناس ؟

لأن سائر الناس لا يعرفون الامام وأنت تعرف وتعترف له بالامامة ولكنك لا تطبق كلامه !

وفي حديث آخر يقول الامام الباقر (ع):

((يا جابر — جابر الجعفي وليس جابر بن عبدالله — بلّغ شيعتي عني السلام ، وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل ولا يتقرب اليه الا بالطاعة له ، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا ، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا)) .

وهل نحن بحاجة الى حديث أكثر صراحة من هذا الحديث
وفي حديث آخر يقول الامام أبو جعفر (ع) لخيثمة :

((ابلغ شيعتنا أنا لا نغني عنهم من الله شيئا وابلغ شيعتنا أنه لا ينال ماعند الله الا بالعمل وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره ، وأبلغ شيعتنا أنهم اذا قاموا بما أمروا أنهم هم الفائزون يوم القيامة)) .

هذه الأحاديث هنا تضرب القيم الفاسدة ومنها هذه القيمة ، قيمة الولاء الكلامي ، أو ولاء الأمنية أن صح التعبير ، هذا الولاء يضربه الاسلام ، ويضربه القرآن وكل الأئمة (ع) .

وبعدما يؤسس الاسلام قاعدة العمل وينظفها من الدخائل فانه يدفع المسلم الى العمل يقول الامام عليه السلام ، نقلا عن رسول الله :

((بادر بأربع قبل أربع .. شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك)) .

وفي حديث آخر يشبه الحديث يقول الرسول (ص) :

((لا تزول قدم عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع .. عن عمره فيم أفناه وشبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن حبنا أهل البيت)) .

وفي حديث آخر يدفعك الى العمل بصورة أخرى يقول الامام أميرالمؤمنين ، وقد جاءه شيخ من أهل الشام :

((ياشيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون ، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها ، ومن كان غده شر يوميه فمحروم ، ومن لم يبال مارزئ من آخرته اذا سلمت له دنياه فهو هالك ، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى ، ومن كان في نقص فالموت خير له)) .

اليوم هو جزء من عمري وهذا اليوم يذهب دون أن اكسب بديلا عنه ، أجرا عند الله أو مكسبا في الدنيا ، هذا الانسان الأفضل له أن يموت لأنه ينقص ومن ينقص يوما بعد يوم فالأفضل أن يذهب ، وفي حديث آخر يدفعك الامام الى العمل بأسلوب ذكي آخر يقول الامام علي (ع) :

((مامن يوم يمر على ابن آدم الا قال ذلك اليوم ، يا ابن آدم أنا يوم جديد ، وأنا عليك شهيد ، فقل فيّ خيرا واعمل فيّ خيرا ، أشهد لك به يوم القيامة فانك لن تراني بعده أبدا)) .

هذا الحساب ، هذا الشعور هو الذي يدفعك الى العمل الجدي ، خصوصا حينما يكرس فيك الاسلام الايمان بالآخرة فانك تعرف بأن قدميك يوم القيامة لا تزولان الا بعد ان تسأل عن كل أعمالك وتصرفاتك في الدنيا ، وما هو موقفك بالنسبة الى الطاقات والنعم التي تفضل الله سبحانه وتعالى بها عليك .

ولو أننا استوحيناه من هذه الاحاديث الشريفة ومن النصوص أسلوب حياتنا ، وقيم مجتمعنا لاستطعنا أن نبني ذلك المجتمع الحيوي الفاعل الذي يستطيع أن يخرق كل الحجب ويصل الى أهدافه باندفاع وسرعة باذن الله .

المجتمع الأسلامي والصراع الحضاري

١- الاستباق في الخيرات.

٢- الحوافز الاجتماعية.

٣- حيوية المجتمع و فاعليته.

٤- كيف نضمن تفوق المجتمع.

٥- التكامل العضوي و التنظيم الداخلي.

٦- المجتمع الاسلامي و الصراع الحضاري.

● الاستباق في الخيرات

ان للتنافس والاستباق الى الخيرات ، والمسارعة الى الجنة ، دورا حاسما وأساسيا في دفع المجتمع الى الامام وفي المحافظة على خطه العام ، والاسلام باعتباره الرسالة التي انزلت بعلم الله المحيط بكل بشيء ، لذلك فانه يخطط في بعدين .

البعد الاول : الشعور الذاتي الفطري .

البعد الثاني : الأنظمة الاجتماعية .

الأنظمة الاجتماعية في الاسلام تتوافق تماما مع ذلك الشعور النابع من أعمق أعماق الفطرة البشرية ، فالاسلام من جهة يبعث فيك الاحساس بالتنافس والشعور بالاستباق وبالتالي يريدك أن تنظر الى الأخرين وتتخذ من عملهم مقياسا لمدى عملك ، ومن جهة ثانية يدفعك الى ذات القيم التي يدفعك اليها ، فطرتك وقلبك وعقلك .

ومن هنا سنقسم حديثنا في هذا الفصل الى قسمين يبدوان مختلفين ويسير كل واحد منها في اتجاه ولكنهما في الواقع يلتقيان ويتكاملان .

في القسم الاول من حديثنا نعود بكم الى الوراء قليلا لنكرر ما قلناه سابقا حول ماهية الحياة .

الحياة في الجسم الحي عبارة عن وجود نواة ابتدائية صغيرة تتفاعل معها الجزيئات وتكبر هذه النواة مع المحافظة على وحدتها ، ما الذي يحافظ على

وحدة اليد مع العين مع الرجل ؟ وما الذي يجعل خليتين متباعدتين في جسم الانسان تتفاعلان وتعملان سوية ؟ لا نعلم بالضبط ماذا ، ولكننا نحن البشر نسمي تلك النواة الواحدة التي تجمع مختلف الخلايا وتوجهها باتجاه واحد، بالروح وعندما تنتزع هذه الروح تنعدم الحياة ، وتتجه كل خلية في اتجاه ، بل تتجه كل مادة كيماوية في اتجاه معين ، الأملاح تذهب الى الارض ، الماء يتبخر في الجو ، الأوكسجين يتطاير ، على العموم هذا الجسد الواحد يتبدل الى عشرات بل مئات المواد المنتشرة ، كل مادة تبحث عن مثيلها لتعود اليها .

وهكذا المجتمع الحي هو ذلك المجتمع الذي يتمحور حول نواة واحدة ، تربط بين أعضائه المختلفة ، بعض الناس يزعمون بأن علاقة أبناء المجتمع ببعضهم غير حقيقية ، ولكن الحقيقة التي يعترف بها كل العلماء والمفكرين في العالم هي أن ارتباط أعضاء المجتمع ببعضهم حقيقي ، تماما كارتباط أعضاء الجسد الواحد ببعضه ، أي هناك حبل موجود يربطك بي ويربطني بك ، هذا الحبل حق وليس شيئا وهميا ، ما هو ذلك الحبل ؟

في المجتمات المؤمنة الحبل هو وجود الأحساس الديني عند كل الأفراد وهو الشعور العميق بالأتصال بالله سبحانه وتعالى المتجذر في أعماق قلوب البشر ، هذا الشعور هو الذي يربط المؤمنين مع بعضهم في كل مكان ، وانه شيء حقيقي .

والشعور شيء معنوي لا ينحصر في حيّز معين ، أي حينما نقول الشعور الديني النابع من الايمان الصادق بالله سبحانه وتعالى ، فلا نعني أن هذا الشعور يجري في جسدك كما السائل في الظرف مثلا ، كلا وانما هو شيء فوق المادي كما الجمال والعلم وحبّ الخير ، وكلما ازداد

هذا الشعور وتعمق هذا الاحساس وتبلورت هذه الفطرة في ضميرك وضميري وقلبك وقلبي كلما ارتبطنا أكثر وتبلورت وحدتنا أكثر ، واعتصمنا بذلك الحبل الذي يأمر بالاعتصام به القرآن الحكيم حين يقول :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

(١٠٣/العمران)

وهكذا الأحاديث التي تؤكد على ضرورة العمل ، ليست بعيدة عن تلك النصوص التي تحدد لنا واجب التنافس والمسارعة الى الخيرات ، فالأحاديث التي تدعونا الى التنافس ، من أجل أن يكون أحدنا أقرب الى الله من الأخرين ، انما تبلور فينا تلك الفطرة القائمة فعلا .

والشعور بالتنافس جزء من النزعة الأجتماعية في المجتمع وانها تشبه الروح في الانسان ، والاسلام حين ينمي هذه النزعة ويطهرها فانما يضرب على الوتر الحساس .

وخلال تلاوتنا الآن لنصوص التنافس ، سوف نوضح انشاء الله هذه الحقيقة .

النصوص التي تحثنا على العمل :

النصوص الشرعية التالية تؤكد على العمل والسعي وتدعو الى التنافس ، وتحمل ذات الفكرة التي تؤكدها من أجل الوصول الى الله .. بالتقوى .. يقول القرآن الحكيم :

﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

(٦٢/ البقرة)

ويوحي هذا النص ان التنافس يجب أن يكــــون حول الايمان والعمل الصالح أي حول محور التقوى ، وأن ماعدا ذلك من القيم والاسماء والانتماءات لا تعني شيئـــا بل أنها سوف تتلاشـــى .

وفي آية أخرى يؤكد القرآن الحكيم لنا بان مـــا نعمله سنجده عند الله سبحانه ، هذه الآية تثيـــر فينـا دفوعات هائلة نحو العمل لأن الانسان اذا أكتشف ان عملـه سيبقى ولن يضيع فانه سيندفع الى العمل الصالح لانه يرى أن عمره يذهب ، أما عمله يبقى ، فلماذا لا يستفيد مـــن عمره الزائل من أجل عمله الباقي ، القرآن يقول :

﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير ﴾

(١١٠/البقــرة)

ان كل عمل يعمله الانسان في طريق الخير فهو مـــن أجل نفسه حتى ولو كان من أجل الآخرين ، لأنك حينما تعمل للآخرين ، فان هذا العمل سيتضاعف ويعود اليك من حيـــث تشعر أو لا تشعر .

وهناك حديث شريف مضمونه .. حينما تريد أن تــدعو بخير ويستجاب دعاؤك فلا تدع بهذا الخير لنفسك وانمـــا ادع بــه للآخرين من اخوانك المؤمنـــين ، لان اللـــه سيكتب لــك مثــل ذلــك . وفي آيـــة أخـــرى يقـــول الـــه سبحـــانه وتـــعالـــى :

﴿ وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا انكـــم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾

(٢٢٣/البقــرة)

والآية الأخـــرى تقول :

﴿ يـــوم تجـــد كـــل نفـــس مـا عملـــت من خيـــر محضرا

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه و الله رؤوف بالعباد ﴾
(٣٠/ال عمران)

والآية الأخرى في سورة النساء تبين ذات الفكرة التي سبق وأن قلناها وهي أن المحور الأساسي هو العمل الصالح النابع عن الايمان الحق . القرآن يقول :

﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾
(١٢٣/١٢٤/النساء)

وهناك آية تقول :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾
(٧/الزلزلة)

أن أعمال الخير وأعمال الشر تبقى ولا تزول وهي محور جزاء الانسان في الدنيا والأخرة ولكن لا يعرف الانسان كم من عمل الخير يجب أن يقدم ، وكم من عمل الشر يجب أن ينتهي عنه ويجتنبه ، من أجل أن يدفعك الاسلام الى أن تجتهد في سبيل عمل الخير ولا تدع عمل خير الا وتقوم به ، ولا تبقي من عمرك لحظة الا وتعمرها بعمل الخير ، فان القرآن يقرر أنه في يوم القيامة ينصبون الميزان ، كفة فيها أعمالك الخيرة ، وكفة فيها أعمالك الشريرة ، مع العلم بأن أعمال الخير بعضها تقبل وبعضها لا تقبل ، آنئذ يشعر الانسان بقيمة حبة الخردل من عمله ، هذه الأعمال الصغيرة التي نستهين بها آنئذ نشعر

بقيمتها ، واذا كنا الآن عقلاء واستشعرنا أنفسنا وتحسسنا بذلك الموقف فالآن نستطيع أن نعمل وعملنا ينفع ولكن بعد فوات الأوان لا نستطيع أن نعمل ، فنندم ، والندم لا ينفع شيئا وأعوذ بالله من ذلك اليوم ، لذلك في الحديث :

((ودع فخرك الى الميزان))

في ذلك اليوم اذا رجحت كفة الحسنات على كفة السيئات ، فيحق لك أن تفتخر ولكن اليوم قبل أن تعرف مصيرك لا تستطيع أن تقول شيئا ، هذا هو الدافع الذي يدفعنا الاسلام اليه ، ويقول القرآن الحكيم :

﴿ وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهي ، نار حامية ﴾

(٨/ القارعة)

هذا نهايته ، مصيره الهاوية التي هي نار حامية ، فهل الأفضل أن يعمل الانسان أو لا يعمل ؟ وأن يجتهد أو لا يجتهد ، انظروا.. القرآن الحكيم ورسالات السماء تبلور في نفسك هذا الأحساس ، هذا الأحساس ما هو بأحساس اجتماعي ، انه احساس فردي ، تعيشه أنت بينك وبين الله ، حتى ولو كنت على رأس جبل يزيدك هذا النوع من الأحاديث والنصوص اندفاعا الى العمل ليل نهار، المؤمنون المتقون الذين أيقنوا بأن الآخرة حق ، تراهم يتعبون أنفسهم ويجهدون ، بل يكادون يهلكونها في سبيل العمل .

وهذا الأحساس الديني هو الاحساس الذي لم يفهمه كثير من علماء الاجتماع. ونحن اذ نؤكد على مسألة التنافس لا نراها الدافع الوحيد وقد أخطاء بعض علماء الاجتماع ، مثل العالم المعروف " دوركايم " أخطأفي فهمه للدوافع

الذاتيه عند الانسان كما يؤكد ذلك الكاتب الدكتور " قبّاري محمد اسماعيل " في الجزء الثالث من كتابه علم الاجتماع والفلسفة :

" وقد كانت آفة دوركايم أنه لم يميّز بين ما هو اجتماعي ، ولم يضع خطا فاصلا بين العنصر الفردي، في الدين والعنصر الاجتماعي ، حيث أننا نجد بالضرورة أن الشعور الديني هو شعور جوهري ذاتي قبل أن يكون شعورا اجتماعيا " .

وحسب ما يقول " أندرو لانج " وهو أحد العلماء الاجتماعيين البريطانيين :

" لقد بدأ العنصر الديني نقيا خالصا ، ثم جاء العنصر الاجتماعي كي يغلّفه من الخارج بشعائر وطقوس ، فيحجب الغطاء الاجتماعي الشعور الديني ، ويطغى على الجوانب النقية "

وكما يقول أحد العلماء الآخرين ،وهو "رينيه لوسن" وهو أحد العلماء الفرنسيين :

" أن الشعور الديني ، هو القوة الروحية الباطنة التي تسمو بالانسان فترفعه من عالم المادة الى عالم الروح بدافع التجرد الخالص والحب العميق وعندئذ يتجلى الجليل سبحانه وتعالى للقلب الانساني وينكشف في تجربة روحية خالصة ، وهنا تصبح الألوهية فكرة ذاتية محضة بالنظر الى الله تعالى كموضوع عبادة ومحبة " .

حينما يقترب الانسان الى الله سبحانه بفطرته الأولية النقية فانه يفعل ذلك حبا في الله ، واحساسا بضرورة الاتصال بينبوع المحبة والعظمة والجمال وهذه الأدعية التي تقرأ في شهر رمضان وبالذات دعاء البهاء ث يرد فيه ..

" اللهم اني أسألك من بهائك بأبهاه ، وكل بهائك بهي اللهم اني أسألك ببهائك كله . اللهم اني أسألك من جمالك بأجمله ، وكل جمالك جميل ، اللهم اني أسألك بجمالك كله " الى آخر الدعاء .

هذا الدعاء يثير في أعماق وجدان الانسان ذلك الأحساس الديني النقي النظيف المفعم حيوية وروحا وصفاء ونقاء ، ولو لم يكن عند الانسان هذا الاحساس فآلاف الأدعية والنصوص والتوجيهات لم تكن تنفعه شيئا لذلك يقول أحد المفكرين وهو " برتيسون " :

" ان الدين يتصل بمنابعه في القلب لأنه نزعة فطرية خالصة قد تدوم بالمعاناة في عزلة وقد تثمر في المجاهدة في خلوة روحية " .

ولقد أكد " ديسو " على قيمة التأمل الديني واكتسابه في العزلة حين يصل الانسان الى حالة الانجذاب فيتجلى الله سبحانه للفرد . هذا الاحساس الديني والعميق في فطرة الانسان بالعمل وبضرورة خلاص الذات من أهوال يوم القيامة ومن النار ، يستفيد منه الاسلام اجتماعيا أيضا ، فيجعله متوافقا مع الشعور الاجتماعي ، وهذا هو الفرق الكبير بين المجتمع الاسلامي والمجتمع الجاهلي الذي يعيش حالة الأنفصام والتنافس . ففي هذا المجتمع يدعوك احساسك الداخلي الى الايمان ، الى الاجتهاد من أجل الله ، الى النقاء ، الى التقوى ، وهذا يدعوك الى هذا الجانب ، بينما تجد من جانب اخر المجتمع يدفعك الى التنافس على المال ، على الجاه ، على السلطة ، على القيم الفاسدة وما أشبه ، فانك تعيش آنئذ الانفصام ، وكلما تبتلع حبوبا مهدئة ، وتتجة لاسمح الله الى الخمرة ، الى القمار والمعاقرة ، فانك لا تجد الراحة لأن الانسان الذي أخذت تتجاذبانه قوتان مختلفتان

في اتجاهين متضادين ، فانه لا يقدر أن يعيش الراحة .

المجتمع الجاهلي مجتمع يعيش التنافس على القيم الزائفة في الخارج ، ويعيش الاندفاع نحو الدين في الداخل كبشر مفطور على حب الله ، لذلك لا يكون مجتمعا هادئا فاضلا ، أما المجتمع الاسلامي فان ذلك التنافس الخارجي سيتمحور هو الآخر حول ذلك الاحساس الداخلي ، وبالتالي يعمق الحياة في هذا المجتمع ، لأنه كما قلنا ذلك الاحساس الروحي الداخلي هو الذي يجمعنا مع بعضنا ويفجر فينا ينبوع الحياة ويجعلنا أمة واحدة .

لنقرأ الآيات الكريمة التي تدعونا الى التنافس على الخير وعلى العمل الصالح ، القرآن الحكيم يقول في سورة البقرة :

﴿ ولكل وجهة هو موليّها ، فاستبقوا الخيرات ، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، ان الله على كل شيء قدير ﴾

(١٤٨/البقرة)

فلديّ مثلا نزعة بناء البيت ، ولأخي حب زراعة الارض أما ابن عمي فعنده هوى التأليف وأما ابن خالي فيحب الطباعة ونشر الكتاب ، وهكذا خلق الله البشر ، كل واحد منهم يحب شيئا ، ويتجة في اتجاه معين ، القرآن يقول لابأس أن يختلف الناس ويتفاضلوا بالميزات وكل يتجة في اتجاه ، ولكن بشرط أن تكون وجهات الجميع خيرا كل يعمل بالخير في اتجاهه الخاص به ، أطبع الكتاب الحق ، وأبني البيت من أجل الناس ، وأفلح الارض مثلا من أجل الاكتفاء الذاتي ، وأنشر الكتاب المفيد النافع للمجتمع ، هذه الاعمال التي يقوم كل واحد بجزء منها ، اذا كانت كلها صالحة ستجتمع بالتالي في اتجاه واحد .

﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ﴾

القرآن الكريم يقول أعملوا أي عمل شئتم ولكن بشرط أن يكون في اتجاه الخير ، أي نوع من الخير لابأس فيه ، المهم أن يكون خيرا ، وليكن تنافسكم جميعا في هذا الأتجاه ، وفي آية أخرى حينما يبين القرآن الحكيم اختلاف شرائع الناس يبين أن هذه الاختلافات والطبائع المتفاوتة يجب أن تخدم هدفا واحدا ، وهو المسارعة الى الخيرات والمنافسة عليها ، لنقرأ المجموعة التالية من الآيات لتعرفوا السياق ، القرآن يقول :

﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

(٤٧/٤٨/المائدة)

كان من الممكن أن يجعل الله الكون كله شكلا واحدا وأمة واحدة ولكن الله أبى أن يخلق البشر هكذا . انما جعل لكل منكم شرعة ومنهاجا ،

لماذا ؟

﴿ ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ﴾

فهذا الاختلاف يخدم حكمة الله سبحانه وتعالى في الكون ، القاضية بان يبلو الله البشر من النعم التي أعطاها اياهم ، الله أعطاك العقل واعطاك القوة وأعطاك المال وأعطاك كل شيء ، لماذا ؟

ليختبرك عن طريق وجود الاختلاف الذي يدفعك أنت ويدفع ذاك الى العمل فالأعمال تتفجر من كل صوب وبالتالي تعمر الارض وتستخرج ما في الانسان والطبيعة من طاقات وامكانات وتسخر من أجل مصلحة البشر .

اذن الاختلاف أمر طبيعي ، ولكن الشيء المهم عند الاسلام أن يكون هذا الاختلاف في اتجاه الخيرات ، ان يكون الاستباق والمنافسة في عمل الخير .

ان للانسان طاقات لا تحد ، وفي الطبيعة قوى لا تنفد والخلاف يفجّر طاقات البشر بأتجاه تسخير الطبيعة ، واستخراج كنوزها .

ان أضخم الانجازات البشرية ، كانت في ظروف الصراع الحاد ، أو حتى في أيام الحرب الساخنة .

وربما توحي الآية الكريمة ، ﴿ **ويبلوا أخباركم** ﴾ ، بهذه الحقيقة .

بيد أن اتجاه الخلافات البشرية كانت في مسير الهدم فروسيا وأمريكا ، ومن يدور في معسكريهما يتسابقون اليوم في صنع المزيد من اسلحة الدمار التقليدية والنووية التي يكفي المخزون الجاهز منها لتدمير العالم (١١) مرة ، أما الاسلحة الكيماوية فانها أكبر خطرا .

لماذا لا يتنافسون في القضاء على السرطان أو تنمية العالم الثالث أو استغلال المحيطات لخير البشرية أن القيم السماوية حفرت قنوات البناء ليندفع تيار التنافس في هذا الاتجاه ، ولو تمسك الناس بها أكثر فاكثر لكان تقدم الأنسانية أبعد مدى مما هو عليه اليوم اشواطا واشواطا .

● الحوافز الاجتماعية

قبل أن ندخل هذا الحقل ونخوض في موضوع الحوافز الاجتماعية للانسان المسلم نحو عمل الخير لابد أن نمهد للحديث ببيان حس التوافق الاجتماعي الموجود عند الانسان وكيف أن الاسلام يستثمر هذا الحس في سبيل دفع أبناء المجتمع نحو العمل الصالح .

نظريات حس التوافق الاجتماعي .

هناك نظريتان اجتماعيتان متناقضتان ، الاولى تقول بأن الانظمة الاجتماعية مفروضة على الانسان كما أن الأنظمة الطبيعية مفروضة عليه ، فكما أن الحّر والبرد والظلام والنور والليل والنهار ، وكما أن الصحة والمرض والشباب والشيخوخة ، تفرض ذاتها على الانسان بحيث لا يستطيع الفرد التخلص من ضغطها فكذلك الأنظمة الاجتماعية .

والنظرية الثانية هي أحدث من هذه النظرية وأقرب الى العقل والعلم ، وهي تقول أن النظام الاجتماعي يستلهم قوته وشرعيته من داخل الانسان ، فكل فرد من أبناء المجتمع ينجذب بدافع ذاتي نحو تطبيق الانظمة والقوانين الاجتماعية على نفسه وبدون ضغط خارجي فأول ما يتعلم الانسان الطاعة انما يتعلمها من أمه والأم هي ينبوع الحنان والحب ، والطفل الرضيع لا يطيع أمه خوفا منها أو طمعا في لبنها وانما حبا لها ، ومن ثم حينما ينمو الطفل في محيط ملؤه الحب والحنان ودفئه العاطفة

آنئذ تراه أميل نحو اقتباس القيم والعادات التي تسود ذلك الجو العائلي .

بينما الطفل الذي يعيش في مجتمع الصرامة والقسوة قد تكون ردة الفعل عنده تجاه هذه الصرامة أقوى من حس توافقه مع المجتمع الصارم ، فالمجتمعات التي تعيش الحب والحنان ويحسب كل فرد فيها نفسه أبا .. أخا .. وابنا لسائر أبناء المجتمع ، تعيش التوافق الاجتماعي وأبناؤها يطيعون قيمها وتقاليدها أكثر من المجتمعات التي تسودها الصرامة والعنف .

تضيف هذه النظرية بأن احساس الانسان الداخلي هو الذي يدفعه نحو التنافس مع الآخرين ، وتقليدهم ، الكلمة العربية الشائعة التي تقول ، حشر مع الناس عيد ، لا تدل على أن الناس هم الذين يفرضون على الفرد أن يحشر معهم ، انما هو الذي يحب أن يصبح جزءا من أبناء المجتمع ، والتجارب الحديثة التي قام بها علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي وعلماء التربية ، ومن أشبه على الفئات البشرية استنبطوا منها هذه الفكرة وهي أن أقوى الغرائز عند البشر هو حسّ التوافق الاجتماعي أي التكيّف مع سائر أبناء المجتمع .

والمثل التالي يضربه علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع في هذا الحقل لقد دلت التجارب على أن العمل الجماعي أكثر قدرة وأنشط وأكثر حيوية من العمل الفردى ، حتى أنهم جعلوا فردا يعيش في غرفة ، والاخرون يعيشون في غرفة أخرى فاذا قيل لهذا الفرد بأن أولئك الذين يعيشون في تلك الغرفة يعملون مثلما تعمل ، فان العمل عنده يزداد ، بينما اذا لم يفهم هذه الحقيقة فانه سيتباطأ عن العمل ، فمجرد أن يشعر الانسان بأن آخرين أنى كانوا وأين كانوا يعملون نفس العمل الذي يقوم به ، فان ذلك يدفع به الى زيادة نشاطه .

وهناك تجربة بسيطة يمكن أن تجربها أنت .. قل لانسان ما قصة عن نشاط فرد آخر ، حتى ولو كان ذلك الفرد رجلا تاريخيا .. قل له قبل ١٥٠ عاما كان هناك عامل يعمل يوميا ١٦ ساعة ، ترى أن هذه القصة بغض النظر عن أنها صحيحة أو كاذبة ، ستخلف أثرها العاجل على من يسمعها فتثور فيه الحمية ، ويقول عجيب فلان يعمل ١٦ ساعة وأنا أعمل ٨ ساعات ، لماذا يسبقني ؟ .. أن عليّ أن ألحق به ، أن عليّ أن أعمل مثله ، وهذه طبيعة من طبائع البشر .

اذن وفق هذه النظرية وهي النظرية الاحدث والاقرب الى التجارب العلمية وكذلك الاقرب الى البصائر الاسلامية نصل الى هذه النتيجة وهي أن التوافق مع أبناء المجتمع وتقليد الناس الآخرين وبالتالي اتباع سلوكياتهم وطرق عملهم ومستويات انتاجهم انما هو نابع من فطرة البشر ومن غريزته الذاتية .

والاسلام يحفّزك نحو العمل باثارة احساس التوافق مع الآخرين ، وذلك عبر اسلوبين :

الاسلوب الاول القدوات الصالحة :

ان الاسلام يجعل لك قدوات صالحة ، ويعطي لهذه القدوات شرعية اجتماعية أي يرفعها عالية أمام عينيك لتتخذ منها منهاجا لعملك ومقياسا لمدى انتاجك وحيويتك ، أرأيتم كيف أن القرآن الحكيم يركز على الأنبياء ؟ فمن بداية القرآن الى نهايته هناك قصص كثيرة عنهم لماذا ؟ لا يحدثنا القرآن طويلا عن الملائكة ، وعما يتميزون به من مثابرة واجتهاد وقوة عظيمة ، ان لله سبحانه وتعالى ملائكة هم في حالة ركوع أبدا ، وان له ملائكة يسجدون ويبقون على حالة السجود أبدا ، وملائكة في حالة وقوف

انتظاراً لامره سبحانه وتعالى بصورة مستمرة أو ليست هذه الأمثلة أفضل ظاهرا ، من صبر آيوب أو استقامة نوح ، أو أو جهاد هود وما أشبه ، ولكن لماذا يركز القرآن الحكيم على الانبياء (ع) ، ويضرب بهم الامثال ؟ السبب في ذلك هو أنهم بشر مثلك ، ولانك عندما تسمع قصة نبي فانك تتفجر حيوية وتندفع نحو اتباع سيرته والانتهاج بنهجه ، وكذلك تأكيد الاسلام على الأئمة ، القدوات الصالحة للبشرية وتأكيد ولاية الأئمة (ع) ، لماذا يقول الامام عليه السلام ، في حديث شريف : **بني الاسلام على خمس** ، والدعامة الخامسة كما تقول هذه الرواية ، حبنا أهل البيت ، أو الولاية وهي أهمها ؟ لأنك حينما تحب وليا من أولياء الله ، وتعتبره اماما لك وحجة بينك وبين الله سبحانه وتعالى،فانك دائما تبحث عن سيرته وتفتش عن نهجه ، وتحاول تطبيق ذلك المنهج وتلك السيرة على نفسك ، وكذلك تأكيد الاسلام على أهمية المؤمنين الصادقين وضرورة اتباعهم فالاسلام يؤكد على أن الفقية العادل يجب أن يتبع ، لأنه حجة لله سبحانه وتعالى ، كما قال الحديث الشريف :

((انهم حجتي عليكم وأنا حجة الله))

بل تأكيد الاسلام على أتخاذ الأب الصالح ، الاستاذ الصالح الصديق الصالح .. قدوة ، فاذا كان في الحي الذي تعيش فيه رجل صالح ، يصلي مثلاً صلاة الليل ، صادق اللسان والعهد ، محسنا مخلصا ، سباقا الى الخيرات .. فانه سيحشر يوم القيامة حجة عليك كما جاء في الأحاديث ، حيث أن الله سبحانه وتعالى سيأتي بهذا الرجل ويأتي بك ويقول لك هذا الرجل كان يعيش في المنطقة التي كنت تعيش فيها ، وأنت كنت تعرفه وظروفه كانت تشبه ظروفك والضغوط التي كانت عليه مشابهة للضغوط التي واجهتها

فلماذا أصبح هذا مؤمنا صادقا ، وأنت لم تصبح كذلك ؟ هكذا يرفع لك الاسلام علما لتقتدي به ، حينما ترى القدوة الصالحة أمام ناظريك فان احساسك الداخلي وشعورك بضرورة التوافق الاجتماعي سيدفعك الى اتباع سيرتها ونهجها .

الأسلوب الثاني التنافس الاجتماعي :-

ان العبادة هي صلة بين الانسان وربه فلماذا يشدّد الاسلام على صلاة الجماعة في المسجد أو خارجه .. في البيت ، في الدائرة ، في الصحراء ، وفي أي مكان آخر ، ويقرّر أن المجتمعين فيها اذا زاد عددهم على خمسين شخصا ، فلا يحصي ثواب تلك الصلاة الا الله سبحانه وتعالى كما جاء في الأحاديث ؟ . الصلاة هي الصلاة ، ولكن حينما تقف مع الآخرين تصلي ، فانك تسعى لأن تصبح صلاتك أكثر خشوعا ، وأقرب الى السنة والاداب والمستحبات ، لان الله فطر البشرية على حس التوافق مع الآخرين ، اذا صليت واحد المصلين استولت عليه حالة الخشوع والتهجد وأخذ يبكي في صلاته ، وأنت تصلي بجانبه ، آنئذ تحس بنقص ، فتقول في نفسك لماذا يبكي هذا الفرد في صلاته وأنا لا أبكي ؟ لماذا تحصل عنده هذه الحالة ولا تحصل عندي ؟ وحينها تشعر عميقا بضرورة الوصول الى مستواه ، وهذا شعور طبيعي بالنسبة لك ، لذلك يحرص الاسلام على الصلاة جماعة .

والاسلام يأمرنا بان نعلن بعض الأعمال الصالحة التي نقوم بها ، الصدقة مستحبة في السر والعلن ، ولكن جاء في الحديث ، الصدقة الواجبة يستحب أن تكون علنا لماذا ؟ لأنك حينما تدفع الزكاة .. والخمس .. والكفارة وما أشبه من الصدقات الواجبة أمام الآخرين ، فانهم يتشجعون على دفع صدقاتهم اذ ينمو فيهم الاحساس بالتنافس والتوافق الاجتماعي .

وهناك حقيقة معروفة وهي أن الاسلام يضرب سورا بين المجتمع المؤمن الموحّد وبين المجتمع الكافر المشرك ، ويثير حس التوافق الاجتماعي فقط بينك وبين المؤمنين من أخوتك ، وهذا التقسيم منذ البداية يجعلك منتميا الى ذلك المجتمع المؤمن الصادق ، ويجعل حس التوافق فيك متوجها الى هذا المجتمع ، وليس الى تلك المجتمعات المنحرفة ، لذلك ترى الاسلام يؤكد بأنك اذا كنت في مجتمع فاسد فمن الضروري أن تكبح جماح هذا الأحساس الذاتي الذي فطرت عليه ، وهو الاحساس بالتوافق الاجتماعي ، وقد قلت لكم أن هناك حديثين شريفين بهذا المضمون ، الاول ماثور عن الامام علي عليه السلام حيث يقول :

((كن في الناس ولا تكن معهم)) .

الثاني ماثور عن الامام الحسن المجتبى (ع) يقول :

((حشر مع الناس عيد ، وهل حشر مع الناس الى النار عيد)) .

أي اذا كنت في مجتمع فاسد فلا تقل حشر مع الناس عيد ، وفي حديث آخر مضمونه لا تكن امّعة تقول أنا مع الناس ، كن من نقاد الكلام ، اذا كنت في مجتمع فاسد فعليك أن تجعل من ارادتك لنفسك حاجزا حتى لا تتأثر بالتوافق الاجتماعي .

والحقيقة الأخرى هي أن العلاقة بين أبناء المجتمع الاسلامي ليست علاقة تراكمّية ، كميّة ، وانما هي علاقة تفاعليّة عضوية لا يريد الاسلام أن تجمع الناس في المسجد كجمع البرتقال في صناديقه ، لا ، وانما يريد أن يجمعك داخل المجتمع كما تجتمع قطرات الماء فتتحول الى سيل عظيم ، وهذا معنى الحياة التي ذكرتها لكم سابقا ، الفرق بين المجتمع غير الحي هو أن تفاعل أبناء هذا المجتمع

يكون بحيث يجعل كل واحد يضاف الى الآخر اضافة كيفية وليس اضافة كميّة ، الواحد يتشجع بالآخر ، يتعاون ويتكامل معه ، وهكذا تصبح الاضافة نوعية ، كل جزء من أجزاء الانسان وكل حركة من حركاته وكل نشاط من نشاطاته كل ذلك يتكامل مع الجزء المقابل عند الانسان الآخر هناك حديث يدل على ان الاسلام يبني المجتمع على أساس التفاعل العضوي وليس فقط التراكم العددي ، وهو جزء من وصية الامام علي (ع) يقول الامام :

((وأي كلمة (حكم) جامعة أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها)) ٠

أن هذه هي الكلمة الجامعة الحكيمة الرشيدة التي تعتبر قاعدة لسائر الحكم ، والمواعظ والوصايا ، أن تحب للناس ما تحب لنفسك ٠ ثم يضيف الامام قائلا :

((انك قلما تسلم ممن تسرعت اليه أو تندم اذا فضلت عليه ، واعلم أن من الكرم الوفاء بالذمم ، والصدود آية المقت ، وكثرة العلل آية البخل)) ٠

الامام علي (ع) يقول بأن الانسان الذي يصد خيره عن الآخرين ، انما يجلب مقتهم وغضبهم على نفسه وأن من يتعلل ويتّعذر بأعذار واهية ، ان هذا الانسان انما يكشف عن البخل الكامن في ذاته والا حينما يأتيك رجل طالب حاجة فاعطه حاجته ، ولا تتعلل بالأعذار ٠

((وبعض امساكك على أخيك مع لطف خير من بذل مع جنف)) ٠

الامام يقول : حينما تريد أن تعطي للآخرين لاتعطيهم تمننا ، أعطهم ولو شيئا قليلا ولكن الطف معهم وهو خير من أن تعطيهم شيئا كثيرا ثم تحملهم المّنة ٠

" ومن الكرم صلة الرحم ، ومن يثق بك أو يرجو صلتك اذا قطعت قرابتك ." أي أنك اذا قطعت قرابتك فمن الذي يرجو منك الصلة .

((التجرّم[1] وجه القطيعة احمل نفسك من أخيك عند صرمه اياك على الصلة ، وعند صدوده على لطف المسألة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند تجرّمه على الاعذار ، حتى كأنك له عبد وكأنه ذو النعمة عليك ، واياك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله في غير أهله)) .

الاسلام يريد أن يجعلك أنت تندفع وتحاول أن تصلح ما بينك وبين أبناء المجتمع فاذا رأيت صدودا أو منعا أو قطيعة من قبل الآخرين ، فحاول أن تبادر الى الخير تجاههم ان هذا الاحساس والذي ينبع من ذات الانسان من أعمق مشاعره وهو الذي يجعل المجتمع الاسلامي مجتمعا حيويا ، لذلك يؤكد الامام علي (ع) على هذه الفكرة ويضيف .

((ولا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك)) .

الى هذا المستوى .. يأمرك الاسلام بأن تحافظ على مشاعر أصدقائك فاذا رأيت رجلا يعادي صديقا من أصدقائك فلا تقترب الى ذلك الرجل لان ذلك جفاء لصداقتك مع صديقك .

((ولا تعمل بالخديعة فانه خلق لئيم ، وامحض أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة)) .

اذا رأيت فعلا حسنا عند أخيك أو قبيحا فأعطه

---

١ ــ ربما معناه: اعتباره مجرما.

النصيحة محضا دون تشويه أو تضليل ، ودون زيادة أو نقيصة .

((وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال ، ولا تطلبن مجازاة أخيك وان حثا التراب بفيك)) .

((وجد على عدوك بالفضل ، فانه أحرى للظفر)) .

أي حتى اذا كان هناك عدو لك فحاول أن تجود عليه بالفضل طالما أنه لم يعلن الحرب ويشهر السيف عليك .

((وتسلم من الدنيا بحسن الخلق وتجرع الغيظ ، فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا ألذ منها مغبة ، ولا تصرم أخاك على الشياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ولن لمن غالظك فانه يوشك أن يلين لك)) .

اذا رأيت من أخيك مالا يحمد واردت أن تقاطعه فقبل ذلك أذهب اليه وعاتبه فاذا لآن فلن له ، أما اذا بقي على تلك الأخلاق غير الحميدة فيمكنك أن تقاطعه .

انظروا .. الى هذه التعاليم ، وتدبروا فيها ، انها تهدف الى خلق الحيوية الذاتية داخل المجتمع المسلم وليس فقط جمع أبناء المجتمع الى بعضهم ، انما ايجاد الروابط الداخلية الوشيجة بين القلوب ، لتكون هي الحصن الحصين لهذا المجتمع .



● حيوية المجتمع و فاعليته

كيف يجعل الاسلام المجتمع حيويا فاعلا ؟

هناك مرحلتان للوصول الى هذا الهدف :

اولا : ايجاد التماسك داخل كيان المجتمع .

ثانيا : ابعاد العقبات التي تعترض فاعلية المجتمع .

بالنسبة الى المرحلة الاولى ، نتسائل كيف يربط الاسلام البشر بعضهم ببعض ويجعلهم متماسكين ؟

للاجابة على هذا السؤال لابد أن نعرف ، أن هناك قوتين تتجاذبان أنشطة الانسان ، قوة العقل ، وقوة الشهوات ، وكل مجتمع أما أن يكون قائما على أساس قوة العقل ، أو على أساس طاقة الشهوات ، بينما نجد بعض المجتمعات تخلط بين الشهوات و العقل ولكنها في ساعات الحسم تعود أما الى العقل وأما الى الشهوات ، والمجتمع الاسلامي يبني أساسه على قوة العقل لا قوة الشهوات ، فالقيم الزائفة ، مثل قيمة الارض ، قيمة العنصر ، قيمة المصلحة وما أشبه ، ينسفها الاسلام نسفا وينظف المجتمع منها قبل أن يرسي أسس المجتمع فلا تبقى الا قيمة واحدة ، وهي قيمة التقوى التي تعتمد أساسا على قوة العقل .

بين الحب والشهوة .

وهذه القيمة حينما تدخل علاقات المجتمع تسمى بالحب

وهنا لابد أن نذكر الاخوة بالفرق الكبير بين الحب والشهوة ، حينما تقول أنا أشتهي البرتقال ، فذلك يعني أنك تريد أن تأكله ، وحينما تقول أشتهي السيارة فذلك يعني أنك تريد أن تركبها وتستهلكها .. أما الحب فهو شيء آخر .. أنت تحب الله يعني تحب أن تعبد الله ، وتخضع له وتطيعه ، تحب المستضعفين يعني تريد أن تخدمهم وليس أن تستخدمهم ، تحب الصالحين يعني تريد أن تعمل بهداهم وتنصرهم ، اذن فالشهوة هي أنك تريد شيئا أو شخصا من أجل مصلحتك ، من أجل غريزتك ، من أجل شهواتك ، أما الحب فانك تريد نفسك من أجل ما تحبه .

ان الحب هو أعمق مشاعر العطاء والاحسان والبذل والانفاق عند الانسان ، وكما خلق الله سبحانه وتعالى قوة تدعوك الى اتلاف الأشياء واستخدام الأشخاص من أجل ذاتك وهي قوة الشهوات ، كذلك أغرز في قلبك قوة تدعوك الى العطاء للأشياء العطاء للأشخاص والبذل من أجلهم ، وكما تشعر باللذة والمتعة تجاه استفادتك من الاشياء كذلك بنفس المقدار وأكثر تشعر باللذة حينما تعطي نفسك للأشياء والأشخاص ، أن لذة الانسان الذي يجلس في مطعم كبير ويطلب مائدة من ألذ الموائد ، ليست أكبر من لذة ذلك الانسان الغني الذي يفرش لمجموعة من الأيتام والارامل والمستضعفين والمساكين مائدة غنية فيأكلون منها وهو ينظر اليهم . ان لذة الانسان الذي يعدم رجلا من أجل مصلحته ومن أجل ذاته ومن أجل سلطانه وطغيانه ليست بالتأكيد أكثر من متعة الانسان الذي ينقذ غريقا من الماء أو يقوم بجراحة ناجحة لقلب مريض مشرف على الموت وهكذا يجربك الله ، اذ اللذة ذات اللذة ، وانك في كلتي الحالتين ستحصل على نفس المطاليب ، ونفس الاهداف والغايات ، ولكن اما عن طريق الشهوات الدنيئة واما عن طريق العقل الرفيع .

ان المجتمع الاسلامي مبني على أساس الحب ، انكم تقرأون في القرآن الحكيم تلك الآية التي حددت ملامح الحزب الذي يسميه القرآن بحزب الله وهو الحزب الذي لا يعرف الحدود والالفاظ والشعارات وما أشبه حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾

(٥٤/ المائدة)

هذه هي قاعدة حزب الله ، هذه هي أرضية هذا الحزب ثم في نهاية السياق يقول القرآن الحكيم :

﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾

(٥٦/ المائدة)

قاعدة حزب الله ، قاعدة التجمع الاسلامي الرسالي هي الحب ، أنك تحب الاخرين لا تبحث كيف تستفيد منهم وتستثمرهم وتستغل طاقاتهم ، كلا ، وانما تبحث ابدا كيف تخدمهم ، كيف تضحي بذاتك ، من أجلهم ، هذه هي القاعدة ونجد في كثير من الاحاديث المأثورة عن الائمة ان ارفع درجات الايمان ، أن تحب لله وتبغض لله . اذا أردت أن تجّرب نفسك هل أنت مؤمن ، أم لاتنزال نسبة من الشرك والنفاق في نفسك ، فهذه هي التجربة ، انظر ما هي علاقتك بالآخرين ولماذا ترتبط بهم ؟

هل من أجل أن يخدموك أو من أجل أن تخدمهم ؟

فان كانت علاقتك بهم لاستغلالهم فاعلم بأن نسبة من النفاق ما تزال في قلبك ، واذا رأيت العكس فاعلم بأنك نقي القلب ، صافي الايمان ، وانك اذا متّ في تلك اللحظة سوف تحشر مع المحسنين لان هذه هي صفتهم ، وهي أنهم يحبون الناس ، ويخدمونهم ، وتؤكد الاحاديث على هذه الحقيقة مرة أخرى حينما تقول :

((احبب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لنفسك)) .

هذا هو الايمان ، اذا أردت أن تغتاب احدا ، فقل في نفسك هل أرضى بأن يغتابني أحد ؟ كلا . اذن لا تغتبه ، اذا أردت أن تتهم الآخرين ، اذا أردت ان تسيء الظن بهم ، اذا أردت أن تغلبهم ، اذا أردت سوءً بهم . كلما أردت من هذه الصفات السيئة شيئا فاعلم من جهة ثانية بأنك مادمت لا ترضى بهذه الصفات لنفسك فحرّي بك الا ترضاها للآخرين وهم أخوتك .

اذا ثبّتنا هذه القاعدة الأصلية وهي قاعدة الحب الاجتماعي ، آنئذ نستطيع أن نبني على هذه القاعدة بنائنا الأجتماعي ، وهناك بعض العقبات تعترض بناء هذه القاعدة ولكن الاسلام سرعان ما يصفيها ، ثم يوجد بالمقابل العوامل التي تشجع على الحب .

ما هي تلك العقبات ؟

العقبة الأولى والرئيسية هي سوء الظن بالآخرين ، فهذه من العقبات الرئيسية الكأداء التي تعترض حبك للآخرين ، لذلك القرآن الحكيم يقول :

﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ﴾
(١٢/الحجرات)

هناك بعض القلوب معقدة لذلك تراها تفسر كل عمل تفسيرا معكوسا فان صلى أحد أمام الناس قالوا هذا مرائي ، وان صلىّ في الخفاء قالوا هذا تارك لصلاته وأن أعطى الزكاة علانية .. قالوا .. يريد الشهرة ، وأن أعطاها بالسر ، قالوا بخيل .

كثيرا ما تسيء الظن بأخيك المؤمن وهو من أولياء

الله وقد جاء في الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالى قد أخفى أولياءه في عباده ، وكثيرا ما ترى شخصا فتستصغره وتذكره بسوء فاذا به من أولياء الله الصديقين لذلك جاء في الحديث :

((احمل فعل أخيك المؤمن على سبعين محملا)) .

جاء رجل الى الامام موسى الكاظم (ع) وقال أتعرفون فلانا ؟ قال الامام نعم ؟ قال اني أشك في ولايته لكم . قال كيف ؟ قال كنت معه عند أحد كبار الأمراء في بغداد فسأله هذا الأمير عنك فقال لا أعتقد بامامته ، فقال الامام الكاظم (ع) لذلك الرجل أنه أفقه منك ، فلا تسيء الظن بأخيك المؤمن ، ويبدو أن الرجل كان من الطيبين فتأثر كثيرا وقال يابن رسول الله ماذا أفعل حتى أصلح خطأي ؟ ليس لي مال حتى أعطيه ، فسكت الامام ولكن الرجل بادر وقال اني اهب له يوم القيامة ثواب نصف أعمالي ، فقال له الامام الآن خرجت من النار قد تظن بأخيك المؤمن سوءً ، ولكنه يملك عملا صالحا يقوده الى الصلاح الكامل ، بينما تملك أنت عملا سيئا يسوقك الى الفساد فالنار .

ولقد قرأت قصة في أحدى الجرائد قديما لكاتب كان يعمل في تحضير الأرواح وله كتاب يبحث في هذا الموضوع ، يقول أحضرت روحا من الارواح ، فسألته عن وضعه فأجابني بأنه في وضع سيء جدا ، ووصف العذاب الذي يعيشه في عالم الآخرة بحيث أنني الآن ، وبعد مرور ثلاثين سنة ، كلما تذكرت في يوم ما قاله لي ذلك الميت طارت البسمة مني ذلك اليوم ، يقول فسألته ، كنت مؤمنا في الدنيا ؟ قال نعم ، تصلي ؟ قال نعم .. تزكي ؟ نعم .. تبر بالوالدين ؟ نعم . كل أعمال الخير كان يعملها فسألته

فلم هذا العذاب ؟ قال لأني كنت سيء الظن بالآخرين .

وقد يكون واجبك الشرعي ، يختلف عن واجب أخيك فقد يكون عالما وهو جاهل ، أو قويا وهو ضعيف ، أو تعيش في ظروف مختلفة ، وقد يكون فقيها اجتهد رأيا وأنت توصلت الى رأي اخر يخالفه فهو معذور عند الله في عمله ، يتقبل الله منه أعماله دونك فلماذا تسيء الظن به ؟

﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ﴾
(١٢/ الحجرات)

ان سوء الظن هو أحدى العقبات الاجتماعية .

نسف الحواجز الأجتماعية :

أما العقبة الثانية التي ينسفها الاسلام فهي الحواجز الاجتماعية التي تفصل الناس عن بعضهم ، وعندما يحدثنا الاسلام عن هذه النقطة فانه يتفجر غضبا وتأتي كلمات النصوص لاهبة وكأنها الحمم البركانية، حينما تتحدث النصوص عن الغيبة ، عن التهمة ، عن النميمة ، عن الفحش ، وكلما تفسر العلاقات الاجتماعية بل وأكثر من ذلك تجد الاسلام مع تأكيده على حرمة الكذب وأن الكذب مفتاح الشر ، مع ذلك يقول .. الكذب في الاصلاح صدق عند الله سبحانه وتعالى ، والصدق في الافساد" أي افساد الناس بعضهم مع بعض " كذب عند الله سبحانه وتعالى لماذا ؟

لان العلاقات الاجتماعية يجب أن تكون نظيفة ، حينما يأتي شخص اليك ويتحدث عن شخص آخر بحديث سوء فسوف تخلق في قلبك عقدة نفسية تجاه ذلك الشخص ، وهذه العقده من يصيغها ؟ العقدة تبقى ، كلما تراه من بعيد تتذكر كلام ذاك الشخص ، من الممكن أن يكون الكلام كذبا ، ولكن النفس البشرية تتأثر حتى بالكذب ولا يريد الاسلام أن تحدث

بين الاخوة حواجز نفسية ، فمن جهة يقول لك لا تغتب ، ومن جهة ثانية يقول لذلك الشخص لا تسمع غيبة ، اذا جاءك أحد وأراد أن يغتاب شخصا عندك ؟ فاذا أصغيت اليه فأنت شريك في الجريمة ، رأسا ضع يدك على فمه وقل لا أريد أن اسمع .

ويحكى عن العلامة بحر العلوم وهو بحق من كبار علماء المسلمين وزهّادهم في التاريخ ، انه كان في مجلس فاذا به ويخرج عنه باكيا ، ظنوا بأن عقربة قد لدغته فاتبعوه وسألوه .. ممن بكاؤك ؟
قال كيف أجلس في مجلس يغتاب فيه المؤمنون ؟ .

كيف نضمن تفوق المجتمع

ان تفوق المجتمعات على بعضها لا يكون بالكمّية العددية ، ولا بالأمكانات الماديّة التي تتوفر لهذا المجتمع دون غيره ، ولا بالقادة الافذاذ الذين يبرعون فيه دون غيره وانما بالحيويّة وبالتفاعل الذي يوجدان في هذا المجتمع أو ذاك وأساسا لم تحدث التطورات الحضارية أو التغيرات السياسية على مختلف أبعادها على طول التاريخ الا بهذا الاسلوب ، وهو أنه ضمن المجتمع الكبير المتراخي الذي يفقد السلطة المركزية ،ولا يملك تفاعلا ذاتيا ، ولا قدرة أتخاذ القرار الحاسم ولا سرعة التحدي والمواجهة ، تنبت نبته اجتماعية صغيرة تتسم بالفاعلية والحيوية والقدرة على الجذب والاستقطاب وبسرعة تستطيع هذه النبتة اليانعة المتواضعة ظاهرا النشيطة والمتماسكة واقعا على أن تجمع الأفراد الأكثر نشاطا وطهارة وفداء من بين أبناء المجتمع الكبير وتستقطبهم حول محورها وتجمع صفوة الفكر والمعارف والتجارب وتمتص خيرة القدرات والامكانات بالتالي تتخذ القرارات الحاسمة بسرعة ، وتملك القدرة المركزية لتنفيذها وتملك ارادة التحدي والمواجهة في مقابل الأعداء ، هذه النبتة الصغيرة تتحول بعد فترة الى قوة هائلة بينما يتهاوى شيئا فشيئا فيذوب ذلك المجتمع الكبير في تيار هذا المجتمع الحيوي الصغير ، ويتحقق قول الله سبحانه وتعالى :

* كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بـــإذن اللـــه *

(٢٤٩/البقــرة)

الذين كانوا مع نوح (ع) .. كانوا من تلــك الاقلية ، والذين كانوا مع شعيب والذين أمنوا بصالح .. وهود .. وموسى .. وعيسى .. و . و . ، كانوا جميعا أقلية فكيف أنتصروا على تلك المجتمعات الكبيرة ؟ أنهم أقلية في العدد ، ولكنهم الأكثرية في النوعيّة ، ليــس فقط لأن الواحد منهم كان يقابل عشرة بل وأيضا لان الاثنين منهم كانا واحدا .. الثلاثة كانوا واحدا .. العشــرة كانوا واحدا ، كانوا يتحركون باتجاه واحد ، والقرارات كانت سريعة ، والتعاون كان سائدا بينهم ، وكان كــل واحد منهم يكمل الآخرين ، فلا يبقى في المجموع أي نقــص هذا التكامل كان في قمته بين هؤلاء فقد استطاعــوا أن ينتصروا على ذلك المجتمع الكبير ، هذا هو معنى الحياة وهذه هي الحيوية .. حينما نقول عن مجتمع بانه حيــوي فذلك حيّ يملك المركزية وقدرة الجذب ، وسرعة التعــاون وشمول التكامل بين أعضائه ، وهكذا يصبح هذا المجتمــع مجتمعا فاعلا،في الأحداث يملك بيده زمام المبادرة .

وان الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا الاسلاميــة تشبه الى حد بعيد تلك الظروف التي عاشتها الرســالات السماوية في بداية انطلاقها ، فبالرغم من أننا نعتبــر الألف مليون انسان الذين يصلّون باتجاه القبلة ويدينــون بدين الاسلام ، وينطقون بالشهادتين ، مسلمين من الوجهة القانونيــة ونريد أن نفجرّ فيهم طاقاتهم الايمانيـــة ، ونكّون منهم المجتمع الاسلامي الفاضل الذي هو خطوة فــي طريق بناء المجتمع الانساني المثالي ، وانقاذ جميــع مستضعفي الأرض ، فذلك لا يعني أن نحاول اقامة المجتمــع

الاسلامي داخل الألف مليون انسان بطريقة فجائية ابتداء من نيجيريا وانتهاء بماليزيا ، ان هذه طريقة جدّ بعيدة،طريقة انسان يريد ان يحلّي بحر من الماء بكيلو واحد من السكر ، ان أفكار الانسان وقدراته والامكانات المتاحة له كفرد أو كمجموعة صغيرة محدودة جدا ، ومهما بذلت من محاولات للتوعية والتوجية وكشف الحقائق أمام جماهير الوطن الاسلامي فانها بضآلتها الكمية لا تستطيع أن تواجه سيل الاذاعات والصحف والافلام والتوجيهات التي تبثها الجاهلية العالمية عبر شبكاتها الاعلامية ؟

اذن فماذا ينبغي على الداعية الاسلامي أن يفعل ؟ ليس أمامه الا ان يبني أولئك الصفوة الذين يكوّنون المجتمع الاسلامي الحقيقي ، فيعود الى مرحلة الرسالة الاسلامية في مكة المكرمة ، حيث قام الرسول بصنع ذلك المجتمع الصغير عدديا والكبير نوعيا وذلك عبر ثلاث عشرة سنة كان (ص) يواصل فيها الليل بالنهار في بناء الطليعة الثائرة وهم صفوة المؤمنين الذين أصبحوا رواد الحضارة الاسلامية في القرن الأول الهجري ، وأصبح التابعون لهم والمتأثرون بهديهم ، قادة الحضارة عبر التاريخ ، وكان القائد الاسلامي الذي يفتح مثلا بلاد الأندلس يفتخر بأنه من تلاميذ تلاميذ ابن مسعود ، وأنه أخذ العلم والتقوى والفتوة من سلمان الفارسي أو من أبي ذرالغفاري وغيرهم ·

هذا هو المجتمع الذي يشبه النبتة الحيّة في الصحراء القاحلة ، حيث لا تلبث أن تتحول الى حقل واسع ويانع ·

وأقول لكل المؤمنين في الساحة الاسلامية ان عليهم أن يكوّنوا من مجموعاتهم المتواضعة ، هذا المجتمع

المنشود وذلك بين الصفوة المختارة من الذين يستطيعون التعرّف عليهم .. اذا كوّنوا ذلك المجتمع بأصوله وقيمه وببرامجه ومناهجه فانه لا يلبث بحيويته ونشاطه وتكامليته أن يكبر حتى يحطّم الطّغاة ويفرض نفسه على الساحة الاجتماعية كلها ، فيستقطب العناصر الجيدة ، ويبعد العناصر الفاسدة ، وهكذا عبر تحول جذري يشبه التحول الكيميائي في الحياة يصبح هو السيد وهو القائد .

ان الاسلام لا يمكن أن ينتصر الا بالاسلام ، ولا يمكن أن نقيم المجتمع الاسلامي الا باقامة المجتمع الاسلامي ، أي أننا اذا أردنا أن نطبق الاسلام فيجب أن نطبقه عمليا في واقعنا ، واذا أردنا أن نقيم المجتمع الاسلامي فيجب أن نقيمه في بيتنا ، وبين بعضنا ، لكي نعطي النموذج الحي لفكرتنا التي نريد أن نطبقها .

الناس عندما يرون تعامل المؤمنين مع ازواجهم وابنائهم واخوانهم ويرون تجمعهم الايماني الفاضل في المسجد ، كيف يتحابون ويتوادون ويتعاونون في الله وكيف يكمّل بعضهم بعضا ، وكيف يقف بعضهم وراء بعض فسوف يكفيهم هذا النموذج دليلا وشاهدا على صدق الرسالة .

انني أدعو الجميع الى أن يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال من أين يجب أن يتحركوا ؟
وفي أي مجال يجب ان يبذلوا جهودهم ؟

ان الانسان كانسان ، اذا أراد شيئا فليس هناك في الحياة ما يحول بينه وبين ارادته ، هذه هي سنة الله وهذه هي الحقيقة التي ضمنها الله سبحانه وتعالى للبشرية انه عهد بين الله وبين الانسان أن يتركه حرّا

في الدنيا ، وان أراد أن يقرر شيئا خيرا أم شرا فهو حرّ بالرغم من أنه في قضايا الشرع حرّ في حدود معينة ولكنه بالتالي حرّ .

﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا ﴾

(٣٠/الاسراء)

ولكن بالرغم من ذلك نرى أن كثيرا من الحركات الاسلامية تود تطبيق الاسلام واقامة المجتمع الاسلامي ، ولكنها لا تفلح في ذلك ، لماذا ؟ لانها لا تعرف أن الطريق الصحيح هو اقامة المجتمع الاسلامي أولا في نفسها وواقعها ، وهذا قد يقضي عليها بالاعتزال والتقوقع لفترة ، وتحمل كل التضحيات اللازمة الناتجة عن ذلك ، من أجل صنع النواة الاجتماعية الحيوية الفاعلة .

والأحاديث التي نذكرها لا نريدها وصايا عامة لكل العالم الاسلامي انما نريدها أيضا وصايا خاصة وبرامج عملية لأولئك العاملين في الساحة الذين يستبد بهم الألم من واقع أمتهم ، ويهدفون فعلا الى اقامة حكم الله ، فهذه الآحاديث والنصوص انما هي برامج عملية لهم ، اذا لم يطبقوها فلا يتمنوا اقامة حكم الله لان اقامة حكم الله ليس بالأماني وانما بالجد والأجتهاد ، والتضحية والفداء .

فعندما دعا قوم موسى ربّهم أن ينجيهم من فرعون ، قال الله سبحانه وتعالى لهم ما يقصه القرآن :

﴿ وأوحينا الى موسى وآخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾

(٨٧/ يونس)

هذا هو البرنامج العملي لأقامة حكم الله ، اعتزال المجتمع الجاهلي ، واقامة المجتمع الاسلامي على شكل بيوت متقابلة الى بعضها واقامة الصلاة ، واعطاء الأمل أي انتظار الفرج حسب التعبير الاسلامي .

وهكذا فعل أصحاب الكهف ، اذ يقول عنهم ربنا :

﴿ واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا ﴾

(١٦/ الكهف)

أنهم اعتزلوا ، وبنوا مجتمعهم الخاص بعيدا عن المجتمع الكبير المنحرف .

وكثير هي التوجيهات الاسلامية التي وردت في شأن اعتزال المجموعات الكافرة والجاهلية أو المنافقة ، أو حتى في اعتزال أولئك الذين لا يهتمّون بواقعهم . الساكتين عن الظلم .. المستسلمين للوضع الشاذ الفاسد تبين أن اعتزال هؤلاء انما هو بداية الطريق .

يجب أن لا يبقى المسلم في هذه القضية الحساسة غير عابىء ، ويظن أنها غير هامة ، بل أنها قضية مهمة جدا ، أن تفتش عن أصدقائك .. أن تنتمي الى المجتمع الفاضل وتعتزل المجتمع الجاهلي ، واللامبالي ، ليس لك الحق اذا كنت رساليا أن تصادق أيا كان .. أن تعيش في أي مجتمع .. أن تتزوج أية امرأة .. أن تسكن في أي مكان .. أن تعمل في أي عمل شئت ، كلا . يجب أن تجعل أعمالك وأفكارك وارتباطاتك وحتى علاقاتك الشخصية موجهة باتجاه بناء المجتمع الاسلامي الرسالي الفاضل ، ثم التحرك لنشر هذا المجتمع داخل الأمة الاسلامية كلها والله سبحانه وتعالى في بعض الآيات يؤكد على هذه الفكرة فيقول :

﴿ فآمن له لوط ، وقال أني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ﴾
(٢٦/العنكبوت)

قد تهجر قومك بالابتعاد عنهم وتسكن مع المؤمنين في كهف كما فعل أصحاب الكهف أو في عزلة كما فعل أصحاب موسى أو ما أشبه ، أو حتى في بيوت يسمونها "بيوت الفريق " وهي بيوت العمل الرسالي أو العمل الثوري أنى كان ، فيمكنك أن تعيش فيها كما فعل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، فقد كانوا يعيشون في دار زيد بن أرقم .. المهم أن تهاجر بعيدا عن المجتمع الجاهلي ، واللامبالي ، لا أقول تهاجر هذا المجتمع لتجعل بينك وبينه فواصل وحواجز يستطيع الاستعمار وأذنابه أن يستغلها ولكني أقول العزلة المؤقتة لبناء المجتمع ، وهكذا فعل لوط (ع) . والامام الصادق (ع) يوجه الانسان الى هذه الناحية بطريقة معينة يبعده عن المجتمع العام ، يقول (ع) :

((ان الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان أحببت أن تلقاني غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيدا غريبا مهموما محزونا مستوحشا من الناس بمنزلة الطير الواحد الذي يطير في أرض القفار ويأكل من رؤوس الاشجار ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع الطيور استأنس بربه ، واستوحش من الطيور)) .

هذا الطير مثل يضربه الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين يفتشون عن هدفهم ، ولو كان بالابتعاد عن الآخرين ممن لا يعيشون واقعهم وتطلعاتهم وأهدافهم ، وفي حديث آخر يقول الامام أبو عبد الله الصادق (ع) :

((ان من أغبط أوليائي عندي عبدا مؤمنا ذا حظ من صلاح ، وأحسن عبادة ربه ، وعبد الله في السريرة وكان غامضا في الناس ، فلم يشر اليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافا فصبر عليه ، تعجلت به المنية فقل تراثه وقلت بواكيه)) .

ويقول الامام علي (ع) نقلا عن عيسى (ع) :

((طوبى لمن كان صمته فكرا ، ونظره عبرا ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته ، وسلم الناس من يده ولسانه)) .

وحديث آخر في نهج البلاغة بهذا المضمون تقريبا .

((طوبى لمن لزم بيته ، وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه ، وبكى على خطيئته ، وكان من نفسه في شغل ، والناس منه في راحة)) .

وفي حديث الامام موسى بن جعفر لهشام يقول :

((ياهشام .. الصبر على الوحدة علامة على قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان الله أنيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزّه من غير عشيرة ، ياهشام ، قليل العمل في العلم مقبول مضاعف ، وكثير العمل من أهل الجهل مردود)) .

وعن الامام الهادي (ع) يقول :

((لو سلك الناس واديا وسيعا ، لسلكت وادي رجل عبد الله وحده خالصا)) .

فتش ولو عن صديق واحد يكون في طريقك فهذا أفضل من عدة أصدقاء يمشون في طريق الشر ، اذن ، نبني

المجتمع الفاضل وذلك عبر عملين متكاملين ، العمل الأول عبر بناء حواجز بيننا وبين المجتمع الجاهلي ، لا أقل الحواجز النفسية فلا نتأثر بسلبياته ، ونستطيع أن نبني داخل هذا الحصن الذي نحصن أنفسنا به - مجتمعنا المثالي الفاضل ، ولكن حينما ندخل حصن الايمان وحصن المجتمع الاسلامي فلابد أن نبني هذا المجتمع على أساس الحب في الله ، والبغض في الله ، هذا الحب وهذا البغض النابعان من ايماننا بقيمة واحدة ومحوريّة في كل الحياة ، تلك القيمة هي قيمة التقوى .

﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾
(١٣/الحجرات)

وأعرض بعض الأحاديث في هذا المجال ، يقول الامام عليه السلام ، نقلا عن رسول الله (ص) ، أنه قال لبعض أصحابه ذات يوم :

((يا عبد الله ، أحبب في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله فانه لا تنال ولاية الله الا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا عليها يتوادون ، وعليها يتباغضون ، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئا ، فقال له كيف لي أن أعلم أني واليت وعاديت في الله عز وجل ؟ ومن ولي الله عز وجل حتى أواليه ؟ ومن عدوه حتى أعاديه ؟ فأشار له رسول الله الى علي فقال ، أترى هذا ؟ فقال بلى ، فقال ولي هذا ، ولي الله فواله ، وعدو هذا عدو الله فعاده ، ووال ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك ، وعاد عدو ولو أنه أبوك وولدك)) .

ان الرسل ، والائمة ، حينما يتحدثون يبينون ما يجسد كلامهم في الواقع الخارجي ، فاذا قالوا وال في الله ، فانهم يبينون خط الولاية الالهية ، فيشيرون باصابعم الى واقع خارجي ، ولا يكون كلامهم فقط في الكليات والعموميات ، ان نصف آيات القرآن الحكيم تقريبا ، قصص وامثال وأحاديث من أشخاص معينين ، بينما كتاب الله للبشرية جميعا ، لماذا ؟ لانه من دون تحول الفكرة الى واقع خارجي فانها تبقى قابلة لعدة تفاسير وعدة تأويلات ، ولا تصبح فكرة فاعلة في الحياة ، وهناك حديث عن الامام الصادق (ع) يقول :

((من أحب كافرا فقد أبغض الله ، ومن ابغض مؤمنا فقد أبغض الله)) .

وفي حديث آخر يقول :

((صديق عدو الله عدو الله)) .

اذا رأيت رجلا يعادي الله بعمله وفكره ، وما أشبه فصادقته فانك تصبح عدوا الله سبحانه وتعالى .

وفي حديث آخر يقول الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام :

((هل الدين الا الحب)) .

أن الله عز وجل يقول :

﴿ قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ﴾

(٣١/آل عمران)

ان اساس الرسالة السماوية مبني على الحب ، بالمفهوم الذي سبق وأن قلناه وهو مفهوم يفرقه عن الشهوة وفي حديث آخر يقول الامام الصادق (ع):

((من حب الرجل لدينه حبه لاخوانه)) .

يعني اذا أردت ان تجرب نفسك وتعرف مقياسا تتخذه لنفسك ، هل أنت تحب دينك ام لا ؟ فانظر الى مدى حبك لاخوانك في الدين ، وفي حديث آخر يقول الامام أبومحمد العسكري (ع):

((حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار ، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار ، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار)).

ان هذه معادلة رياضية واضحة وهي أن المحور في الحياة هم الأبرار ، فاذا أحبوا أحدا دل ذلك على أنه من الأبرار وهو زين له ، واذا أحبهم أحد فهذا شيء طبيعي ، واذا أبغضهم فاجر فهذا يدل على أنهم على حق ، انك اذا عاداك رجل فاجر فلابد أن تحمد الله سبحانه وتعالى وتعرف بأنك على حق ، فمقياس الحب والبغض يدور حول محور واحد وهو محور البر والفجور ، وفي حديث عن أبي عبد الله يقول :

((من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فهو ممن كمل ايمانه)) .

وفي حديث آخر يقول :

((من أحب الله وأبغض عدوه ، لم يبغضه لوتر وتره في الدنيا ، ثم جاء يوم القيامة ، بمثل زبد البحر ذنوبا كفرها الله له)) .

وفي حديث آخر يقول :

((من أوثق عرى الايمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله)) .

وحديث آخر يقول :

((ان المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به ، فيقال هؤلاء المتحابون في الله)) .

وآخر حديث نذكره في هذا المجال هو ما ينقل عن رسول الله (ص) :

((المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين ، وجوههم أشد بياضا من الثلج وأضوأ من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء المتحابون في الله)) .

● التكامل العضوي والتنظيم الداخلي

ما هو الفرق بين زبر الحديد ومحرك السيارة ؟ الفارق بينهما أن زبر الحديد لا تملك تنظيما داخليا ، فلو جئت بقطع من الحديد الخردة تتألف من البراغي والأسطوانات والمكابس وما أشبه ، وأوقدت تحتها طنا من البنزين فهل ستتحرك هذه بوصة واحدة من مكانها ؟ كلا ، بل ستبقى حيث هي وتنصهر أو تحترق ، أما لو جئت بلتر واحد من البنزين ، وأوقدته في بيت النار من محرك السيارة ، فانها ستتحرك مسافة عدة كيلو مترات .

ان محرك السيارة هو أيضا مجموعة من القطع الحديدية ولكنها منظمة تنظيما عقلانيا مرتبا ، بحيث تستفيد من طاقة البنزين في المجال المحدّد لها .

ماذا كان الفارق بين حال القوم الذين كانوا يتعرضون لهجمات يأجوج ومأجوج قبل وبعد مجيء ذي القرنين اليهم ؟

القرآن الحكيم في سورة الكهف يوضح لنا هذه المسألة الهامة فيقول :

﴿ قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ، فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا * قال مامكنّي فيه ربّي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما * آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين

قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا * فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا *

(٩٤/٩٥/٩٦/٩٧/الكهف)

لقد كانوا يواجهون مشكلة خطيرة تهدد حياتهم وكيانهم ، ولكنهم لم يعرفوا كيف يحلّونها برغم توفر كل عناصر الحل عندهم ، فما كان من ذي القرنين الا أن وحّدهم ونظم قواهم ووجههم بحيث يستفيدون من الامكانات والطاقات التي كانت متوفرة لديهم ، واذا بهم يقومون بانجاز صناعي حضاري ذلك السّد الضخم الذي حيّر أعداءهم وأفشل خططهم في الغزو والاحتلال .

والمجتمع الاسلامي الرسالي الذي ذكرنا ضرورة انشائه ولو كان ضمن مجموعة صغيرة كمرحلة أولية - يتميّز بالتنظيم والتكامل العضوي بين أفراده وهذا هو السر في انتصار المسلمين في مبدأ أمرهم حيث يكونوا اكثر من مجموعات صغيرة من المجاهدين كانت تتحرك عبر الفيافي المترامية ، فاذا بهم يسحقون الجيوش الضخمة التي كانت مجهزة بكل الوسائل الحربية والامكانات المادية المتوفرة آنذاك .

وعندما ينادي الاسلام بضرورة التنظيم فانه لا يريده على النمط الغربي الذي ينبني على مجموعة من الاجراءات المعقدة المتشابكة التي يصبح الفرد جزءا منها ، ولا يعرف من أين يبدأ والى أين ينتهي في خضم ذلك الروتين المحيّر والمعطّل للكثير من النشاطات البشرية البناءة . ان التنظيم في الاسلام يعني التعاون السهل الميسور بين المسلمين ، والتكامل العميق بين أفكارهم ومشاعرهم ونشاطاتهم في اتجاه تطبيق شريعة السماء السمحة ، والتي تمكن المجتمع من الاستفادة من كل طاقاته وامكاناته كما

يستفيد محرك السيارة من كل قطرة من الوقود الموجود في خزان السيارة .

انني لم أعثر في خلال تتبعي ودراستي للجيوش الاسلامية في التاريخ على كلمة تعني ما يسمى بالتعبئة (لو جيستيك) أي فن تحريك الجيوش ونقل المؤن و الامدادات وما أشبه . لقد كان الجيش الفرنسي المحارب في الجزائر مثلا يقوم باعداد واحد وعشرين جنديا مساعدا لكل جندي فرنسي واحد يحارب في الجبهة .. بينما كان المجاهدون الذين يؤلفون الجيوش الاسلامية يقومون في الليل بتنظيف أسلحتهم ، وترتيب معداتهم بأنفسهم وكانت نساؤهم معهم يقمن بخدمتهم وتضميد جرحاهم ، وكانوا يندفعون للقيام بالأعمال العظيمة ، والانجازات الكبيرة بعفوية وبدون أي تعقيد او نظام روتيني جامد ، وبدون أن يكون لديهم ما يسمّى بالانضباط الحربي الذي يستخدم اليوم لمراقبة الجنود واكراههم على القيام بالأعمال المطلوبة عن طريق فرض العقوبات والجزاءات المختلفة .

وكان المجاهدون المسلمون في عز المعركة وفي الساحات الدامية يتفقهون ايضا في الدين ، كما يقول القرآن الحكيم :

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾

(١٢٢/التوبة)

ان أغلب التفاسير تقول ان هذه الآية نزلت حين كان المسلمون يغزون مع رسول الله (ص) ، وقد كان بين المحاربين مجموعة من كبار المهاجرين والأنصار يلتفون حول النبي (ص) ، ويتلقّون منه التعليمات والتفسيرات العلمية للشريعة الاسلامية العظيمة ، وعندما يعودون الى

قومهم ، كانوا يعلمونهم ما تعلموه ، فيشكلون بذلك جهازا تنظيميا لنشر التعاليم الاسلامية من الرسول(ص) الى الجماهير العريضة في وقت كانت وسائل النشر والاعلام بدائية ومحدودة .

والآن حينما نريد أن ننشىء ذلك المجتمع الحيوي الصغير القادر على استقطاب طاقات الأمة والهيمنة على مسيرتها في المستقبل (انشاءالله) ، فنحن نحتاج الى هذه الحالة التنظيمية التي لا يتحكم بها الروتين المعقد ولا المزيد من الشعارات والقرارات والدساتير التي لا يتعدى كونها حبرا على ورق ، وانما تخلقها التعاليم الاسلامية العظيمة عبر توجيهاتها الصائبة التي تعود على الأمة الاسلامية بالمكاسب الهائلة ومن هذه التعاليم :

أ - الشورى :

يقول القرآن الحكيم :

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾
(٣٨/الشورى)

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾
(١٥٩/آل عمران)

وتقول الأحاديث الشريفة :

((أعقل الناس من جمع عقول الناس الى عقله ، وأعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه)) .

((من شاور الرجال شاركها في عقولهم)) .

ان المسلمين ينبغي أن يعلم أن قراره في أي أمر ، يجب الا يكون نابعا من هواه وشهوته وجهله ، بل من عقله وارادته ، ومن رؤيته وبصيرته ، لذلك فهو دائما يفتش عمّن يستشيره في القضايا الهامة ، من اصحاب العلم

والخبرة ، وأهل الاخلاص والتقوى ، وبهذا يكون قادرا على مزج فكره وتجربته مع ما يمكن أن يستفيده من أفكار وتجارب الآخرين ، فتكون قراراته بالتالي حكيمة رشيدة دون أن يحتاج الامر الى دراسات مطولة واجراءات معقدة ، لأن تفاعل العقول مع بعضها يختصر الزمن الى حد كبير ، وهذه سنة طبيعية لا سبيل الى انكارها .

ب - القيادة :

يهتم الاسلام كثيرا بمسألة القيادة في المجتمع ويضع لها مواصفات وشروطا دقيقة ، ليضمن بذلك سير المجتمع في الطريق الصحيح ، ويحول دون تصادم وتناقض أفكار ونشاطات الأفراد مع بعضها البعض مما يخلق عقبات أمام تقدم المجتمع ان لم تؤدّ الى تراجعه وتخلفه . والقيادة الصحيحة في المجتمع الاسلامي تتركز اما في شخص الرسول (ص) ، أو في الائمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام ، والذين عينهم بأمر الله ، أو فيمن تتوافر فيهم صفات العلم والعدالة والتقوى والكفاءة والشجاعة من العلماء الأعلام الذين هم نوّاب الامام المعصوم (ع) في غيبته ويكون لهم وحدهم الحق في تعيين القيادات التنفيذية على رأس كل تنظيم داخل المجتمع .

يقول القرآن الحكيم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾

(٥٩/ النساء)

﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾

(٥٥/ المائدة)

﴿ فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾
(٤٣/النحل)

هذه الآيات وكثير غيرها تعطي مواصفات واضحة للقيادة الاسلامية ، وتضفي عليها أهمية بالغة بربطها مباشرة بطاعة الله وولايته وذكره .

ج - التشجيع المتبادل والنهي عن التثبيط :

الانسان بطبعه يحتاج الى من يشجعه على العمل والنشاط ، ولذلك ترى المسلمين عندما يقوم أحدهم بمهمة فان الآخرين يقبلون عليه فيشجعونه . وبهذه الطريقة يعطي البعض للآخر العزيمة والارادة ، وقد تلعب كلمة تشجيع واحدة دورا مؤثرا في صنع مصير انسان وتقويم مسيرة حياتية . يقول القرآن الحكيم :

﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾
(٣/العصر)

ويقول :

﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾
(١٧/البلد)

وبعض أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو التشجيع ، اذا رأيت انسانا يصلي صلاة الليل فقل له أحسنت ، ان صلاة الليل نور ، ولا تقل له يامرائي ، ياكذاب ، يامنافق ، أتريد أن تخدعنا وتوهمنا بأنك مؤمن ؟

ان مثل هذا الكلام تثبيط ، ومدعاة الى الضلال والانحراف . والواقع ان التخذيل مرض اجتماعي متفش حاليا بيننا بشكل يبعث على الأسى لأنه يعرقل كثيرا من

النشاطات البناءة ، والأعمال الصالحة التي يمكن أن تستفيد منها المجتمعات بشكل فعّال .

د - ازالة الحجب القائمة بين الأفراد :

ان نصف واجبات الاسلام ووصاياه على الأقل ، انما جاءت بهدف هدم الحواجز التي يمكن أن تفصل المؤمنين عن بعضهم مثل العصبيات بسائر أقسامها وأسمائها ، والكبر والغرور ، والحقد ، والحسد ، وسوء الظن ، وهذه القائمة الطويلة السوداء من الصفات السيئة التي جاء الاسلام للقضاء عليها واجتثاثها من جذورها . وقد تتعجب لماذا يقول الرسول (ص) :

((انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)) .

فالمجتمع الذي لا أخلاق له والذي يفصل بين أعضائه الحسد والبغضاء ، والذي لا يشق فيه المرء بأخيه ، والذي لا يقوم على قاعدة الحب في الله والبغض في الله .. هذا المجتمع لا يمكن أن يصلّي أو يزكّي أو يعبد الله أو يبني حضارة أو يعمل أي شيء مفيد .
واذا رأيت الامام الصادق (ع) يقول :

((وهل الدين الا الحب)) .

أو رأيت الله عز وجل حين يبيّن القاعدة الأساسية لحزب الله يقول عنهم :
﴿ يحبهم ويحبونه ﴾

فاعلم بأن هذا هو الأساس الرصين للمجتمع الاسلامي .
فمجتمع الحسد والبغضاء ليس مجتمعا اسلاميا أبدا ، ولا يمكن ان ينبعث الخير منه .

اذن فالقضية الأساسية هي الحاجة الى مجتمع التكامل والتفاعل ، الذي يهدم الحواجز وينظم نفسه داخليا

وآنئذ يستطيع أن ينتصر على كل قوة خارجية تريد اذلاله واستعباده ، ونهب خيراته وثرواته .

ولابأس أن نورد هنا بعض الأحاديث الشريفة التي تنص على الغيبة والنميمة ، والحقد وسوء الظن وما أشبهها من الحواجز والخلايا السرطانية التي تفتك بالمجتمع والتي من الصعب على الانسان أن يتخلص منها الا بالتوكل على الله سبحانه وتعالى .

يقول رسول الله (ص) :

((الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الهشيم)).

ويقول الأمام علي (ع):

((اجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النار)) .

((كذب من زعم أنه ولد حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة)) .

ويقول في النهي عن سوء الظن :

((احمل فعل آخيك على سبعين محملا)) .

((لا أحمل آمرا على محمل السوء وأرى له في الخير محتملا)) .

ويقول الامام الصادق (ع) :

((من قال في آخيه المؤمن مارأته عيناه وسمعته أذناه فهو ممن قال فيهم الله عز وجل :

﴿ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾

(١٩/النور)

ان رواية الأقوال والتصرفات غير اللائقة التي يقوم بها بعض الناس وان كانت صحيحة ، فهي من الغيبة التي ينهي الاسلام عنها، وتعليل ذلك كما تشير اليه الآية الكريمة هو أن هذا الأمر مما يشيع الفاحشة في المجتمع فيشجع الآخرين ويعطيهم المبرر لارتكاب ذات الأعمال السيئة .

وفي حديث آخر يؤكد الأمام (ع) هذه الفكرة فيقول :

((ان من الغيبة أن تقول في أخيك ماستره الله عليه ، وان من البهتان أن تقول في أخيك ماليس فيه)) .

ويؤكد رسول الله (ص) ، على بشاعة الغيبة والتملق ودورهما في فصم عروة الاخوة الاسلامية وتفتيت المجتمع الرسالي فيقول :

((من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة)) .

وهذا الحديث المروي عن رسول الله (ص) ، ينظف النفوس مما علق بها من سلبيات ويطهرها مما فيها من خبائث ، يقول فيه :

((أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يسقون من حميم الجحيم ، ينادون بالويل والثبور ، فرجل معلق في تابوت من جمر ، ورجل يجرّ أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمة ، فيقال لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول ان الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولا وفاء . ثم يقال للذي يجر أمعاءه ما بال الأبعد

قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول ان الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده . ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول ان الأبعد كان يحاكي ، فينظر الى كل كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها [١] ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة)) .

هذا هو تنظيم الله سبحانه .. انه تنظيم لا يقوم على المزيد من الشعارات و القرارات الجوفاء ، وانما يقوم على تبادل الحب ورفع الحجب و التكامل العضوي في جوّ من الحيوية و النشاط و العزيمة الشديدة لتطبيق أحكام السماء .

---

١ ـ هذا هو الانسان الذي يفتش عن السلبيات في المجتمع فينقلها من انسان الى آخر، و مثله كمثل الذبابة التي تنقل الميكروبات فتنتشر الامراض.

المجتمع الاسلامي والصراع الحضاري

ان الصراع القائم بين الاسلام والجاهلية صراع ذو أبعاد مختلفة ، ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وبالتالي فهو صراع حضاري شامل لا يختص بجانب من جوانب الحياة • دون جانب آخر • وهذا الصراع الشامل ذو الابعاد المتعددة لا يمكن كسبه الا بتكثيف الجهود وتركيزها • فنحن ـ كمسلمين لا نستطيع في الوقت الحاضر ان نقاوم الغرب أو الشرق الذين يسعيان للتسلط علينا وقهرنا عن طريق الثورة السياسية وحدها ، أو بالعمليات العسكرية فحسب أو حتى بالثورة الثقافية فقط أو بالتحدي الاقتصادي والوصول الى الاكتفاء الذاتي في حقل الانتاج أو بتحدي الاستغلال الاقتصادي للغرب فقط هذه الامور ليست كافية بمفرداتها ، وانما علينا أن نقاوم الحضارات المادية العدوانية ، بتأسيس حضارة اسلامية متكاملة الابعاد ، تتحداها •

التمسك بالجانب الروحي :

حينما نقول حضارة فاننا نقصد بها التحول البشري والاجتماعي والثقافي ومن ثم الاقتصادي والسياسي والعسكري والعمراني في كل الجوانب وعلى مدى واسع ، وعلينا ان نعمل بجد من أجل تكوين كياننا ولمقاومة تلك الحضارة عن طريق تكثيف وتركيز كل الجهود وذلك غير ممكن الا عن طريق البرامج السماوية الرسالية ذلك لأن الحضارات المادية قد سبقت الحضارات الروحية زمنيا ، فلابد أن نتسلح بسلاح

لا يوجد عند أصحاب تلك الحضارات ، ونركب قاطرة أسرع من تلك التي امتطوها حتى بلغوا هذا المستوى . وهذه القاطرة ليست فقط العوامل المادية . فيكفي ان نذهب مثلا ونقرأ كتابا كتبه المفكر الكذائي في الغرب أو في الشرق يتحدث حول طبيعة الأحداث السياسية وكيفية التحزّب والتنظيم ، أو تحاول ان تستفيد من تجارب الثوار في أوروغواي أو في السلفادور أو في زيمبابوي ، فهذه وحدها ليست كافية .

انني لا اقول نسد كل الابواب الفكرية فلا نستفيد من تجارب الآخرين ولا نطلع على ما يجري في المجتمعات الاخرى ، كلا ، بل علينا أن ننفتح على العالم ولكن دون أن ننسى تلك الميزات الحضارية التي نمتلكها ، وتلك الاسلحة الحاسمة التي لاتزال بأيدينا ، والتي ينبغي أن نجعلها في حسابنا لنستفيد منها عمليا . ذلك لأنه من دون ان نفعل ذلك لا نصل الى اي واقع ايجابي .

ان الوصول الى الحضارة الحق غير ممكن الا عبر البرامج الروحية وان اولئك يريدون أن يصلوا بأمتنا الى مستوى حضاري ارفع من الحضارات الغربية دون أن يأخذوا الجانب الروحي بنظر الاعتبار ، هؤلاء فاشلون سلفا ، وكل الاحصائيات العلمية والتحليلات السياسية والبحوث الاجتماعية تؤكد على فشلهم هذا ؛ لان الفجوة تتسع يوما بعد آخر وبكل أبعادها بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة .

فكيف نلحق بهم ؟

وكيف نردم هذه الفجوة الآخذة في الاتساع ؟

ان الجهود التي بذلت عبر القنوات القومية أو الوطنية ، أو القنوات الحزبية أو الاشتراكية وما أشبه

كانت جهودا جبارة ، ولكنها ليس فقط لم تنجح في ردم الفجوة وانما ساهمت في زيادة اتساعها لأنها كانت بضاعة الغرب ردّت اليه ، ولان هذه الجهود صبت بالتالي في تلك القنوات التي حفرتها الامبريالية بطريقة تعود مرة أخرى الى الغرب وتصب لصالحه .

وهذه آخر تجربة غربية ماثلة امامنا وهي تجربة حزب البعث الذي اسسه رجل غربي اللغة غربي الاصالة والفكر وهو ميشيل عفلق . فقد استوحى من الاشتراكية الاوربية والفلسفة القومية الاوربية جوهر نظريته وصبغها ببعض الألفاظ العربية والشعارات العربية . وحسب ما ذكر في كتابه " في سبيل البعث " فانه أراد أن يوحد الامة العربية في ظل الشعار المثلث المعروف " وحدة ، حرية ، اشتراكية " ذلك الشعار المتناقض في ذاته والمناقض لأعمالهم وممارستهم والفاشل عمليا .

فأين الوحدة ؟

وأين الحرية ؟

وأين الاشتراكية ؟

ليس عبثا ولا صدفة أن يفشل حزب البعث . بل لأن هذا الفكر استعماريا ، يصب في قناة الغرب .. قناة بريطانيا وفرنسا وامريكا منذ البداية كان هذا الفكر مغشوشا ودخيلا . لذلك حينما نؤكد على البرامج الروحية والمناهج السماوية ضرورة والعودة الى كل التعاليم المحمدية لبناء حضارتنا المنشودة فاننا نستوحي هذا التأكيد من الوقائع الحية التي نعيشها والتي تعمق الألم والمرارة في نفوسنا .

ضرورة التكامل الاجتماعي :

ان طريقنا الصحيح هو أن نعود الى كل كلمة وردت في النصوص الاسلامية . لقد بقينا دهرا نستجدي الافكار من هذا وذاك ، وبعد أن أخذناها وعملنا بها .. رأينا أنها أفكار تدعو الى عبوديتنا مرة أخرى لهم ، وتعمل على ذلتنا وتفتتنا واستضعافنا (١). اذن فلنعد الى أفكارنا الأصيلة والى برامجنا القويمة ولنستوحي منها .

وتكميلا للفائدة ، حينما نقرأ النصوص الاسلامية ، علينا أن نضع في أذهاننا النصوص الفارغة التي كتبها عفلق في كتابه " في سبيل البعث " وافتتاحيات الصحف التي تمولها الانظمة الفاسدة ، ونتذكر الفراغ الذي تعيشه ثقافتنا في كل حقل من حقولها وعن طريق المقارنة نستطيع أن نتوصل الى أن الاسلام يريد أن يبني المجتمع الفاضل والمتعاون والمتكامل ذاتيا وعضويا بشكل عميق . هذا هو هدف الاسلام وهو يشجع عليه ويرى أن هذا هو الطريق السليم الى بناء الحضارة الحقة .

يقول الامام الصادق (ع):

((لا يعظم حرمة المسلمين الا من عظم الله حرمته على المسلمين . ومن كان أبلغ حرمة الله ورسوله

١ ـ يقول «نجاح واكيم» في كتابه العالم الثالث و الثورة. ص الف ص ٧٦

ان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية القائمة اليوم في العالم الثالث ليست نتيجة تخلف طبيعي متأصل فيها، كما يزعم البعض، كما انها ليست نتيجة توقف عن التطور اوبطيء في التطور اصابها عند مرحلة معينة من التاريخ.. تاريخ تعرفها للاستعمار فلم تستطع بعدها اي تقدم، او انهالم تتمكن الأمن تحقيق تطور طفيف. ولكن هذه الاوضاع هي ثمرة من نوع خاص فرضه الموقع الذي اجبرت عليه هذه البلدان بالقوة داخل النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي و تجزأ من هذا النظام.

اما عن نتائج هذه العلاقة الاستعمارية فيقول في ص ١٢٨

و في آخر تقرير اصدره البنک الدولي بعنوان (تقرير التنمية في العالم ١٩٨١) ورد مايلي:

حجم ديون الدول النامية ارتفع من ٥٠/٤ مليارد دولار في العام ١٩٧٠ الى ١٢٨/٤ ملياراً في العام ١٩٧٥ ثم الى ٢٥١/٧ ملياراً في العام ١٩٧٨. و بلغ ٢٩٤/٤ مليار دولار في العام ١٩٧٩ ثم ارتفع مرة اخرى الى ٤٣٨/٧ مليار في العام ١٩٨٠. و هذا يعني ان ديون الدول النامية تزداد سنويا خلال السنوات العشر الاخيرة بمعدل ٢٠/٥ بالمائة.

اوليس هذا استعماراً من نوع جديد و تكلفة اقل. او لم اقل لكم ان قنوات التنمية في بلادنا تصب في بحيرة الاستعمار لانه هو الذي حفرها لنامنذ البدء؟

كان أشد حرمة للمسلمين . ومن استهان بحرمة المسلمين فقد هتك ستر ايمانه)) .

وقال رسول الله (ص) :

((ان من اجلال الله اعظام ذوي القربى في الاسلام)) .

وقال ايضا :

((من لم يرحم صغيرا ، ولا يوقر كبيرا فليس منا ، ولا تكفّر مسلما بذنب تكفره التوبة الا ما ذكره الله تعالى . * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار * واشتغل بفعلك الذي أنت به مطالب))

هذه هي الوحدة التي تطالبك بأن تجعل تعظيم حرمة المسلمين جزءاً من تعظيم حرمة الله وتربط بينهما . ولكي يعمق الاسلام شعورك بالوحدة فهو يأمرك بعدة تعاليم ، منها مثلا يأمرك بأن تسكن قلبيا الى أخيك المؤمن ويقول :

((ان المؤمن ليسكن الى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن الى الماء البارد)) .

بل يقول لك حينما تجلس عند أخيك المؤمن فأكثر النظر الى وجهه لأن كثرة النظر تزيد الحب المتبادل ، فيقول رسول الله (ص) :

((نظر المؤمن في وجه أخيه حبا له عبادة)).

ويقول ايضا :

((الا وان ود المؤمن من أعظم سبب الايمان . الا ومن أحب في الله وأبغض في الله ، واعطى في الله عز وجل فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك

وتعالى الا ان المؤمنين اذا تحابا في الله عز وجل وتصافيا في الله كانا كالجسد الواحد ، اذا اشتكى أحدهما من جسده موضعا وجد الآخر ألم ذلك الموضع)) .

هكذا ترتفع مستوى الوحدة الايمانية بل الوحدة الروحية بين المؤمنين ، ويؤكد على هذه الفكرة التي تتضمن الوحدة الحقيقية قول أبي عبد الله (ع) حينما يأتي اليه رجل ويقول له : " اني لألقى الرجل لم أره ولم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك . فأحبه حبا شديدا فاذا كلمته وجدته لي مثل ما انا عليه له . ويخبرني أنه يجد لي مثل الذي أجد له " . فقال الامام الصادق في جواب ذلك الشخص :

((صدقت يا سرير . ان ائتلاف قلوب الأبرار اذا التقَوا وان لم يظهروا التودد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار . وان بعد ائتلاف قلوب الفجار اذا التقوا وان أظهروا التودد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف وان طال اعتلافها على مزود واحد)) .

ومن جملة ما يؤكد الاسلام عليه في معرض التكامل الاجتماعي لبناء الحضارة هو ضرورة قضاء حوائج المؤمنين بعضهم لبعض .. الاسلام يقول لك اطلب حوائجك من أخيك المؤمن ولا تستحي منه . وكلما تجده في نفسك اكشفه له بلا تحرّج . ويطلب منه في نفس الوقت أن لا يتوانى في تقديم ما يتمكن عليه . حينما تقضي حاجتي أقضي أنا أيضا لك حاجتك فأنت تتكامل معي وأنا أتكامل معك . لأنك تستطيع أن تقوم بعمل لا أستطيع هذه اللحظة أن أقوم به ، وغدا قد أكون أستطيع القيام بهذا العمل وتعجز أنت من

ذلك • وهكذا فان عملية التعاون تبدأ من الجذور ومن الخلايا الصغيرة • وعندما يصبح المجتمع كله كتلة متراصة آنئذ لا يمكن اختراقها •

وتأملوا حديث الامام الصادق (ع) وهو يقول :

((أوحى الله عز وجل الى داود ، ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنتي ، فقال داود يارب وما تلك الحسنة ؟ فقال يدخل على عبدي المؤمن سرورا ولو بتمرة ، قال : فقال داود عليه السلام : حق لمن عرفك الا يقطع رجاءه منك)) •

وكذلك الرسول (ص) فيقول بعد ما يسأل أي الأعمال أحب الى الله ••

((اتباع سرور المسلم • قيل يارسول الله وما اتباع سرور المسلم • قال شبعة ، جوعه وتنفيس كربته ، وقضاء دينه)) •

والانسان الذي يدخل على قلب أخيه المؤمن السرور فان الله سبحانه وتعالى سوف يحسب لذلك الانسان على عمله حسنات ، وهكذا يريد الاسلام •• التعاون الصادق العميق بين المؤمنين •

وفي حديث يصور لنا مدى أهمية قضاء حوائج المؤمنين بهذا الاسلوب الرائع ••

" كنت عند الامام أبي عبدالله الصادق (ع) فذكر عنده المؤمن وما يجب من حقه فالتفت الي ابو عبدالله فقال لي يا أبا الفضل الا أحدثك بحال المؤمن عند الله فقلت بلى فحدثني جعلت فداك •• فقال :

((اذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه الى السماء فقالا يارب عبدك ونعم العبد ، كان سريعا الى طاعتك بطيئا عن معصيتك وقد قبضته اليك فما

تأمرنا من بعده ؟ فيقول الجليل الجبار اهبطا الى الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجداني وسبحاني وهللاني وكبّراني واكتبا لذلك العبد حتى أبعثه من قبره)) .

ثم قال لي أزيدك قلت بلى فقال :

((اذا بعث المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه امامه ، فكلما رأى المؤمن هولا من اهوال يوم القيامة قال له المثال لا تجزع ولا تحزن وأبشرك بالسرور والكرامة من الله عز وجل فما يزال يبشره بالسرور والكرامة من الله سبحانه حتى يقف بين يدي الله عز وجل ويحاسبه حسابا يسيرا ، ويأمر به الى الجنة والمثال امامه فيقول له المؤمن رحمك الله نعم الخارج معي من قبري مازلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله عز وجل حتى كان ما كان فمن أنت فيقول له المثال أنا السرور الذي أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله لأبشرك)) .

هذه هي البرامج الاسلامية لبناء المجتمع الفاضل . وكم يكون راقيا ذلك المجتمع الذي يسعى لادخال السرور والفرح الى قلوب سائر أبنائه .

وللامام جعفر الصادق (ع) حديث يبيّن فيه أن تعاون المؤمنين وترابطهم المادي والمعنوي أفضل من العبادات المستحبة :-

" حججت سنة ثم ذهبت الى أبي عبدالله الصادق فقال من أين بك يامشمعي فقلت جعلت فداك كنت حاجا فقال أوتدري ماللحاج من الثواب ؟ فقلت ما أدري حتى تعلمني فقال :

((ان العبد اذا طاف بهذا البيت أسبوعا أي سبع مرات وصلى ركعتيه وسعى بين الصفا والمروة كتب الله له ستة آلاف حسنة وحط عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة وقضى له ستة آلاف حاجة في الدنيا كذا أو ادخر له للآخرة)) .

فقلت جعلت فداك ان هذا لكثير .. فقال الا أخبرك بما هو أكثر من ذاك فقال قلت بلى ، فقال (ع) :

((لقضاء حاجة امرء مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة حتى عد عشر حجج ..)) .

فهل تملك نفسك بعد ما تسمع هذا الحديث وتؤمن به الا أن تهرع لقضاء حوائج اخوانك المؤمنين . وكم يكون ساميا ذلك المجتمع الذي يسعى بل يهرع كل واحد لقضاء حوائج اخوانه بهذه الروحية العالية والنية الخالصة . ثم ان النبي (ص) يقول :

((والله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر واعتكافه)) .

والامام الصادق يقول حديثا بالغ الاهمية نرجوا أن يصبح منارا نهتدي به ..

((ان الرجل ليسألني الحاجة فأبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعا اذا جاءته)) .

فحينما يسألك شخص حاجته فبادر الى قضائها ولا تماطل فقد يتغيّر الوضع ويستغني عنها فتفوتك بذلك فرصة عظيمة ، حيث يقول (ع) في حديث آخر :

((من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه)) .

والاسلام الذي يقول للمقتدر اقض حوائج اخوتك المؤمنين ، يقول للمحتاج أطلب من أخيك حوائجك . يقول الامام الصادق (ع):

((اذا ضاق احدكم فليعلم أخاه ولا يعن على نفسه)) .

أي يجب على من يقع في مشكلة أن يستعين بأخيه المؤمن على حلها ولا يتركها تستفحل ومن مجموع ذلك يتكون المجتمع المتكامل الخالي من المشاكل .

والحديث التالي يشجعنا على الاجتماعات الايمانية الى هذا المستوى ويقول :

((تبسم المؤمن في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى حسنة وما عندالله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن)) .

اولا تريد أيها المسلم ان تجلب لنفسك حب الله تبارك وتعالى ؟

وأكثر من هذا يقول الاسلام لو أن رجلا مشركا كافرا قضى حاجة رجل مؤمن فان الله لا ينسى لذلك الرجل المشرك عمله الحسن .. انظروا .. الى هذا الحديث ، سمعت أبا جعفر (ع) يقول :

((ان في ما ناجى به الله عز وجل عبده موسى قال أن لي عبادا أبيحهم جنتي واحكّمهم فيها قال يارب من هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكّمهم فيها ؟ قال من أدخل على مؤمن سرورا . ثم قال ان مؤمنا كان في مملكة جبّار فولع به فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وارفقه واضافه فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي

لو كان لك في جنتي مسكن لا سكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركا . ولكن يانار هيديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار . قلت من الجنة ؟ قال من حيث شاء الله)) .

فليس من المهم أن يأتي الرزق في نار جهنم من الجنة او من اي مكان ، انما المهم هو ان هذا المشرك الذي بقي مشركا حتى مات لا يدخل الجنة ولكن بسبب تعاونه مع المؤمنين الصادقين وخصوصا هذا المؤمن الثائر الذي ولع به الطاغوت فهرب من بلاد الاسلام الى بلاد الشرك خوفا على دينه ، فأن الله لا ينسى لهذا المشرك عمله الحسن بل يجازيه خيرا بهذا الاسلوب .

ان الأحاديث كثيرة ، واختصر الكلام وابين بأن الاسلام ليس فقط يريدنا ان نسارع نحو قضاء حوائج اخوتنا المؤمنين وانما يشجعنا ايضا على التعاون والتماسك والارتباط ببعضنا عبر عدة تعاليم تبدو انها ظاهرية ولكنها تهد الى حقائق واقعية مثل أخذ الزينة للمساجد والتعطر ، والاكتحال وعموما الحضور في المساجد وسائر الاماكن المقدسة والاجتماع في المناسبات الاسلامية وحتى المشاركة في الاعراس وتشييع الجنائز .



معالم القيادة الاسلامية

● القيادة في المجتمع الاسلامي

ولا تزال أمامنا عدة مواضيع هامة تخص المجتمع الاسلامي أهمها " موضوع القيادة " ذلك لأن القيادة تعتبر رمزا تتحلى بها قيم المجتمع ووجهته . وقد أعطى الاسلام أهمية كبرى لمسألة القيادة بمفهومها العام وهو وجهة الانسان في الحياة ، كما أعطى أهمية مماثلة لها بمفهومها الخاص وهي القيادة السياسية والاجتماعية للانسان .

ونقسم حديثنا عن القيادة الى ثلاثة أبعاد، القيادة كحالة اجتماعية ، والقيادة كتسلسل تنظيمي ، والقيادة كرمز للمجتمع . والاسلام يعالج هذه الأبعاد جميعا ، ومن دون ذلك لا يمكن أن تكون قيادة اسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة .

القيادة حالة اجتماعية :

القيادة الاسلامية حالة داخل المجتمع الاسلامي ، تتجسد في التسلسل التنظيمي ، وفيمن يقف على رأس الهرم القيادي ، وهو الرسول (ص)، والامام المعصوم (ع) أو الولي الفقيه .

فلننظر الى أمر القيادة الرسالية كحالة اجتماعية ماهي أرضيتها داخل المجتمع ؟

قبل كل شيء يجب أن نعرف أن القيادة الرسالية هي قيادة القلوب وليست قيادة الأبدان . وهي قيادة الرضا

وليست قيادة الضغط . وهي قيادة التسليم وليست قيادة الارهاب ، ومن دون ايجاد حالة الرضا التي هي الحالة القيادية في المجتمع يستحيل ايجادها في قمة الهرم التي تشكل القائد الأعلى لهذه الأمة .

فمن الصفات الاساسية للمسلم الرضا ، وذلك يعني ايمان الانسان بمحورية الحق في هذه الحياة . فاذا كان هناك انسان أسود اللون في مجتمع يكون السواد قيمة سلبية فلا يجوز ان يموت قلقا ويقول لماذا خلقني الله هكذا ؟

اذا كان هنالك رجل قميء في مجتمع كل أبناءه طوال القامة فليس له أن يقلق نفسه ويغتاظ وينظر الى الحياة عبر نظارة سوداء ، لماذا أنا قصير القامة ؟

الانسان يجب أن يرضى بما هو ، أو بتعبير أفضل أن يبدأ من حيث هو . فاذا كان طالب ثانوية ، فيبدأ من هذه النقطة ويدرس حتى يصبح خريج جامعة ، ويبدأ من تلك النقطة مرة أخرى ليحوز على شهادة الكتوراه ، وعلى هذا المعدل ، فيبدأ في كل مرة من حيث هو .

أما حينما يرى طالب الثانوية نفسه خريج الجامعة أو يرى نفسه دكتوراه فهذه حالة مناقضة للرضا .

الرضا هو اعتراف الانسان وتسليمه واقتناعه بدوره المحدد له في الحياة وبحالته المتميزه في المجتمع ثم الشروع ابتداء من تلك النقطة للتحرك الى الامام ، والذي في أعلى الجبل ، الرضا بالنسبة اليه هو اعترافه بأنه فوق الجبل .وعليه أن يتحمل مسئوليته كانسان واقف فوق القمة . أما الذي لايزال في السفح أو الذي يعيش في الوادي فيجب أن يرى نفسه حيث هو حتى يبدأ من تلك النقطة المنحدرة فيرتفع الى الأعلى .

هذا هو معنى الرضا .. والمجتمع المسلم هو مجتمع الرضا. كل فرد يؤمن بحجمه ودوره ، وتكون نظرته الى نفسه والى امكاناته والى موقعه الاجتماعي والى واجباته في هذا الموقع نظرة سليمة ، نظرة الحق ، نظرة لا تتبع الهوى أو الأماني هناك أناس يعيشون "في مواقفهم" الأماني فمثلا يتمنى شخص أن يكون رئيس جمهورية ، ويتعامل مع أهله في البيت على هذا الأساس ، واذا ذهب الى عمله وهو مدرس مثلا يتعامل مع طلابه وكأنه الرئيس وهم رعيته ، واذا خرج الى السوق فهو يتعامل مع الباعة والتجار بهذه النظرة ايضا . وكهذا . هذا الانسان يرى الحياة من خلال أمانيه وليس من خلال واقعه في الحياة وهذا خطأ كبير ينهى الاسلام عن الوقوع فيه .

وكانت في أهل الكتاب طائفة لا يعرفون الكتاب الا أماني ، عقائدهم بالنسبة الى الرسالة نابعة من أماني وأحلام . والقرآن يعيب عليهم هذه الحالة ، فيقول :

﴿ ومنهم أميّون لايعلمون الكتاب الا أماني ﴾
(٧٨/ البقرة)

ثم يقول بعد ذلك :

﴿ الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين ﴾
(١٤٧/ البقرة)

عليك أن ترى الحياة بما فيها من خير وشر ،وأن ترضى بدورك فيها وبمسئوليتك تجاهها .. أن ترى الحياة بما هي ولا تنظر اليها من خلال نظارة الأمانيّ .

المجتمع الاسلامي هو مجتمع الرضا ، ومن أعز صفات المؤمنين . هي صفة الرضا .. ونرى القرآن الحكيم يعبر عن هذه الصفة بعدة أساليب فقد يعبر عنها بالرضا قائلا :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾
(٢٧/٢٨/٢٩/٣٠/ الفجر)

﴿ وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية ﴾

(٨/٩/١٠/ الغاشية)

وقد يعبر باليقين قائلا :

﴿ وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا ، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾

(٢٤/ السجدة)

وقد يعبر عنها بالصبر :

﴿ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾
(١٠/الزمر)

وقد يعبر عنها بالتسليم :

﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾
(٥٦/الأحزاب)

وقد يعبر عنها بالاسلام ، الذي هو تعبير عن التسليم :

﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ (١٩/ال عمران)

﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾
(٨٥/ال عمران)

وقد يعبر عنها بالاطمئنان ، فيقول في قصة ابراهيم (ع)

﴿ قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾

(٢٦٠/ البقرة)

فالرضا ، واليقين ، والصبر ، والاسلام ، والتسليم ، والطمأنينة ، والسكينة تعابير مُختلفة لحالة واحدة ، وهي قبول الواقع الحق والابتداء من منطلق الحق لبناء كيان التطلعات ، أي الابتداء من حيث هو ثم التحرك الى الامام والارتقاء الى الأعلى .

وانما اختلف التعبير عن هذه الحالة . لأن أبعادها تختلف .. فباعتبار قناعة الانسان بما هو واقع في الخارج تسمى هذه الحالة بالرضا ، وباعتبار انعكاس هذه القناعة على النفس البشرية واعطائها الهدوء ، تسمى بالسكينة ، وباعتبار تطابق هذه القناعة مع الحق الخارجي ، تسمى باليقين ، وباعتبار أن هذه الحالة تسبب خضوع صاحبها لمناهج الله تسمى بالاسلام أو التسليم . فالحالة واحدة بينما الاعتبارات مختلفة وبمقتضى كل اعتبار يسمي القرآن هذه الحالة باسم معين .

كيف نحصل على اليقين ؟

ونستوحي من هذه الآيات المباركة أن الرضا ، واليقين والطمأنينة والسكينة ... أهداف كبيرة يجب أن يسعى الفرد من أجل تحقيقها في ذاته . لذلك ترى أن ابراهيم (ع) يتضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يريه كيف يحي الموتى لماذا ؟ لكي يطمئن قلبه . ونحن بدورنا نسعى من أجل الحصول على اليقين عن طريق تأمل آيات الله في الكون . والتدبر في آيات الله في القرآن ، ففي سورة الأنفال يقول القرآن الحكيم :

﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

(٢/ الانفال)

وفي سورة التوبة يقول القرآن :

﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾

(١٢٤/التوبة)

انهم حينما يزدادون ايمانا يستبشرون ، لأن هذه الحالة هي حالة السكينة والرضا والهدوء النفسي فتظهر على وجوههم ويمضي القرآن لتكملة الصورة فيقول :

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ، فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾

(١٢٥/التوبة)

وفي سورة الكهف يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً ﴾ وربطنا على قلوبهم ﴾

(١٣/ ١٤/ الكهف)

قلب الانسان في اهتزاز وقلق ، وكأن الايمان حزام أمن يربط اطرافه فلا يدعه قلقا متوترا .

وعند مواجهة الأعداء يحكي القرآن حالة المؤمنين وذلك في سورة الأحزاب :

﴿ ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ومازادهم الا ايمانا وتسليما ﴾

(٢٢/الاحزاب)

وايمانهم بآيات الله وبوعده زادهم ايمانا وخلق في انفسهم شعورا بالرضا والتسليم وهو تمام الايمان .

وفي سورة الفتح يقول القرآن الحكيم :

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا أيمانا مع ايمانهم ﴾
(٤/ الفتح)

وفي سورة المجادلة :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾
(٢٢/ المجادلة)

هنا يعبر القرآن الحكيم عن تلك الحالة النفسية التي يعيشها المؤمن وهي حالة السكينة والهدوء بأنها بسبب تأييد روح من قبل الله سبحانه وتعالى .

المجتمع المسلم مجتمع الرضا ، مجتمع التسليم ، هذه هي قاعدة هذا المجتمع النفسية . في مثل هذا المجتمع تصبح الطاعة للقيادة قضية طبيعية — لماذا ؟

لأن الفرد هنا يعترف بمستواه الحق . ويرضى أن يتعامل على اساسه بعكس الانسان الذي يرى نفسه فوق مستواه ويزعم أن الناس يسيئون اليه مثلا الفرد الذي يتصور نفسه بمستوى رئيس جمهورية ولكن يعامل كمعلم في مدرسة ، أو الانسان الذي يرى نفسه بمستوى المرجع الأعلى ويتعاملون معه كطالب علم بسيط ، أو من يرى أنه ينبغي أن يكون مديرا لهذه الادارة فينّصب كاتبا بسيطا — هذا الانسان يعيش القلق ولذلك فمن الصعب عليه أن يطيع قيادته ، الا أن تفرض هذه عليه فرضا قراراتها الآن التي تأتي منفوق مصدر لا يؤمن بجدارته لا تجد قبولا في نفسيته بل تجد بدل ذلك الرفض وقيد الغضب وحتى عندما يطبق هذه

القرارات فانه يفعل ذلك مرغما ولا يعطي العمل حقه لان تطبيق القرار بدون ارادة الانسان يثبط رغبته ويحول دون ابداعه فتأتي النتائج مخالفة تماما لما أرادته القيادة .

هذه حالة الدول البيوقراطية التي كلما بحثوا عن حلّها لم ينجحوا الى شيء ، بينما كان السبب يمكن في نفسية الموظفين الذين لا يطبقون القرار باعتباره واجبا انسانيا واجتماعيا ، وانما يبحثون ابدا عن الطرق الملتوية للتهرب من واجباتهم فترى الموظف ينظر خلال الدوام عشر مرات الى ساعته متلهفا لانتهاء الدوام ويقفز من مكتبه خارجا قبل ربع ساعة من الموعد المحدد . لماذا ؟

لانه لا يرى نفسه حيث هو بل يفتش عن شيء آخر ويعيش في اجواء أخرى . فالطاعة في هذا المجتمع الذي يعيش أبناءه القلق النفسي وحالة عدم الرضا والتسليم تصبح قسرا والقسر لا يدوم .

أما في المجتمع الاسلامي فالقائد بامكانه أن يجلس ويخطط ويفكر ويقوم بالواجبات الأساسية للقيادة التي سنشرحها فيما بعد لأنه يعلم أنه حينما يقول كلاما فالناس سيطبقونه بدون تردد بل برغبة وعزيمة .

وحالة القيادة تؤثر سلبيا أو ايجابيا على قرارات القيادة فاذا فقدت حالة الرضا والتسليم من المجتمع يصبح حال قائده كحال الأمام علي عليه السلام حيث يتأوه ويقول :

((ويلكم أفسدتم عليّ رأيي)) .

قالها عندما ظهرت حالة التمرد والعصيان في صفوف أصحابه واخذوا لا يطبقون قرارات القيادة بالشكل المطلوب

ففي هذه الحالة يجد القائد نفسه حائرا لا يدري أي قرار يتخذ وكيف يخطط لأنه كلما رسم خطه أفسدها الناس بعدم الطاعة والتسليم . ويقول عليه السلام في حديث آخر :

((لا رأي لمن لا يطاع)) .

ان المجتمع الذي تنعدم فيه حالة الطاعة لا تستفيد من القيادة الناجحة ولو كانت تجسد قمة القيادات كالامام علي عليه السلام .

التسلسل التنظيمي :

وبعد أن تتمتن الارضية القيادية داخل المجتمع (وهي حالة الرضا والاطمئنان) يأمر الاسلام بالتدرج القيادي أو التسلسل التنظيمي .

فماذا يعني ذلك ؟

ان المجتمع أشبه شيء بشجرة كثيفة الاغصان فالشجرة لا تتصل أوراقها بالساق مباشرة وانما تحمل هذه الاوراق الفروع والاغصان المختلفة متدرجة في ذلك صغرا وكبرا حتى تتصل بالساق وتستمد قوتها بل وشرعيتها منها أليس كذلك ؟

وفي دراسة عن المجتمعات المتحضرة وعن الفرق بينها وبين المجتمعات البدائية يذكر بعض علماء الاجتماع هذه الحقيقة .. كلما زادت الفروع التي تتفرع عن الساق الواحدة في مجتمع أي زادت الحلقات في السلسلة القيادية كلما كان هذا المجتمع أقوى أما اذا فقد المجتمع ذلك التسلسل فوُجد فيه رأس الهرم ووجدت فيه القاعدة ، ولكن لا توجد بين الرأس والقاعدة الحلقات الوسيطة فان هذا المجتمع يكون ضعيفا بل يصبح كالموجودات الطحلبية التي تفتقر الى الارتباط الوظيفي حيث تعمل كل خلية بمفردها وأن كانت ضمن كتلة واحدة .

ومشكلة مجتمعاتنا الاسلامية وخصوصا مشكلة الحركات الاسلامية هي مشكلة فقدان الوسائط القيادية ففي هذه الامة نجد القيادات العليا من الطليعيين ومن العلماء الربانيين كما توجد القاعدة العريضة المؤمنة المخلصة . ولكن هناك فجوة واسعة بين الأرضية الجماهيرية ، وبين القيادة المطبقة لبرامج السماء والملهم لأفراد الشعب لا توجد الوسائط الكافية ،فتكون الملاقات مفقودة .

ويعود هذا الأمر الى نقصين أساسيين :

النقص الاول :

يعود الى أبناء المجتمع الاسلامي لا يطيعون قياداتهم طاعة اعتبارية وانما طاعة ذاتية . وهناك فرق بين الأثنين .

قد ترى شخصا مؤهلا للقيادة ، مؤمنا صادقا عالما زاهدا فتطيعه طاعة ذاتية ، وقد يأتيك رجل قميء ، دميم الوجه لا يعرف أن يتكلم بطلاقة ويقول عندي أمر من الرئيس الكذائي بأني أنا قائدك ، فتطيع هذا الانسان ليس لأجل جمال وجهه ولا لطلاقة لسانه ، ولا لكفائته الأدارية وانما لأجل القانون أنه يحمل حكما من ذلك القائد الذي تحترمه وتطيعه . هذه الطاعة تسمى طاعة اعتبارية .

والمجتمعات الناجحة تقاس بمقدار طاعتها الاعتبارية للقيادات لأن الطاعة الذاتية للقيادة مسألة مألوفة فاذا وجدت مثلا رجلا ذكيا ، فاهما عالما ، مؤهلا مديرا مدبّرا فأطعته فانك لم تأت بشيء جديد لأن مثل هذا الرجل يطيعه أغلب الناس ثم لتعرف مثل هذا الانسان فانك بحاجة الى وقت طويل حتى وقد لا تتسنى لك معرفته أبدا مما يؤدي الى الفوضى والاضطراب . بينما المجتمع

السليم يطيع كل من يحمل أمرا أو حكما من القائد الأعلى انه يطيع اعتباريا ٠

ان مجتمع الرسول (ص) الذي كان مجتمعا يتسم بالحيوية والفاعلية كان يطيع قياداته اعتباريا ، فلأن الرسول (ص) يعطي حكم القيادة لهذا الانسان فانه يطاع ، وقد يكون هذا الانسان أسامة بن زيد وهو شاب عمره ١٦ سنة ٠ يؤمّره رسول الله (ص) على رأس جيش فيه ثلاثة آلاف من المسلمين وفيهم كبار الصحابة ، فلم يرفضوا ولم يحتجوا على صغر سنه ٠

هكذا كانت القيادة عند المسلمين وعند كل مجتمع متقدم ٠ أما المجتمعات المتخلفة التي ننتمي اليها فهي لا تحمل هذه الصفة ولكنها تطيع فقط من ترى فيه أهلية مباشرة للقيادة وليس من يحمل أمرا من قبل القائد الأعلى ٠

النقص الثاني :

هو فينا وينعكس على مسألة التسلسل التنظيمي وذلك في فقدان التشجيع الكافي للقيادات الوسيطة بين أبنائنا اذ كل واحد منا يريد أن يتصل مباشرة بالقائد الأعلى بطريقة أو بأخرى ، ولا يفكر أن هذا القائد لا يملك مئة قلب في جوفه يتمكن بها من ادارة كل الشئون مباشرة ٠ ثم لنفرض أن عنده الامكانية الكافية لقيادة المجتمع ولكن أفلا يوجد في هذا المجتمع من يقوم بدور آخر ؟ هل انحصرت الاعمال كلها في القائد الأعلى ٠ ان هذا النوع من التفكير الخاطىء يسبب وأد القيادات الوسيطة في بلادنا بانعدام التشجيع الكافي لنا ٠

ونستطيع أن نضرب مثلا واضحا من واقع المجال العسكري ٠ فالجيش الذي يفقد ضباط الصف والعرفاء ،

ورؤساء العرفاء وما أشبه ولا يملك الا كبار الضباط لا يستطيع أبدا أن يقوم بعمل ناجح ويفتقد القدرة تماما على تنفيذ العمليات التكتيكية ، ولا يستطيع الا أن يقوم بعملية استعراضية كالتظاهرات ان كان يأمر القائد الجنود يهجمون بطريقة عفوية . أما العمليات التكتيكية عمليات الهجوم والدفاع التي تحتاج الى المفارز والأفواج والسرايا والكتائب وما يحتاج الى تدرج الأوامر الى الجنود من قبل القائد العام في الظروف المختلفة فليس بامكان هذا الجيش اجراءها، وذلك بسبب انعدام القيادات الوسيطة .

وهذا يسري ايضا على الأعمال الانشائية والعمرانية وكذلك على الأنظمة الجامعية والنشاطات الأخرى في المجتمع والسبب يعود الى هذين الأمرين :

الاول : عدم وجود القيادة الاعتبارية .

الثاني : عدم وجود التشجيع الكافي لنمو القيادات الوسيطة داخل التنظيمات والكيانات المختلفة .

القيادة والانبعاث الاسلامي الجديد

كيف يخلق الاسلام القيادات الوسطية بين رأس الهرم وهو القائد الأعلى وبين القاعدة المطبقة لأوامره ؟

للاجابة على هذا السؤال لابد أن نذكر :

اولا : ان الطاعة في الاسلام خاصة بالله سبحانه وتعالى اذ لا يجوز ان يطيع المسلم أحدا من دون الله انى كان ويعتبر ذلك شركا بالله . ولكن فرق بين طاعة ذاتية وطاعة امتدادية ، فالطاعة الذاتية انما هي لله وحده لا شريك له . اما الطاعة الامتدادية التي تكون لله وباذن الله (ولكن عبر عبد من عباد الله أمر الله باتباعه وطاعته) فانها تكون باذن الله ايضا . فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الحكيم :

﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ﴾
(٦٤/النساء)

فاذن الله هو الوسيط بين طاعة الله وطاعة عباد الله .

لماذا نطيع رسول الله ؟

لماذا نطيع الامام ؟

لماذا نطيع ولي الامر ؟

الجواب : لان الله أمرنا بذلك .

ولولا أن الله أمرنا بطاعة رسوله وطاعة أوليائه

لكانت تلك الطاعة نوعا من الشرك ، وكان ذلك طاعة للطاغوت فكل من يطاع بدون اذن الله يعتبر طاغوتا ويحرم على الانسان أن يطيعه .

والاسلام يعوّد الانسان على الطاعة باذن الله أي على اعتبار أن الطاعة لله أولا ، ولمن أمر الله بطاعته .

ثانيا :

اننا لا نرى في القرآن الحكيم آية تأمرنا بطاعة أحد الا بعد أن تأمرنا بطاعة الله .. او تذكر اذن الله يقول ربنا :

﴿ أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾

(٥٩/النساء)

فتأتي كلمة أطيعوا الله اولا ، ثم بعد ذلك كلمة أطيعوا الرسول وأولي الامر . واذا أمر الله بالاهتمام والمحبة والمودة للأقارب وللأب والأم ومن اشبه ترى انه يبدأ الحديث بعبادة الله ..

﴿ ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾

(٢٣/الاسراء)

● في البداية يذكرنا بعبادة الله أي طاعة الله والطاعة لا تكون الا لله .. واما الاحسان الى الوالدين فانه سيكون من ضمن طاعة الله وليس شيئا مستقلا .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ﴾

(٣٦/ النساء)

فالطاعة اذن خاصة بالله سبحانه ، وآيات القرآن تعوّدنا على هذه الحالة فتجعل طاعتنا امتدادا لتلك

الطاعة . وحينما تتعود النفس على هذا النوع من الطاعة فباستطاعتها أن تخضع لأي انسان مهما كانت قناعتها به ومهما كانت صفاته ، لالشيء الا لأن الله أمر بذلك وأذن به ، واذا سحب الله أمره واذنه فان ذلك الانسان يسقط مباشرة عن اعتبار الطاعة .

وتحضرني هنا قصة طريفة وهي أن الامام الجواد (ع) وكان قد عهد اليه بالامامة في باكورة شبابه ، وكان عم أبيه من فقهاء الطائفة في زمانه وكان قد ابيضت كريمته في الفقه وكان ذا جاه عريض في المجتمع فجاء اليه بعض الناس فقالوا له كيف تطيع هذا الشاب الصغير العمر وأنت بهذه المنزلة ، وكيف تعتبره اماما لك وأنت رجل كبير وجاهك عند الناس عظيم ، وما أنت عليه من العلم والفقه ؟

فقال : ماذا لو أن الله سبحانه لم يجد في هذه الشيبة صلاحية الامامة ، ووجدها عند هذا الفتى ؟ ءأنكر فضله ؟

كان هذا الشيخ يصفّ حذاء الامام الجواد امامه ؟ لان تكريم الامام الجواد وطاعته لم تكن لانه أكبر العائلة سنا كما هو الحال في التقاليد العشائرية ولأنه صاحب شيبة لذلك تتوجه اليه الافكار والانظار ، وليس لأنه مشهور عند الناس وذو جاه عريض . أو لانه صاحب مال وافر كلا ، وانما لان الله أمر بطاعته . فالطاعة لله وباذن الله فقط وفقط .

ومن هنا تجد ان الامام عليا (ع) حينما يبين لنا الحكمة في أن الله لم يزّود أنبيائه بالسلطة الماديه أو بالثروة والمال يقول ..

((لأن ذلك أبلغ في الأختبار وامتحان الناس)).

لو كان الأنبياء أصحاب أموال عريضة ، وسلطة قوية

لما كان هناك ابتلاء حقيقي للبشر .

وأتصور أن هذه الفكرة تستنبط من قوله سبحانه وتعالى في قصة نوح (ع) حينما جادله قومه وقالوا اننا لا نجد لكم فضلا علينا بل نظنكم من الكاذبين ، رد نوح عليهم ..

* انلزمكموها وانتم لها كارهون *
(٢٨/ هود)

أي أنني لم آت برسالة وراءها قوة الحديد والنار أو اغراء المال والثروة ، أو تكتيكات السياسة . وانما جئت برسالة بينة ويؤمن بها من يؤمن عن بيّنة ، ويكفر من يكفر عن بيّنة . فالايمان والكفر يجازى عليهما من قبل الله سبحانه وتعالى اذا كانا بكامل اختيار الانسان ووعيه حتى يصبح ذلك امتحانا وفتنة للانسان ، والا تبطل حكمة خلق الخلق وانشاء الكون .

اذن الطاعة ليست الا لله وحينما يحل الاسلام هذه العقدة من المشكلة السياسية والاجتماعية في المجتمع انئذ ترى ان القيادات الوسيطة تبرز الى الوجود دون موانع وعقبات .. المجتمع يطيع القائد الأعلى وهو الولي الفقيه أو امام الأمة ، وهو بدوره يطاع بأذن الله ، والذين ينصبهم كولاة للاقاليم والاقطار يطاعون هم أيضا باذن الله ، وهكذا يستمر التسلسل التنظيمي الهابط من رأس الهرم القيادي حتى يصل الى قاعدة الهرم المتمثلة بعامة الشعب . فكل فرد يطيع الرئيس المباشر له ويكون بذلك قد أطاع الله سبحانه في النهاية : وتكون هذه الطاعة طاعة رضا وقناعة وليست طاعة ذاتية . وتكون الأمة كما كانت في عصر الرسول (ص) في أعلى درجات الانضباط حيث نجد أسامة بن زيد وهو صغير السن يؤمر على جيش كبير وأن

الرسول (ص) يعطي الصلاحيات القيادية لبعض العناصر لحكمة معينة حتى ولو كانت الجماهير لا تقبل بذلك لعدم فهمها لحكمة الرسول (ص) ولكن الجماهير كانت تخضع بالتالي ، لأن طاعة هذا الانسان انما هي طاعة لله .

ويذكر المؤرخون ان الانضباط التنظيمي في الجيش الاسلامي كان أعلى انضباط عرفته الجيوش عبر التاريخ . اذا قال القائد شيئا ، سكت الجميع .

﴿ وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ﴾

(١٥٩/ال عمران)

هذه الكلمة كانت شعار الجيوش الاسلامية . ولم نجد في الجيوش الاسلامية اهتزازا أو تشرذما ، بل كانت هناك الوحدة والتماسك والاندفاع نحو تطبيق الأوامر وتحقيق الأهداف باذن الله لأن الطاعة الاعتبارية كانت موجودة . هذا عن السؤال الذي سبق وأن طرحناه .

قلنا في حديث سابق ان المجتمع الاسلامي الحق هو المجتمع الذي يتمتع بحالة قيادية وتسلسل قيادي ويكون رأس الهرم رساليا .

أما الآن فينبغي أن نشير الى نقطة أساسية في التسلسل القيادي في هذا المجتمع وهي أن القيادات الوسيطة لابد أن تكون بذات المواصفات التي كانت في رأس الهرم . القائد الاسلامي لا يختار القيادات الوسيطة - حسب مستطاعه - انطلاقا من وجاهتها وشهرتها أو ثروتها أو سلطتها أو قوتها أو شرفها العشائري الى غير ذلك وانما يختارها وفق المقاييس الحقة أي وفق التقوى .

﴿ ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾

(١٣/ الحجرات)

يختار الاكفأ، الأعلم ، الأفضل ادارة ووعيا .. ولأن الناس يتبعون القائد بلا مناقشة وباذن الله فسوف يتبعون من يعيّنه القائد على أمر من الأمور ، وبهذا الاتباع ستتوفر للأمة الاسلامية فرصة وجود قيادات فاضلة جدا ونابعة من عمق الواقع .

أما اذا لم تكن الخيرة بيد القائد الأعلى ،كما هو الحال في الأمة الاسلامية في يومنا هذا وأرادت المجموعات الاسلامية أن تختار قياداتها الموقعية الميدانية فكيف تتصرف ؟ لو افترضنا أن هناك تجمعا اسلاميا مصغرا في بعض ولايات الهند أو بلاد أفريقيا أو قرى اندونيسيا فكيف يختار قيادته ؟

الجواب أن الاسلام يقول :

﴿ ان اكرمكم عند الله أتقاكم ﴾
(١٣/الحجرات)

وهذا يعني انه لا ينبغي أن يختار القائد لأنه أكثر لباقة وطلاقة لسان أو لأنه الأكبر سنا ، أو لأنه الأسبق الى النضال أو لأنه أكثر مالا وجاها .. فهذا هو الانحراف ، بل هو الشرك الخفي ، وانما يجب أن يختار بمقاييس اسلامية .. فيفكر أعضاء الجماعة لو أن رسول الله بينهم وأراد أن يختار لهم قائدا فمن يختار ؟ هل كان يختار صاحب المال والجاه ، هل كان يختار الأكبر سنا والأشيب شعرا .. وانما كان يختار الأفضل من النواحي الايمانية والأدارية . فاذا اختاروا الأفضل ، والأتقى ، والاكبر والأكفأ ادارة وبالتالي اذا انطلقوا من قيم اسلامية في اختيارهم فسوف تكون هذه الخيرة من قبلهم سببا في ديناميكية التجمع وفي المزيد من فاعليته ، وفي أن كل واحد من أفراد ذلك التجمع يسعى لتحصيل ذات القيم

التي اختاروا القائد انطلاقا منها ، ولكننا اذا اخترنا القائد بأعتباره اكثر مالا مثلا فكل واحد سيقول حسنا سأحاول الحصول على المال الكثير حتى يختاروني قائدا ، ولو اخترنا القائد باعتبار قبيلته ، أو عشيرته ونسبه فكل واحد أيضا سيسعى للتطبيل والتزمير والدعاية لقبيلته وعائلته لكي ينتخب قائدا ، وهكذا يكون تركيز المجتمع على القيم المادية الزائفة .

مثل من واقع العراق :

اذن لو كانت القيادة تنشأ في بلد باعتبار أن هذا الشخص من تكريت كما هو الوضع في عهد نظام صدام فستكون حتى القطة التكريتية مسئولة في الدولة ومثل هذه السلطة لا يهمها كفاءة من توليهم المناصب انما المهم لديها الولاء التكريتي .. الملازم فلان ابن عم الرئيس ، فيجب أن يكون وزيرا للدفاع حتى ولو كان حديث التخرج من الكلية العسكرية وحتى لو كان يوجد في الجيش العراقي من يحمل أعلى الرتب العسكرية ! في ظل هذه النظرة الضيقة سيكون همّ الكثيرين منصبا على التزلف الى العائلة الحاكمة ومن الامراء المتسلطين لأن هذا هو الطريق الوحيد لاحراز المكاسب والى الحصول على المنافع .

فعلى التجمعات الاسلامية أنّى أنشئت أن تحذر من التورط في الانحراف الرئيسي ، وهو الانحراف في اختيار القادة وفق المقاييس الجاهلية . منذ البدء يجب أن تختار قياداتها وفق المقاييس والمفاهيم الاسلامية الحقة .

وفي أحاديث كثيرة يبين لنا الاسلام كيفية اختيار القيادة وسنورد بعضها في الفصول القادمة انشاءالله .

اين تكمن دخائر الحضارة الاسلامية

والآن أود أن أذكّر بمسألة هامة أمهد لها ببيان

حقيقية تاريخية وهي أن الحضارات البشرية تجليات بعد انطواءات أي انها تسير بين قطبي الكمون والظهور حسب التعبيرالفلسفي فتكمن وتختفي لفترة ثم تنبعث من جديد في فترة اخرى فنرى الحضارة الهيلينية مثلا اختفت فترة ثم ظهرت باسم آخر وبشكل آخر ولكن جوهرها ذات الجوهر وتسمى الفترة بين ظهور وظهور بفترة السبات وفي هذه الفترة تبقى مجموعة من الناس خازنة للحضارة تحتفظ بقيمها وأساليبها وارتباطاتها وعلاقاتها . حتى تأتي مرحلة مواتية لانبثاق هذه الحضارة من جديد ، فمثلا ما يسمى بالحضارة الغربية التي هي امتداد للحضارة الهيلينية ظلت لفترة من الوقت في سبات عميق . ثم بعد فترة واذا بها تبدأ من جديد وتنطلق خلال هذه الفترة التي دامت قرونا ، من الذي حافظ على هذه الحضارة وقيمها في الفترة بين سنتي " ٣٧٠ " ميلادية الى "٦٥٠ " ميلادية ؟ . المؤرخون يذكرون بأن الكنيسة هي التي حافظت على قيم هذه الحضارة . وكما تكتب التجارب في كتاب وتسجل في سفر ويبقى ويخزن في مكان أمين حتى يأتي من يضع محتوياته موضع التنفيذ . كانت الكنيسة تحافظ على الحضارة المسيحية علما بأن الكنيسة في الفترة التي أشرنا اليها والى بداية ظهور الاسلام وانتشاره ، كانت تقريبا على حق باعتبار أن الرسالة السماوية القائمة آنذاك كانت هي الرسالة المسيحية ، رسالة المسيح عيسى بن مريم (ع) .. هكذا ظلت هذه الحضارة محفوظة عند الأحبار والرهبان الى أن ظهرت مرة أخرى .

ونحن في العالم الاسلامي نعيش اليوم فترة السبات أو لا اقل نعيش نهاية هذه الفترة التي بدأت منذ القرن السابع الهجري حيث انطوت الأمة على نفسها وقعد الناس قادة وعلماء في بيوتهم وما ظهر في الأمة الاسلامية من

حكومات ودول لم تكن في الواقع الا محاكات وتقليد للحضارة السابقة ولم يكن لديها ابداع ولم تأت بجديد ، وظلت على هذا الحال من الركود الى الآن حيث يبدو انها الآن بدأت مرحلة جديدة وهي مرحلة اليقظة والظهور ، والذي جرى في ايران حسب ما يرى دارس الحضارات . أي انبعاث الثورة الاسلامية لم يكن الا جزءا من ظهور وتجلي الحضارة الاسلامية . ونحن نرجوا أن يكون الأمر كذلك .

دعنا نتساءل : خلال هذه الفترة من الذي حافظ ويحافظ على الاسلام ؟ .

هل الذي حافظ على الاسلام الحق هي هذه العسكرتارية الحاكمة و المتحكمة في البلاد ؟ ..

هل كان المثقفون المتأثرون بأساطير وخرافات الجاهلية قد فعلوا ذلك ؟ .

هل كانت الجامعات المتأثرة و المحاكية و المقلدة لأفكار الغرب و الشرق هي التي تكفلت بذلك ؟ .

كلا .. انما الذي حافظ على المكتسبات الحضارية للامة الاسلامية كانت هي الحوزات العلمية . كانت تلك الصفوة من المؤمنين الذين وازنوا العلم والهدى وحافظوا على العلاقات الايمانية بينهم واحتفظوا بمكاسب الحضارة .

والآن حين نشهد البعث الاسلامي الأصيل نراه لا يأتي من الجامعات . ولم ينطلق من أروقة السياسة ولا من المجالس البرلمانية . ولا من الغرف العسكرية ولا من دور النشر التي همها ترجمة الكتب المؤلفة في الشرق والغرب .. ولكنك ترى أن الأنبعاثة الجديدة جاءت على يد شخص قضى عمره في المحافل العلمية في حوزة قم متأثرا بذات الأساليب الأسلامية التي طبقها النبي محمد (ص) ، وبذات العلاقات الايمانية والمناهج الفقهية

ترى أن الامام الخميني حفظه الله هو الذي قاد هذا البعث الاسلامي ، لأن هذا البعث يجب أن ينطلق من هذه الحوزات ، ولأن الثقافات والأفكار الغربية أو الشرقية التي حاكتها وقلدتها جامعاتنا وساستنا وعسكريونا ونوّابنا في المجالس وطبقاتنا المرفهة لم تكن قادرة على تفجير البعث الاسلامي ، بل كانت بضاعة جاهلية ردت الى أصحابها ، كانت هذه الثقافات قنوات صبت بالتالي في بحيرة الشرق والغرب .

البعث الاسلامي انطلق من هناك ، وهذا هو تفسير ما يقوله كبار المفكرين الغربيين معترفين بأن لا خلاص للأمة الاسلامية ولا تقدم ولا حضارة الا على يد علماء الدين .

هذا الكلام يقوله المفكر الغربي الذي يسمه الكتّاب الغربيون بالعلامة .

" هاملتون جب " يقول بكل صراحة لا يمكن للأمة الاسلامية أن تصل الى مستوى من الحضارة الا على يد علماء الدين . وهذه الفكرة تعكس في الواقع الحقيقية بعينها .

علماء الدين .. خريجوا الازهر .. مراجع النجف وكربلاء وقم وقيروان وغيرهم هم الذين طردوا الاستعمار العسكري من البلاد الاسلامية . من كان السنوسي ، ومن كان المهدي ، ومن كان الافغاني ، ومن كان الشيرازي ، ومن كان عبد الكريم الخطابي ، ومن كان عبد القادر الجزائري ؟

من كان هؤلاء الذين نهضوا في وجه الاستعمار ؟
في أي جامعة من جامعات الغرب درس هؤلاء ، ومن أي منهل من مناهل الفكر الغربي شربوا ؟

لقد كانت ثقافتهم اسلامية خالصة ولذلك تمكنوا من

انقاذ البلاد الاسلامية من سيطرة الأجانب العسكرية . اما أولئك الساسة الذين خضعوا للثقافة الغربية وتأثروا بها فلم يتمكنوا الا أن يعيدوا البلاد الاسلامية هدية متواضعة وباردة الى أسيادهم ، لأن هؤلاء الذين درسوا في جامعات الشرق و الغرب وتأثروا بالمناهج الاستعمارية ، كانوا عبيدا مجاناً للمستعمرين كانت ذواتهم تدين بالعبودية للشرق و الغرب لم يكونوا يرون خلاصاً لنا الا بأتباع الشرق أو الغرب . كانوا مهزومين نفسيا بل أنهم كانوا من أبناء الشرق و الغرب ولم يكونوا من أبناء الأمة الاسلامية حقا ، و ان انتموا ماديا (فيزيقيا) الى بلاد الاسلام ، المادة لا تستطيع ان تصنع شيئا في عالم السياسة . و الروح هي التي تعمل كل شيء .

لذلك تجد ان القيادات الاسلامية التي ندعوا اليها والتي نشير الى مراكزها ومنطلقاتها ومرابض رجالها ، هي التي تستطيع ان تنقذ بلادنا من أيدي الشرق و الغرب وان تبعث روحا جديدة في هذه الأمة وتبني حضارة تليدة وجديدة باذن الله وهي الحضارة الاسلامية . وهذه هي قمة الهرم التي ندعوا اليها في التجمع الاسلامي . قمة الهرم التي تأتي خالصة من نفس الينبوع الذي تفجر على يدي النبي الأعظم (ص) والأئمة المعصومين (ع) .

ان العالم ينتظر البعث الاسلامي على يد أولئك الذين حافظوا على الحضارة الاسلامية خلال فترة الرقاد العميق في العالم الاسلامي . اما تلك الفئات و الطبقات و الاحزاب و المنظمات التي انساقت مع الشرق و الغرب و استعبدت عبودية ثقافية من قبل الأجانب فانها لا تزيدنا الا ضلالة وتيها و ابتعادا عن ذاتيتنا وعن اصالتنا وحضارتنا .



القدوات الصالحة

الحوزات العلمية هي المستودع الأمين الذي حفظ القيم الاسلامية،» عبر القرون الطويلة ، وقاوم كل محاولات التذويب وكل اغراءات التقليد للثقافات الاجنبية وبالتالي فهي الرحم النظيف والمناسب لولادة الحضارة الاسلامية من جديد . لقد جسدت في واقعها العلاقات الايمانية فاستطاعت أن تصمد بصلابة امام الحركات الاحتوائية . ان علماء الدين والمجموعة المصطفاة من المؤمنين المجاهدين من حولهم.هم الذين حافظوا على نور الاسلام في عصور الظلمات وفي فترة السبات العميق والركود والتخلف الذي كانت تعيشه أمتنا الاسلامية على طول القرون السبعة الأخيرة .

ولتوضيح هذه الفكرة دعنا نضرب مثلا من واقع التاريخ وعلى لسان المؤرخ البريطاني المعروف "أرنولد تونبي" الذي يحكي لنا ، قصة الحضارة الغربية وكيف انها ولدت من رحم الكنيسة وعلى يد حملة رسالة المسيح ، الذين عاشوا محتفظين بهذه الرسالة عبر قرون الظلمات التي امتدت من عام ٣٧٥م ، الى حوالي عام ٦٧٥م ، أي قبيل ظهور الرسالة الاسلامية . يقول هذا المؤرخ : والواقع ان الامبراطورية (يقصد الامبراطورية الرومانية) سقطت وبقيت من بعدها الكنيسة ، لان الكنيسة نالت الزعامة وكسبت ولاء الناس لها ، بينما فشلت الامبراطورية حقبة طويلة في الفوز بهذا أو ذاك ،

وبالتالي غدت الكنيسة وهي التي تخلفت عن مجتمع متحضر الرحم الذي خرج منه المجتمع الجديد)[1] .

ويقول : (اذا ما قورن ما أدته تلك الدول للمجتمع الغربي بما قامت به الكنيسة له.نجد أن دور تلك الدول سلبي ولا يعتد به، اذ هلكت جميعها تقريبا بفعل العنف قبل نهاية فترة الفراغ)[2].

كما يحدثنا طويلا عن هذه الدول كيف هلكت ولم يبق منها شيء ، ثم يقول عن سبب بقاء الكنيسة حافظة لرسالة السيد المسيح وبالتالي لرسالة السماء آنئذ يقول (نجد أنه بينما تنتمي الكنيسة الى الماضي و المستقبل على السواء ، انتمت الدول التي أقامها البرابرة بكليتها الى الماضي فقط)[3].

وهكذا نجد أن التاريخ يعيد نفسه ، فكما الحضارة الأوروبية التي انبعثت من رحم الكنيسة وقتئذ لان بقية من نور الرسالة السماوية التي هبطت على سيدنا المسيح كانت تشع في أقبية الكنيسة ذاتها ، ثم خرجت وأعادت حضارة أولئك الناس ، الذين اقتبسوا قليلا أو كثيرا من ذلك النور . نجد أن هذا التاريخ يعيد نفسه في بلادنا مرة أخرى ، حيث أن البعث الاسلامي الأصيل ينبثق من رحم الحوزات العلمية ، وعلى أيدي المؤمنين الصادقين الذين أبقوا على الاسلام يحتضنونه ويدافعون عنه في زوايا المساجد وفي فصول المدارس الدينية . ان هذه الحضارة انطلقت مرة أخرى من ذات الرحم وهذا ما يؤكد على أن التاريخ يعيد نفسه ، ان لم يكن كاملا فلا ريب في سننه العامة التي لا تتغير .

١ ـ مختصر دراسة التاريخ في الجزء الاول، ص ٢٢.
٢ ـ نفس المصدر ص ٢٣.
٣ ـ نفس المصدر.

علماء الاسلام والقيادات الوسيطة :

لقد اكدنا فيما سبق أن حلقات القيادات الوسيطة في المجتمع الاسلامي لابد أن تتسم بذات المواصفات التي اتسمت بها القيادة العليا ، فالمجتمعات الرسالية المحلية تختار قيادتها من منطلق القيم الاسلامية والتعاليم السماوية وعدم الخضوع للأهواء والاعتبارات المادية والمظاهر الزائفة فتكون أسس الاختيار هي العلم والزهد ، والتقوى ، والكفاءة الادارية ، والروح الثورية وما أشبه . فلو فرضنا جماعة معدودة من المؤمنين يعيشون في جزيرة نائية وأرادوا أن يختاروا لأنفسهم قائدا فان اختيارهم لا يكون نابعا من أهوائهم أو عن القيم الجاهلية ، كقيمة المال والشهرة وقيمة العمر . انما يجب عليهم ان كانوا مؤمنين حقا أن ينظروا في أختيارهم لقيادتهم الى المواصفات الاسلامية الحقة والتي تتجسد في التقوى والعلم والكفاءة والزهد والقدرة الادارية ... الخ . وهذا هو قمة الحضارة والتقدم ، أن يتبع تجمع ما قيما نظيفة أصيلة كقيمة العلم وقيمة النشاط والارادة والعمل الصالح .

ان الاسلام يريدنا أن نتمحور في جميع الاصعدة وعلى مستوى كل الطبقات حول الرجال الأكفاء المخلصين في عبوديتهم لله وحده ، فلو أردنا أن نختار رجلا لكي يصبح مختارا لقريتنا ، أو قائدا لمحلتنا وبلدنا الذي نعيش فيه ، أو اردنا ان نختار رجلا يمثلنا في مجلس الشورى ، فيجب أن ننطلق في اختيارنا من تلك القواعد الايمانية . والاسلام من أجل أن يكرس هذه الفكرة في المجتمع المسلم فهو يهتم بأن يرسم مواصفات الرجال الصالحين ليخلق منهم النموذج المتبع والمقتدى ، الذي يحاول ويسعى كل فرد أن يقترب اليه أو ان يتمثله في واقعه وبالتالي

تنشأ شخصيات قياديه يمكن للناس أن يلتفوا حولها ويعملوا تحت لوائها .

جاء في حديث شريف عن الامام محمد العسكري (ع) تقييما صادقا للناس ومقياسا لاختيار الرجال الصالحين ، حيث يقول :

((اذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ، وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته ، فرويدا لا يغركم ،فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف بنيته ومهانته وجبن قلبه ، فنصب الدين فخا لها فهو لايزال يختل الناس بظاهره فأن تمكن من حرام اقتحمه)) .

" فهذا النموذج من الناس ليس المنوذج المقتدي وهو الانسان الذي يتخاضع ويتماوت ويتحدث اليك بكلمات لينة ولا يرفع صوته ، ويتحرك في مسيرة ببطء وهذا ما يسمىٰ في الأوساط الاجتماعية المتخلفة ب (الرجل الطيب) وهو الرجل الذي يذهب في دربه ويعود في دربه دون أن يفكر في الناس أو يقتحم الميادين ، فالامام يقول لا يغركم هذا فأنه قد يكون ذئبا في اهاب شاة ،وقد تكون روحه روحا فاسدة الا ان ضعفه وذله وصغاره في أعين الناس هو الذي يمنعه من ان يقتحم الحرام وليست ارادته،واذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغركم فأن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من يشبو عن المال الحرام وان كثر ويحمل نفسه على سوءها قبيحة فيأتي منها محرما فاذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويدا لا يغرنكم حتى تنتظروا ما عقدة عقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ، ثم لا يرجع الى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه

بعقله . قد يكون الرجل يعف عن المال الحرام ولكنه لا يعف عن الشهوات الاخرى فلا يغركم عفافه عن المال الحرام ، وقد يكون متقيا يعف عن سائر الشهوات ولكن لا يكفي ذلك لاتباعه وجعله قدوة فقد يكون انسانا متقيا وورعا ولكنه لا يعود الى عقل سليم ، فيقول الامام انظروا الى عقله ، فإذا وجدتم عقله متينا فرويدا لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله ،أو يكون مع عقله على هواه ، حينما تختلف الرايات يعرف الرجال أما في حالة وحدة الرايات في مسيرة عريضة واحدة لا تعرف أن هذا الانسان يمشي مع عقله أم مع هواه يمشي معك أو ضدك لأن الطريق واحد ولكن حينما أن تتفرق السبل آنئذ تكتشف الرجل في أي اتجاه يسير ، وكيف محبته للرئاسات الباطلة ، وزهده فيها . فأن من الناس من يترك لذة الاموال والنعم المباحة المحلله فيترك ذلك أجمع طلبا للرئاسة حتى اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، قد يكون الرجل يترك كل الشهوات وعقله سليم ووعيه كاف ولكنه يسقط اذا امتحن في مضمار الرئاسة (الولايات مضامير الرجال) كما في الحديث ، وحينما تأمره بالمعروف تجده يتكبر وتأخذه الحمية الجاهلية ، لان عقدة الرئاسة تمنعه من تقبل النصح من أي كان .. هذا المضمار والمختبر الحقيقي جوهر الانسان ، لذلك ترى أن هذا الانسان العاقل الواعي الزاهد ، المتعفف ، عندما يتسلط عليه حب الرئاسة فإنه يقتحم ميادينها ، وقد حجبت بصره وبصيرته وعلمه حجب واكنة غامقة سميكة فيقتحم المهالك ولا يهتم اذا هلك قومه وشعبه وتضررت أمته .. المهم أن يبقى هو سيادة الرئيس فهذا يكفيه وهو لا يريد الأكل والشرب والراحة ولكنه يريد الرئاسة فقط ، فهو يتخبط تخبط عشواء يقوده

أول باطل الى أبعد غاية الخسارة ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه اذا سلمت رئاسته التي قد شقي من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا مهينا ، اذن هؤلاء الرجال كلهم سقطوا ولم يستطع أي واحد منهم أن يصبح قدوة للناس . فمن هو الرجل ؟

الامام يعين لك الرجل الذي يجب أن تقتدي به ولكن الرجل ، كل الرجل هو الذي جعل هواه تبعا لامر الله ، وقواه مبذولة في رضا الله ، يرى الذل مع الحق اقرب الى عز الابد ، من العز في الباطل ، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه الى دوام النعيم في دار لاتبيد ولا تنفذ ، وان كثير ما يلحقه من سرائها ان اتبع هواه يؤديه الى عذاب لا أنقطاع له ولايزال ، فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا ، وبسنته فعملوا والى ربكم فتوسلوا فأنه لا ترد له دعوة .

بعدما يحدد الامام مقاييس ثابتة لتقييم الرجال ويحدد مواصفات القائد آنئذ يقول لك تمسك بذلك الرجل الذي لا يريد أن يعز نفسه مع الباطل ولكنه يتمسك بالحق ولو أدى ذلك الى ذلة عند الناس ، العز في الدنيا محدود لنفترض سأبقى ملكا لمدة سبعين عاما ثم ماذا بعد ذلك ؟ اذا كنت ساحترق بنار جهنم يوم القيامة مع عقارب كالبغال وحيات كالجبال وزبانية تعذيب يتميزون غضبا فماذا ينفع أن ملايين البشر يمدحونني ويعظمونني فماذا أصنع بمدحهم وتعظيمهم ؟ ماذا أصنع بصوري ملصوقة على الجدران هنا وهناك ؟

صفات القدوة :

نوح (ع) عاش أكثر من الفي عام فلم يبني لنفسه

بيتا ، فجاءه ملك الموت فاذا به يرى نوحا (ع) نائما في كوخ يظلل نصف جسمه ، قال يانوح لماذا لم تبني لنفسك بيتا تعيش فيه ، قال ياهذا من أنت وراءه كيف يبني البيت ؟ هذا الانسان بهذه الروحية يمكن أن تتبعه بشرط أن يكون سليما ، ووعيه كاملا ، يفضل الذل في الدنيا مع الحق ، على السلطة والشهرة مع الباطل هذا الانسان تمسكوا به واجعلوه بينكم وبين الله فانه لا يرد له دعوة .

هل عرفتم كيف يريد الاسلام صنع القيادات الوسيطة من هذه النماذج ، والله لا تتخلف أمة تتبع مثل هؤلاء القادة الذين يعطينا الامام على (ع) بعض مواصفاتهم وهو يتحدث عن أصحاب محمد (ص) :

((لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ، قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، اذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب)) .

أو ليس هؤلاء هم الذي يجب ان نتمثل هداهم ونقتدى بسيرتهم ونختار قياداتنا وفق مواصفاتهم . ان هؤلاء لم يكونوا أنبياء وانما كانوا أصحاب محمد (ص) اقتبسوا من نور الرسالة شعلة اوقدت في قلوبهم محبة الله وخوف القيامة واثيرت في نفوسهم تلك الفطرة السليمة التي أودعها الله في كل انسان ، ونحن باستطاعتنا أن نكون مثلهم .

ويقول الامام علي (ع) في حديث آخر من نهج البلاغة

وهو يتأوه شوقا الى أولئك الذين وجدهم في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاستشهدوا أو ماتوا وتركوه وحيدا

((أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا اليه وله اللقاح الى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الارض زحفا زحفا ، وصفا صفا ، بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الالوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك اخواني الذاهبون حق لنا أن نظمأ اليهم ونعض الأيدي على فراقهم)) .

انظروا .. الى صفات هؤلاء .. فمن جهة تراهم حينما يدعوا الى الجهاد يهرعون اليه كما تهرع الأم الى أولادها ، ويواصلون جهادهم في أطراف الارض **زحفا زحفا ، وصفا صفا** ، أي مصرين على ادامة الحرب ولو زحفا على صدورهم وفي نفس الوقت متحدين صفا كالبنيان المرصوص ومن جهة أخرى عندما يسدل الليل استاره تجدهم غبر الوجوه ، خمص البطون ، مره العيون أي عيونهم قد خرجت من البكاء ساهرين الليل في التهجد والعبادة فهؤلاء هم قواتنا ، وقادة التجمعات الرسالية في المجتمع المسلم .

ليس اللسان الطليق والكلمات المنمقة والاحاديث المزخرفة والادعاءات الباطلة مقاييس في التجمع الرسالي الذي نسميه حزب الله . انما المقياس هو هذا ، نجد الرجل بعيد عن الدنيا وما فيها متوجها الى الله فهذا هو النموذج الذي يجب أن تختاره ، ويختاره المجتمع المسلم .

الاقلية الواعية تقود المجتمع :

ان المجتمع البشري يشبه الى حد بعيد جسد الانسان الذي يتكون من أعضاء كثيرة تخضع كلها جميعا لقيادة العمل وتمتثل له ، وهذه الأعضاء لا تتلقى الأوامر الصادرة من العقل مباشرة وانما عبر شبكة من الأجهزة التنظيمية المتسلسلة كالمخ والجهاز العصبي الغدد والقلب والأوعية الدموية والعضلات ، وهكذا حتى تصل الآوامر بالتالي الى الأعضاء المعنية فتقوم بالعمل المطلوب ، وكذلك المجتمع فالأمر الصادر من القائد الأعلى يمر عبر شبكة من الحلقات التنظيمية المتمثلة في الأجهزة والادارات والمؤسسات والمسئولين حتى يصل الى القاعدة ، أي الأفراد المطلوب منهم القيام بالتنفيذ .

والاغلبية الساحقة من أفراد المجتمع لا يملكون التوجيه الذاتي وقد يكون ٩٠ في المائة أو أكثر يتبعون موجها . ذلك لأن التقليد فطرة طبيعية عند البشر ، فمنذ أن كان الانسان والى اليوم كانت هناك أقلية مبدعة تحكم الناس ، وأن الأغلبية العظمى من أبناء المجتمعات تتبع هذه الاقلية الواعية والمبدعة ، ولكن هناك فرق كبير بين أنواع الأقلية المبدعة التي تقود المجتمع فقد تكون من شيوخ العشائر أو كبار السن أو كهنة الدين أو ادعياء العلم ، كما في الشعوب المتخلفة . اذهب الى الشعوب المتخلفة وابحث عمن يقودهم .

هل هم يقودون أنفسهم ؟

كلا . ان الذي يقودهم هو شيخ العشيرة وعلى تلك الأسس التقليدية المتوارثة أو الذي يقودهم هو كاهن أوجر أو من يدعي أنه عالم دين وذلك على أسس بالية متحجرة .

وهكذا في المجتمعات المتقدمة ، والثورية ينقاد المجتمع ولكن من يقوده ؟ .

انما يقوده أصحاب العقول النيرة ذات الابتكار والابداع ، وذات الرؤية البعيدة والتطلعات السامية ، وهم رواد المجتمع . وأصحاب رسول الله (ص) كانوا تلك الصفوة القادرة على الابداع والابتكار ، والاجتهاد بتعبير آخر ، والاستنباط بتعبير ثالث ، هؤلاء هم الذين كانوا يقودون الأمة الاسلامية في بداية انطلاقها ، اذا رأيت صحابيا من أصحاب رسول الله في بلد فيه مليون انسان فانك تجد أن ذلك الصحابي سوف يصبح محورا لكل تحرك في هذا المجتمع .

وفي الثورات الشعبية ، وبالرغم من أن الثورة تقوم بها كل الجماهير ولكن الجماهير ليست كلها واعية وعاقلة وحكيمة ومخططة ، وانما هناك مجموعة بسيطة من الثوار هم الذين يقودون هذه الجماهير الملتهبة والنشطة التي تتبعهم وتعمل تحت قيادتهم .

فالفرق انما هو في الاقلية الحاكمة القائدة ، والمجتمع حتما منقاد وأبناءه ينقادون ولكن لمن ؟

الاسلام يريد أن يغير الأقلية الحاكمة في المجتمع لتكون هذه الأقلية القائدة مختارة على أسس سليمة وليس على اعتبارات زائفة ، والحركة الاصلاحية الاسلامية تدعوا الى تغيير الأقلية الموجهة وليس الى تغيير المجتمع بمعنى ابعاد كل أعضائه المنحرفين واحلال أناس صالحين مكانهم .

لنفرض أن قطارا يسير على سكة حديدية وقد تسببت مؤثرات معينة ، كالانزلاقات الارضية في تلوي هذه السكة في مرحلة من مراحلها الجبلية . بحيث لو سار عليها

القطار لهوى الى الوادي وتحطم ، فهل نفكر في تغيير القطار نفسه في هذه الحالة ؟ وانما الصحيح أن نبنق على القطار ونغير السكة فيصل القطار الى الهدف بسلام .

فبدلا من أن يذهب قطار المجتمع عبر سكة الضلالة الى النار يغير الاسلام وجهته عبر تغييره للسكة التي يسير عليها حتى يتحرك قطار المجتمع الى الجنة والسعادة والفلاح وعبر سكة الحق .

ان الاحاديث التي تلوناها وكثير من أمثالها تريد أن تغير قيادة المجتمع ، أن تجعل المتقين الصادقين هم النموذج المقتدى والمتبع وليس أصحاب الأهواء والضلالات .

والمؤرخ الذي تحدثنا عنه وهو "أرنولد تونبي"يعلل في كلمة تحكمية نجاح الشعب البريطاني بقوله " لأنه كان مقلدا أكثر من غيره ومحافظا ومتبعا أكثر من غيره لقيادته " ولكن القيادة تبدلت عنده ، فيقول هذا المؤرخ في كلمات غامضة وبفكرة تشبه الفكرة التي طرحناها " بيد أنه عندما تقطع فرصة العادة ، يعاد توجيه ملكة المحاكاة التي ظلت توجه حتى هذا الوقت الى الخلف صوب المسنين أو الاجداد ، باعتبارهم تجسيدا للتقليد الاجتماعي غير المتغير تتغير صوب الشخصيات المبدعة التي تهوى قيادة رفاقها معها صوب أرض الميعاد (أي صوب التطلعات السامية) ويلتزم المجتمع الأخذ في الارتقاء من الان فصاعدا بأن يعيش حياة تحمل طابع المجازفة "(٥).

"في حين يتمثل الشرط المطلوب لتحقيق المحاكاة الفعالة التي هي ذاتها ضرورة لازمة للأرتقاء في توافر درجة جوهرية من ذاتية الحركة الشبيهة بالآلة "(٦).

٥ ـ المؤرخ ارنولدتونبي من كتابه «مختصر دراسة التاريخ».
٦ ـ نفس المصدر في الجزء الثاني ص ٧.

ولقد كان ثاني هذين الأمرين في ذهن "والتربوجهوت" وقتما أنباء قراءه الانجليز بطريقته الساخرة بأن قدرا كبيرا من نجاحهم النسبي كأمة يرجع الى غبائهم " يقصد الغباء أنهم يتبعون زعماءهم اتباعا آليا" أما أن الزعماء أخيار فنعم الا أن الزعماء الصالحين لم يكن ليتوفر لهم أتباع صالحون ان اعتزمت جمهرة هؤلاء الأتباع أن تفكر لنفسها على انهم لو كانوا جميعا أغبياء فأين موضع الزعامة ؟

هنا يحدد هذا الكاتب فكرة سبق وأن ذكرتها ، وهي أن المهم في المجتمع هو قيادة الصالحين .. وتحقيق ما يقوله الله سبحانه وتعالى ، وهو حق عبادة بذلك :

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾

(١٠٥/الانبياء)

فاذا كان الزعماء صالحين وكانت القيادة بيدهم ، عندئذ ستكون وجهة المجتمع الى الامام حتى ولو لم يكن كل أعضاء هذا المجتمع صالحين ، الصلاح يجب أن يكون في اتباع القادة الصالحين ، وهذه هي فلسفة التقليد بمفهومه الأوسع في النظرية الاسلامية الرسالية . التي سنقوم بمزيد من البحث حولها في البحوث القادمة .

العلم والمال في المجتمعات الرسالية

الحياة تعتمد على قاعدتين أساسيتين هما .. العلم والعمل ، والعمل حينما يتكثف يتحول الى رصيد متراكم يسمى مالا . فالمال في الواقع ليس الا عملا مركزا ومتراكما ، أنت تعمل طوال شهر وعوض عملك تقبض مالا ، اذن المال ليس هو الا العمل ، أما العلم فهو جانب الرؤية الى الحياة ، ومعرفة الأنظمة الحاكمة فيها وطريقة تسخير الأرض ومعادنها ، ومعرفة النظام الكوني الذي نعيش فيه ، كل ذلك هو العلم وحياة البشر فوق البسيطة تعتمد على هذين العنصرين العلم و المال .

وحينما نقيس العلم و المال فلا ريب أن العلم يسمو على المال ، ذلك لأنه لولا معرفة الانسان بالحياة لما كان هناك فرق بين البشر وبين سائر الأحياء ، بل لم يكن هناك فرق بين الانسان وبين الطبيعة ، والانسان انما سخر الطبيعة بعلمه ، لذلك نجد في الآيات القرآنية تذكرة بهذه الحقيقة حيث يقول الله سبحانه وتعالى في قصة نبينا آدم (ع) :

* علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء - الى أن يقول - واذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر *

(٣١/٣٤/البقرة)

لماذا سجدوا للانسان ؟

لأن الله علم الانسان ما لم يعلم ، حينما زود الله أبان آدم بالعلم أسجد له ملائكته واذا كانت الملائكة هي الحقائق الغيبية الموكلة بالطبيعة فلقد أسجد الله للانسان كل الطبيعة وسخرها له باستثناء شيء واحد هو نفس الانسان الأمارة بالسوء التي تمثل تمرد ابليس وعصيانه لأمر الخالق جل شأنه واذا استطاع الانسان أن يخضع نفسه الأمارة بالسوء ، عندها ينتصر على الشيطان وبذلك تكون الطبيعة قد سخرت للانسان بشكل تام ، ويكون قد حقق السيادة الكلية على الكون ، وذلك ما يريده الله عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى .

﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ﴾
(٤/التين)

كيف يستطيع الانسان ان يخضع نفسه الشهوانية لعقله النيّد ؟
وينتصر على عدوه الأكبر الشيطان ؟

ان ذلك يتم بالعلم أيضا ، ذلك العلم الألهي الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في الانسان ، ان ابليس حينما عصى وتمرد لم يخرج عن حكم الله وسلطانه ، والله عزوجل قادر على أخذه متى شاء ، فكذلك الانسان الذي يحمل العلم الالهي يستطيع ان يقهر ابليس وينتصر عليه اذا أراد ذلك واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين يؤمنون بالله .

﴿ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ﴾

(٤٢/ الحجر)

﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾

(٧٦/ النساء)

وهكذا نجد أهمية العلم وتأكيد الاسلام على هذه الأهمية،اننا اذا سلبنا من الانسان علمه لأصبح ليس فقط كسائر الحيوانات ، بل أقل قيمة وأضل سبيلا ، والسبب واضح لأن الحيوانات التي لم تزود بالعلم ، قد زودت بالغرائز والقوى الطبيعية ، والقدرة على التكيف مع ظروف البيئة وقوانين الحياة ، بينما الانسان لم يزود على نفس المستوى بهذه الأشياء انما زود بأفضل من الغريزة وأفضل من القدرة العضوية وهو العلم ، ولولا العلم لأصبح أقل من الأحياء التي زودت بهذه الغريزة وتلك القدرة التي لم يزود بها الانسان .. مثلا الحمام يطير في السماء بغريزته وقدرته على التكيف مع المجال المغناطيسي للأرض لذلك تجد الحمامة تستطيع ان تهتدي الى بيتها ولو كان يبعد عنها مئات الكيلومترات ، دون أن تخطىء انها مزودة بالاجنحة وبجهاز رادار يكشف لها الاتجاهات ويحدد الأماكن بدقة مستعينا بمغناطيسية الأرض ولكن الانسان لا يستطيع ان يطير ولا يمتلك في جسمه جهازا راداريا ، غير أنه بعقله وعلمه استطاع ان يتفوق على الحمامة فاخترع الطائرات السريعة الجبارة ، وأنشأ أجهزة الرادار الالكترونية التي مكنته من الوصول الى كل بقعة من بقاع الأرض بحرية وسهولة وسرعة ، وبغير العلم كان سيصبح محتاجا كما سليمان..الملك والنبي-الى الهدى ، وكما الناس قديما الى الحمام الزاجل .

كذلك القدرة السمعية للأذن في الانسان أقل بكثير منها مما عند بعض الحيوانات كالحصان أو القط مثلا ، ولكن الانسان المزود بالعلم استطاع ان يخترع أجهزة سمعية

كالتلفون واللاسكي واذا به يتفوق على تلك الحيوانات بمراحل ويتمكن من سماع أصوات تحدث على بعد الآف الاميال .

بين العلم والمال .

وفي مقايستنا بين العلم والمال نجد أن المال أقل قيمة من العلم ، ولو قسنا أيضا العمل بالعلم لتوصلنا الى أن العمل لا قيمة له الا اذا اهتدى بضوء العلم لذلك تجد عليا (ع) في حديثه المعروف يبين أفضلية العلم على المال فيقول :

((العلم ميراث الأنبياء ، والمال ميراث الفراعنة)) .
((العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال) .
((العلم يبقى ، والمال يفنى)) .
((هلك خزان الأموال ، والعلماء باقون ما بقي الدهر)) .

ولكن هل يستطيع العلم وحده أن يقود المجتمع ويدير شئونه ؟

هل تنجح دولة تقام على أسس علمانية مجردة وبعيدة عن القيم ؟

هذان السؤالان حينما نطرحهما على الاسلام ، يجيب بسرعة ويقول كلا . فالعلم بدون التقوى لا ينفع شئيا بل سيكون ضرره أكبر من نفعه . ان العلم طاقة كبرى لاريب في ذلك ، كما أن المال طاقة كبرى ، ولكن اين يوجه العلم ؟ واين يوجه المال ؟ .

اذا وجه العلم باتجاه الشر فسوف يكون ضرره كبيرا

بقدر خطورة وكبر وعظمة هذه الطاقة ذاتها ، واذا وجه المال في طريق الشر فستكون هذه الطاقة أيضا مضرة بقدر خطورتها . ان العلم والمال اذا أسيء استعمالهما يكونان سببا لتدمير العالم عن طريق انتاج الأسلحة النووية المدمرة ، العلم والمال اذا وجها توجيها خاطئا يكونان أداة بيد البنتاغون وبيد C.I.A وما أشبه من الأجهزة الحاقدة في العالم والتي تسعى لتحطيم الحضارة الانسانية .

حينما لا يحدد العلم بالتقوى ، يصبح كما أصبح أداة بيد شخص مثل بلعم بن باعوراء الذي استعمل علمه لتدمير حياة المجتمع عن طريق دعمه لسلطة الطاغوت فرعون . العلم هو العلم الذي جعل من شريح القاضي رجلا يكتب فتوى بقتل ابن بنت رسول الله (ص) الحسين بن على (ع) ويكون مساهما في جريمة نكراء لم يشهد ولن يشهد لها التاريخ مثيلا هذا هو العلم حينما لا يحدد بقيمة أخرى .

لذلك نقول ان العلم طاقة والعمل طاقة أو بتعبير آخر المال والثروة طاقتان ولكن هاتين الطاقتين الكبيرتين يجب ان توجها عن طريق التقوى .

لو كان في العلم من دون التقى شرف
لكان أشرف خلق الله ابليس

لذلك يفصل الاسلام وبكل قوة السلطة عن أصحاب المال ، أو يؤسس نظاما اقتصاديا واجتماعيا رصينا لا ينفذ فيه صاحب المال الى مركز السلطة في البلد ، أنها قضية أساسية في تركيبة المجتمع الاسلامي وهكذا بالنسبة الى العلم ، فمع ان الاسلام يعطي المزيد من الوجاهة لأهل العلم والعلماء فهو أيضا يفصل فصلا أكيدا وواضحا بين

علماء السوء والعلماء الأبرار بين الربانيين الاتقياء وبين أناس أمثال بلعم بن باعوراء وشريح القاضي ومن لف لفهما ، وهكذا يفصل الاسلام بين هذين النوعين من الناس بين علماء الشر وبين علماء الخير .

وبهذا الفصل المبين يبعد عن المجتمع أولئك الذين يستخدمون العلم من أجل شهواتهم ، وبالتالي يجعلون العلم تابعا للمال .. فالانسان الذي يسترزق بعلمه هو الذي يبيع علمه ومعلوماته ومعارفه لما يؤمن مصالحه هذا الانسان يجعل المال والثروة وبالتالي يجعل أصحاب المال والثروة هم القادة الحقيقيين للأمة ، وليس العلم وأصحاب العلم ، حينما نجد رجلا يبيع نفسه كما باع بلعم بن باعوراء نفسه أو كما باع شريح القاضي شرفه وأصدر فتوى يدعم بها الطغاة ، فماذا يكون من امره ؟ وما يكون قيمة المال المتحصل من وراء ذلك مهما يكن الثمن الذي باع العالم من أجله نفسه فان العلم أثمن منه بكثير وكثير ، وأغلى بما لا يقاس ويكون قد باع نفسه بثمن بخس .

ان العلم هو القائد والملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك .

((اذا وجدتم العلماء على أبواب الملوك فبئس الملوك وبئس العلماء ، واذا وجدتم الملوك على أبواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء)) .

هذا هو حديث رسول الله (ص) ، فهل تريدون أن تروا رأي العين مثلا لهذه الحقيقة المّرة التي طالما حطمت العالم وسحقت المحرومين وعذبت البشرية المستضعفة اذا أردتم ان تروا مثلا لها فانظروا .. الى البنتاغون وابحثوا في أروقة البيت الابيض وكرملين وفي كل مكان

يباع فيه العلم لصاحب المال و السلطة ، ترون ان بروفسورا ذكيا مستوعبا لكثير من العلوم قضى عمره في البحث والدراسة ، يأتي ويصبح موظفا بسيطا عند رجل أعمال مثل ديفيد روكفلر و اضر به حيث دعم هذا الطاغية بعلمه من أجل ان يمكنه من قهر المستضعفين وهضم حقوق المحرومين هذا العلم الذي خلقه الله من أجل تحرير الانسان من نير الطبيعة ، وتحريره من ضعفه وعجزه ومحدوديته ، يستخدمه هذا العالم الذي استؤمن على العلم من قبل الله من أجل اذلال الانسان وتكبيله وبالتالي تخلفه وتقهقره الى الوراء .

هذا هو معنى بيع العلم .. بيع العلم ان يخترع رجل خبير في الكيماويات بعض العقاقير من أجل انتزاع الاعترافات من السجين لادانته ثم بالنتيجة اعدامه بهذه الاعترافات ، هذا هو العلم عندما يسخر من أجل المال والسلطة .

لذلك ترى القرآن الحكيم دائما يؤكد على عدم بيع العلم بدراهم معدودة لأنه مهما كان الثمن المدفوع كبيرا فانه لا يقاس بشيء الى جانب العلم الذي هو دائما أغلى من كل شيء فأول مايفعل الاسلام هو فصل العلم عن المال ، ثم فصل العلم الذي لا يستند على التقوى في ادارة المجتمع ، لا يقول الاسلام ان أكرمكم عند الله أعلمكم بالرغم من ان القرآن الحكيم يقول :

﴿ فضل الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات ﴾

(١١/المجادلة)

فالعلم فضيلة ولكن متى يكون العلم قائدا وقائما في قمة الهرم الاجتماعي ؟

يكون كذلك حينما يكون موجها بتوجيه التقوى وفي الاتجاه الصحيح .

من الذي يحدد الاتجاه الصحيح ؟

ان الذي يحدد ذلك الاتجاه هو الله عز وجل عبر برامجه المنزلة على أنبيائه، لذلك لا تجد آية أو رواية تذكر العلم وتعطي للعلماء أهمية الا وتشترط ان يكون هؤلاء العلماء في الخط الصحيح ، مثلا الحديث الشريف يقول:

((من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مطيعا لامر مولاه مخالفا لهواه - فآئنذ يقول - فللعوام ان يقلدوه)) .

كم نجد من الأحاديث تحذرنا من خطورة علماء السوء ، وتصف عذاب علماء السوء ، أو لم تسمعوا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حينما رأى في ليلة المعراج رجلا يقرض لسانه بمقاريض من نار .. فهذا هو العالم الذي استفاد من علمه بغير الطريق الصحيح ، فعلماء السوء يوم القيامة يكونون داخل تابوت نتن وجيفة افواههم تؤذي أهل النار على ماهم فيه من الأذى والكرب الشديد ، وفي حديث للامام الصادق (ع) ، عن علماء السوء وأخلاقهم يقول :

((أولئك أخطر على الاسلام من جيش شمر بن ذي الجوشن الذي قتل جدي الحسين)) .

وفي مقابل هذه الفئة من علماء السوء ، العلماء الابرار وهم القدوة الحقيقية للمجتمع لأنهم من جهة مزودون بطاقة العلم ، ومن جهة ثانية مزودون بقدرة توجيهية لهذه الطاقة فلا يستغلون العلم من أجل تكريس شهواتهم وتحقيق مآربهم الشخصية ، ولا يستفيدون من العلم لأجل الحصول على بعض الدراهم والوقوف على أبواب الملوك

أو على أعتاب أصحاب الثروة و المال و انما يستفيدون من العلم في الصالح العام .

هذه هي خلاصة رؤية الاسلام حول قيادة المجتمع في ان رأس الهرم الاجتماعي يجب أن يكون تقيا ، قبل أي شيء ثم يكون عالما كفؤا اداريا وهكذا الصفات الأخرى في القيادة الاسلامية .

صفات القائد في القرآن

القرآن الحكيم حينما يبين صفات القائد الاسلامي يدقق في اختيار الالفاظ ولا يستعمل التعابير العادية الشائعة ، لماذا ؟

لفلسفة لا بأس ببيانها ، اللغة العربية لغة واسعة وذات ايحاءات ومعاريض" حسب تعبير الأئمة " فحين تريد العرب ان تعبر عن الظلام .. فمرة تقول الغلس ، مرة تقول الفسق واخرى الدهمة وهكذا تعبر كلمات عديدة بايحاءاتها عن درجات الظلام .. فهناك ظلام مشوب بالنور وهناك الظلام العادي وآخر الظلام الحالك ، فلكل درجة من درجات الظلام لفظة خاصة بها ، وكذلك في سائر الامور.

والصفات الأساسية للقيادة الاسلامية من تلك الصفات ذات الدرجات المختلفة والمتفاوته ، مثلا صفة العلم ، أيضا أقسام ودرجات ، فقد يكون هناك علم عادي ، وقد يكون هناك علم اليقين ، وقد يتحول علم اليقين الى حق اليقين ، وقد يسمو حق اليقين فيصبح عين اليقين فالعلم هو العلم ، ولكن استيعاب الانسان للعلم ورؤيته للحياة عبر هذا العلم .. تختلف من انسان لانسان آخر ، وهكذا تختلف وتتدرج سائر الصفات .

ويشترط الاسلام في أولئك الذين يريدون أن يصبحوا أئمة الناس يشترط ان يكون لديهم أعلى درجات الصفات

الأساسية للقيادة العامة وفي مقدمتها التقوى . والتقوى على درجات فهناك تقوى للناس العاديين ، وفي الظروف العادية فقد يهب الله للانسان روح التقوى ، ولا يتورط في الذنب لكن اذا تغيرت الظروف وحانت ساعة الابتلاء قد تجد تقواه تنهار ولكن التقوى التي يجب ان يتزود ويتسلح بها الامام القائد هي التقوى التي تصل الى درجة الصبر والاستقامة امام عواصف الشهوات ونزول المصائب واشتداد المكاره ، فلا تتأثر ارادته الصلبة بالضغوط المختلفة وان عظمت وتصاعدت لذلك تجد القرآن الحكيم يقول :

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾

(٢٤/السجدة)

من هنا وعبر فلسفة أخرى سنذكرها في بحوثنا القادمة انشاء الله ، فان الاسلام لا يرضى بأن يقودك انسان عالم تقي ايا كانت درجة علمه ويقينه ، بل يجب ان تبحث عن أعلم الناس وأتقاهم وتتخذ منه اماما لك ، ان الله قد جعل هذا الانسان امامك ، لماذا ؟

لانه كلما تكون قيمة التقوى وقيمة العلم هما القيمتان الأساسيتان لقيادة المجتمع وكلما زادت وتكثفت هاتان القيمتان في شخص كانت قيادته أقوى وأرسخ وأفضل عند الله سبحانه وتعالى ، ولانه الاضمن والاقرب الى الاحتياط على الدين والدنيا ، لذلك تجد القرآن الحكيم حينما يذكرنا بشروط القيادة الاسلامية ، يبين لنا كلمتين .. الكلمة الاولى كلمة (الأحبار) والكلمة الثانية كلمة (الربيون) ، الربيون هم العلماء الممحضون في الله ، هم الأتقياء أولا والعلماء ثانيا ، ولذلك فانهم القادة الحقيقيون للمجتمع ، ولكن في حالة

افتقادنا الى الربيين آنئذ تأتي مرحلة الأحبار ، وهم العلماء أولا و الأتقياء ثانيا ، و الدرجة الثانية قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله ﴾
(٤٤/المائدة)

القائد النموذج :

في حديث رواه رجل اسمه " نوف " يقول :

" أقبلنا الى مسجد الكوفة لنرى عليا (ع) في قضية. مررنا بعلي (ع) ، فاذا به مع مجموعة من أصحابه ، وفيما بينهم ابن اخي همام بن عبادة بن خثيم وكان من أصحاب البرانس (أي العبادة) وهمام هذا كان ممن يلازم عليا (ع) ، فاعرفوا من هو علي ولماذا ينبغي أن نتخذه اماماً ، فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين ، فألفيناه حين خرج يؤم المسجد فأفضى ونحن معه الى نفر مبدّنين ، قد أفاضوا في الاحدوثات تفكهاً وبعضهم يلهي بعضا " (أي يقضون وقتهم بالاحاديث الفارغة) فلما أشرف عليهم أمير المؤمنين أسرعوا اليه قياما فسلموا ، فرد التحية ثم قال من هؤلاء القوم ؟ قالوا أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين ، قال لهم خيرا ، ثم قال ياهؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا أهل البيت ، فأمسك القوم حياء ، قال نوف فأقبل عليه جندب و الربيع فقالا ما سمة شيعتكم ، أوصفهم يا أمير المؤمنين ؟ فتثاقل عن جوابهما وقال اتقيا الله أيها الرجلان وأحسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، فقال همام بن عبادة وكان عابدا مجتهدا ، أسألك بالذي أكرمكم أهل

البيت .. وخصكم وحباكم وفضلكم تفضيلا الا أنبئتنا بصفة شيعتكم فقال لا تقسم فسأنبئكم جميعا وأخذ بيد همام فدخل المسجد فصلى ركعتين أوجزهما وأكملها وجلس ثم أقبل علينا وحف القوم به ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

((أما بعد فان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خلق خلقه فألزمهم عبادته ، وكلفهم طاعته ، وقسم بينهم معايشهم ، ووضعهم في الدنيا حيث وضعهم وهو في ذلك غني عنهم لا تنفعه طاعةمن أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه منهم ، لكنه تعالى علم قصورهم عما تصلح عليه شؤنهم وتستقيم به دهماؤهم في عاجلهم وآجلهم ، فرتبطهم بأذنه في أمره فأمرهم تخييرا ، وكلفهم يسيرا ، وأثابهم كثيرا ، وأمر سبحانه بعدل حكمه وحكمته بين الموجف من أنامه الى مرضاته ومحبته وبين المبطئ عنها والمستظهر منهم على نعمته بمعصيته ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ - ثم وضع أميرالمؤمنين عليه السلام يده على منكب عبادة فقال - الا من سأل عن شيعة اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في كتابه مع نبيه تطهيرا ، فهم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل والفواضل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، نجعوا لله تعالى بطاعته وخضعوا له بعبادته فمضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء

غضى عن الله بالقضاء ، فلولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا الى لقاء الله والثواب وخوفا من العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على آرائكها متكئون وهم والنار كمن أدخلها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونه وشرورهم مأمونه وأجسادهم نحيفة وحوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ومعرفتهم في الاسلام عظيمة ثبروا أياما قليلة فأعقبتهم راحة طويلة وتجارة مربحة يسّرها لهم رب كريم ، أناس أكياس أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تالون لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جبارا عظيما ، ويجأرون اليه جل جلاله في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ، فأما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء براهم خوف بارئهم فهم أمثال القفاح ، يحسبهم الناظر اليهم مرضى وما بالقوم من مرض ، أو قد خولطوا وقد خالط القوم من عظمة ربهم وشدة سلطانه أمر عظيم ، طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ، فاذا استقاموا من ذلك بادروا الى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون له بالقليل ، ولا يستكثرون له الجزيل ، فهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ان زكي أحدهم خاف مما يقولون وقال أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون ، فانك علام الغيوب وساتر العيوب ، هذا ومن علامات أحدهم ان ترى له

قوة في دين ، وجزما في لين ، وايمانا في يقين ، وحرصا على علم ، وفهما في فقه ، وعلما في حلم ، وكيسا في رفق وقصدا في غنى ، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شدة وخشوعا في عبادة ، ورحمة للمجهود ، واعطاء في حق ، ورفقا في كسب ، وطلب في حلال ، وتعففا في طمع ، وطمعا في غير طبع ودنس ونشاطا في هدى ، واعتصاما في شهوة ، وبرا في استقامة ، لا يغره ماجهله ، ولا يدع احصاء ما عمله ، يستبطيء نفسه في العمل ، وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ، ويمسي وهمه الشكر ، يبيت حذرا من سنة الغفلة ، ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ان استصعبت عليه نفسه في ما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما اليه تشره ، رغبته في ما يتبقى وزهادته فيما يغنى)) .

وهكذا بدأ الامام علي (ع) ، يذكر صفات المتقين حتى كان من أمر همام ما كان حيث ان همام عليه الرحمة صاح صيحة ووقع مغشيا عليه ، فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا ورحمة الله عليه ، فاستعبر الربيع باكيا وقال لأسرع ما أودت موعظتك يا أمير المؤمنين بابن أخي ولوددت لو أني بمكانه ، فقال أمير المؤمنين "**هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها . أما والله لقد كنت أخافها عليه** "

هذه أيها الأخوة صفة المؤمنين الصادقين الذين يريد الاسلام ان يكونوا قدوة للمجتمع وقادة وأئمة للبشرية ، هؤلاء أفضل أم تلك الأقزام التي تحكم العباد والبلاد تخيروا ، فان الله سبحانه وتعالى زودنا بالعقل لكي نتخير ونبحث عن الأفضل ، فان كان هؤلاء هم خير لنا فلنبحث عنهم ، ولابد اننا سوف نجد أمثالهم ان الارض لا تخلو من حجة لله .

● معالم القيادة الاسلامية

لابد ان نقف طويلا لنحدد معالم القيادة الاسلامية ، لان موقع القيادة الاسلامية في التجمع الرسالي موقع هام وخطير . والمجتمع الايماني تتجسد صبغته وتتبين حقيقته عن طريق قيادته ، لان القيادة تجلٍّ لحقيقة المجتمع ولاننا في هذه السلسلة من الاحاديث نلقي بعض الضوء على المجتمع الاسلامي .. قيمه ومناهجه فعلينا ان نتعمق في مسألة القيادة .هناك قضيتان رئيسيتان مرتبطتان بالقيادة .

القضية الاولى :

ترتبط بالقوة الفاعلة في المجتمع ، والموجهة له وبالتالي فهي تلك القوة التي تسيطر سيطرة كاملة على طاقات وقدرات وامكانيات المجتمع .

القضية الثانية :

ترتبط بمظاهر هذه القوة وتجلياتها وتجسيدها في اشخاص معينين .

في القضية الاولى لابد ان نتوغل عميقا في ابعاد المجتمع لنكتشف ان السيطرة في هذا المجتمع لمن . واما في القضية الثانية فلابد ان نرجع الى القوانين والانظمة التي تحدد ظاهر القيادة .

المجتمع كجسد الانسان .. بحاجة الى القيادة ولكن اي عضو في جسد الانسان ينبغي ان يقود سائر الاعضاء . هل الرجل أو اليد هما اللذان يقودان حركة الجسد ؟ بل

اننا نجد ان العين هي التي تقود الرجل واليد . وليس بامكان الرجل الكبيرة والقوية التي يقوم عليها الجسم ان تدعي قيادته . نقول لها نعم ، انت الاقوى ، ولكن القيادة ليست للقوة العضلية . واذا كانت هناك صخرة كبيرة امامك ولم تعرفك العين بوجود هذه الصخرة وبمكانها افلا ترتطم بهذه الصخرة ويتحطم جسمك ؟ اذن المسألة في القيادة ليست للاقوى وانما للاعرف والابصر ، والعين بدورها عاجزة نقول لها قفي لانك تضلين الجسم كثيرا فقد تعطينه معلومات بان امامه مستنقع فهل يستطيع اجتيازه بأمان . واذا به لجة عميقة فالعقل يتدخل ويدرس الامر بوعي اعمق ثم يصدر القرار الصحيح في الوقت المناسب .

وهكذا المجتمع الفاضل لا تقوده القوة الكامنة فيه ولا يقوده اقتصاده .. ولا يعطي الحق لرجل او فئة تقول باننا نحن الاقوى ، نحن نملك الدبابات ، نملك الوف المسلمين .. فنحن الاحق بالقيادة . المجتمع الفاضل لا يفعل ذلك وانما يقول لمراكز القوى في الساحة ان قوتكم لا تنفع شيئا ما لم يوجهها البصر والبصيرة . لو اشتبك فيل اعمى مع قطة بصيرة في عراك فايهما يغلب الاخر ؟ حتما القط ، والقوة بغير البصيرة طاقة عمياء ، والعمى يؤدي الى الهلاك ، فلابد من العلم لتوجيه القوة والمجتمع الفاضل لا يعطي كامل قيادته للعلم ، لان العلم اشبه شيء بالعين التي قد تضل وتزيغ . وعلم الانسان كذلك ، فلو اراد انسان ان يقود نفسه بعلمه ومعارفه فقط فسرعان ماسيجد نفسه امام منعطفات خطرة لان الحياة معقده والاسئلة الحائرة فيها اكثر آلاف المرات بل الملايين من الاسئلة التي اجيب عنها في العلم . لذلك نقول للعلم قف عند حدك .

والعلم يجب ان يؤطر بالتقوى لان التقوى هي اتباع برامج السماء ومناهج الله ، التقوى تربط الانسان وشئونه بالخالق الذي هو اعرف واعلم بالحياة وما يصلحها وهو الذي خلق الانسان وقدر معايشه ودبّر اموره .

هذا هو ما يلخص القضية الاولى في القيادة ، وهي قضية جوهر القيادة في المجتمع ، وهذا الجوهر هو قيادة العلم المؤطر بالتقوى : ولكن دعنا نقارن بين هذا الجوهر الذي يؤكده الاسلام ، ويطرح مئات القوانين والوصايا من اجل المحافظة عليه ، وبين المفاهيم السائدة في التجمعات الجاهلية ، ماذا تجدون في المجتمعات الجاهلية ؟ تجدون ان الحق للقوة ، وليست القوة للحق . العلم تابع وليس متبوعا . العلماء على ابواب الملوك ، وليس الملوك على ابواب العلماء ، وبالتالي تجدون ان القوة المسلحة ، كارتلات النفط والشركات الكبرى والامبريالية الاقتصادية .. هي التي تقود العالم وهي التي تخطط لكل شيء ، حتى للثقافة ، وللجامعات ، ترون في الولايات المتحدة مثلا ادارة بأسم البنتاغون وهي منتشرة في مراكز التوجيه في جامعات الولايات المتحدة الامريكية ، ولها شبكة واسعة في العالم كله . فماذا تعمل هذه الادارة ؟ .

انها تتوجه الى كل وفكر وقاد ، ومل انسان ذكي متفوق فتحيطه بمجموعة من الجواسيس وتنشر حوله خطوطها حتى توقعه في شركها ، ثم تلقيه في مسيرة الفساد والضلال اي في مسيرة C.I.A .

لقد اصبح العلم في الجاهلية الثانية تابعا للمال ، وتابعا للقوة . فاذا الفت كتابا تقول فيه الحق لله وفي الله . وكان هذا الكتاب أفضل واروع وارقى من النواحي العلمية والادبية والابداعية من كل كتاب آخر ،

ثم ذهبت به الى دور النشر التي تقودها الرأسمالية فانها ترفض طبعه وتقاطعه ، واذا طبعته على نفقتك الخاصة فلن تجد من يقبل القيام بنشره وتوزيعه .

واذا اردت أن تقول الحق .. فتقول للأمريكيين أن قتل الأبرياء في فلسطين وجنوب لبنان بالاسلحة الامريكية الفتاكة التي تقدم للصهاينة بسخاء ان هذا ينافي وثيقة حقوق الانسان ومبادئ الامم المتحدة . فهل تستطيع ان تبلغ صوتك الى العالم ؟ هل شبكات التلفزيون والاذاعات ودور النشر التي تسيطر على الساحة الاعلامية وتخضع لتوجيه الرأسمالية والامبريالية العالمية تذيع كلامك وتنشر مقالاتك ؟ هذا مالا يحدث في الواقع ، ومن هنا تعرف مدى مأساة الانسان في الجاهلية الحديثة ، حيث ان جوهر الانسانية وهو العلم والمعرفة ، اصبح تابعا للشهوات ومصالح المستكبرين المتسلطين .

بين المظهر والجوهر .

اذا اردت ان تصلح ما افسدته الرأسمالية في العالم ، وتقول يجب اولا ان نقضي على الرأسمالية ثم نحل محلها نظاما اصلح ، فقد تقترح انيكون هذا النظام هو ملكية الدولة .. والدولة هي التي تملك وليس للأفراد حق الملكية مطلقا .

ما هو الفرق بين الرأسمالية الغربية وبين الاشتراكية الشرقية ؟

الفرق في المظهر وليس في الجوهر . هؤلاء الذين يزعمون ان هناك فرقا بين الرأسمالية الغربية والمادية الشرقية ، لم ينفذ بصرهم الى جوهر هذين النظامين .

في ليلة من الليالي سمع جيران جحا ضجة صدرت من بيته فجاءوا وقالوا له ما الذي حدث وما هذه الاصوات

التي سمعناها ؟ فقال لاشيء ابدا ، هناك معطف خلق بال كان على السطح فوقع على الارض وكان ما سمعتموه . قالوا ياجحا انت رجل عاقل .. مثل هذا المعطف اذا وقع على الارض ، لا يحدث ضوضاء وصياحا ، قال صحيح ولكنني كنت داخل المعطف .. فجحا هنا يريد ان يعطينا مثلا من الواقع ، فيأتي ويركز نظره على المعطف الخَلِق .

فجوهر الرأسمالية والاشتراكية لم يتغير والذي تغير هو المعطف الخلق فقط نرى مثلا خروتشوف في الاتحاد السوفيتي يملك ما يملكه دافيدروكفلر في الولايات المتحدة الامريكية . بيد ان روكفلر يسمي نفسه رأس الامبريالية التي تقود الرئيس الامريكي نفسه ، وبالتالي الرئيس الامريكي يكون تابعا له ، بينما خروتشوف يسمى نفسه الرئيس السوفيتي وهو رأس الامبريالية ايضا . وهذا يشبه الفرق بين الاسبوع والسبعة ايام ، او بين الشهر والثلاثين يوما ، وهو الفرق بين ما يجري في الاتحاد السوفيتي وما يجري في الولايات المتحدة الامريكية أو في توابعهما .

وتحضرني الان قصة طريفة حينما زار خروتشوف الولايات المتحدة الامريكية ووقف يحيي الناس . فاذا بأحد الرأسماليين الذين يقودون السلطة هناك جاء وقال انا رجل كنت عاملا بأحد المناجم في الولايات المتحدة بعدما هاجرت اليها اصبحت الآن أملك الملايين ، أملك الصحف وشبكات التلفزيون وناقلات البترول .. واخذ يعدد ممتلكاته . فهل هناك عامل في الاتحاد السوفياتي يستطيع ان يصعد ويسمو مثلما انا فعلت ؟ هل نظامكم يتيح مثل هذه الفرصة ؟

اراد أن يفهم خروتشوف ولكن خروتشوف كان اخبث منه

وادهى ، فقال سوف أخلع شيابي امامكم الآن لتروا آثار الصعاب التى تحملتها حينما كنت اعمل حمالا بمنجم في أوكرانيا ، ومنذ ذلك اليوم عملت حتى اصبحت رئيس الاتحاد السوفياتي ٠ فهل انا افضل ام انت ، في الواقع لا فرق بينهما اذا عمقت النظر وأرهفت البصيرة ترى أن كلا الشخصين يحتل نفس المركز ، ولكن هذا يقود العالم عن طريق المال باسم صاحب المال ، وذاك يقود العالم عن طريق المال ، ولكن ليس باسم صاحب المال وانما باسم الشعب ، غير ان المال بيده ومقدرات الشعب في قبضته ٠ فلا فرق بينهما الا في ذلك المعطف الخلق البالي الذي يحاولون ان يوهموا الناس بانه هو الحقيقة وهو ليس شيئا في الواقع ٠ انما الواقع هو ما بداخل المعطف ٠

الاسلام يأتي ويقول لا للشرق ولا للغرب ، بل يجب فصل القوة والمال عن التوجيه والقيادة ، فكيف يستطيع الاسلام تكريس هذه الحقيقة ؟

الجذور النفسية للنظم الأجتماعية ٠

النظم الاجتماعية لها جذور نفسية ، وهي ان لم تكن متجذرة في النفوس ومتعاملة مع عقائد المجتمع فهذه النظم تنهار،فحينما تجد البلاد الشرقية والغربية تخضع للقوة ، وتخضع لسلطة اصحاب المال فذلك لان الجاهلية مترسخة في نفوسهم ٠ اما اذا نزعوا الجاهلية من أنفسهم فأن هذه القوة لا تستطيع ان تخضعهم ٠

العالم يعلم بأن العلم يجب ان يقود فطرة الانسان ويعلم بان المخ هو مركز القيادة في الجسم وليس اليد أو الرجل ، ولكن لا يستطيعون تطبيق هذه الحقيقة ٠

لماذا ؟

لانهم لا يريدون ؟ بل لانهم لايقدرون مادامت جذور

الجاهلية متوغلة في انفسهم ، الاسلام يأتي ويقتلع هذه الجذور اولا ليعطي الانسان فرصة وحرية لاختيار قيادته الصحيحة وكيف يقتلع الجذور ؟ .

الاسلام اولا يقول لا تقل فلان يفرض علي ، فلان قهرني لا . وانما انت المسئول عن المحافظة على حريتك ، والحياة تبدأ منك لا من الآخرين .

((لاتكن عبد غيرك ، وقد خلقك الله حرا)) .

الحرية ملك لك ، فلماذا تستهين بها وتدعها تسرق من قبل المجرمين . تجد القرآن الحكيم حينما يحدثنا عن المستضعفين الذين لا يهاجرون عن بلادهم ، ولا يعملون من أجل رفع الاستضعاف ، فهو يصفهم بالظالمين .

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾
(٩٧/النساء)

مفهوم الشرك :

من صفات المتقين انهم اذا ظلموهم ينتصرون ويعملون لرفع الظلم . الانسان يجب ان يدافع عن حريته . هذا اولاً ، ثم الاسلام يقول، الخضوع للقوة انّى كانت انما هو الخضوع للطاغوت وهو الشرك . مفهوم الشرك في الاسلام من اكثر المفاهيم تعرضاً للتحريف والتحوير . هكذا يخيل للمسلم اليوم ان الشرك هو السجود للصنم المصنوع من الحجر ، غير ان هذا هو جزء بسيط من مفهوم الشرك ، اما الشرك في الاسلام فهو ان تشارك الله غيره في العبادة أن تطيع الله وتطيع غير الله ان تكون هناك قيادتان لك قيادة سماوية وقيادة ارضية ، ان تقول ان الله في السماء اما . الارض فهي لقيصر وللسلطة الحاكمة . ان تقول

كما قالت المسيحية المنحرفة وليست المسيحية الاصيلة : ان مع الله قوى اخرى تمتلك وتدير الحياة او كما قالت الفارسية القديمة : "صلاح مملكت خويش خسرو ان دانند" اي الملوك هم الذين يعرفون صلاح بلادهم او كما يقول بعض الجاهليين الجدد : " الشيوخ ابخص " اي الامراء الحاكمون أعرف بما يصلح الاحوال ، وما اشبه من هذه الكلمات النابعة من الجهل والجاهلية . فهذا هو الشرك .

الشرك ان تقول لله جل جلاله صاحب الجلالة ، وتقول لعبد الله المخلوق الضعيف ، والعميل ايضا : صاحب الجلالة ايضا . ليس الشرك ان تذهب الى قبر ولي من اولياء الله وتدعوا عنده وانما الشرك ان تجلس في بيتك وكل ما يقوله الحاكم المرتبط بالشرق والغرب او بالهوى تحني رأسك له وتقول سمعا وطاعة .

ان مفهوم الشرك مفهوم مظلوم ، وكلمة الشرك من أكثر الكلمات مظلومية . وكأن الشرك لا يوجد الا عند البوذيين أو الذين يعيشون في مجاهل افريقيا .. بينما الشرك يعيش بين ظهرانينا وفي أمتنا الاسلامية وللأسف الشديد هؤلاء الذين يتخذون الحكام الطواغيت اولياء من دون الله يأتمرون بامرهم ويضربون القرآن والسنة عرض الحائط . اليسوا في شركهم اشد بشاعة من اولئك الذين يعبدون الاحجار صراحة ؟ يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿ افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾
(١٠٢/الكهف)

فالطاعة والولاء لغير الله شرك ، ومن يفعل ذلك فهو مشرك مهما تشدق بالاسلام . هل بامكان الانسان ان يخضع لاية سلطة ولاي طاغوت ثم يعتقد بأنه مسلم ؟

ان الله يعلم بان هؤلاء الذين يتبعون الطاغوت ويخضعون لملوك الفساد ويتخذون عباد الله اولياءهم من دون امر الله سبحانه وتعالى - يعلم بأن هؤلاء يحسبون عملهم حسنا ويحسبون ان صلاتهم في البيت وان توليهم قبل المشرق والمغرب يكفيهم ، فلا يلبث ان يقول سبحانه وتعالى في الآية التي وراءها :

﴿ قل هل ننبؤكم بالاخسرين اعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴾

(الكهف/١٠٤/١٠٥)

يحسبون ان بنائهم للمساجد الفخمة واطعامهم لبعض المساكين وقيامهم ببعض الاعمال الروتينية ، يكفيهم وان هذا سيدخلهم الجنة ، وهم في الواقع مشركون بالله . ثم يقول القرآن عن هؤلاء مرة اخرى :

﴿ اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم ﴾

(الكهف/١٠٦)

صلاتهم ، صيامهم ، زكاتهم ، حجهم ، هذه كلها تُحبط بالشرك بالله اي بخضوعهم للطاغوت .

﴿ فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ﴾

(الكهف/١٠٦/١٠٧)

ولو اردنا ان نستمر في الحديث حول هذه الفكرة فان الحديث يطول لان نصف القرآن يحدثنا عن عبادة الله يعني الخضوع المطلق له ، والكفر بالطاغوت وبكل من يريد ان يتجبر في الارض بغير الحق . ولكن الاسلام

لا يكتفي بذلك بل يبين بعض الامور الدقيقة في ذلك فيذكرنا بان للثورة والقوة جاذبية معينة ، فالانسان المفطور على العجز ويهوى صاحب الجاه ، لذلك الاسلام من أجل تزكية النفس البشرية وتصفيتها عن الهوى ، فيقول :

((من احترم غنيا لغناه اكبّه الله على منخريه في النار)) .

الذي يحترم الاغنياء فقط لانهم اغنياء ، فالله عز وجل يدخله النار ، لان هذا الاحترام سيجرّه الى الخضوع لهم ، وبالتالي الى سيطرة هؤلاء على الناس .

في سورة عبس يذكرنا القرآن الحكيم بقصة ذلك الرجل الذي جاءه، رجل اعمى وفقير فاعرض عنه ، بينما كان يجَل الاغنياء ويحترمهم .

* عبس وتولى * ان جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى * او يذكر فتنفعه الذكرى * اما من استغنى * فانت له تصدى * وما عليك الا يزكى * واما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فانت عنه تلهى * (سورة عبس)

فتجد القرآن يؤنبه ويوبخه على موقفه هذا حيث اتخذ الغنى مقياسا لتقييم الناس .

وفي قصة قارون يحكي القرآن عن الناس الذين كانوا معجبين بقارون ، وكل واحد منهم يقول لو كنت مكان قارون لكان افضل ، واذا بهم حينما تنخسف الارض بقارون وبداره يقولون :

* انه لا يفلح الظالمون *

(١٣٥/الانعام)

فيدركون مدى خطأ النظرة التي كانوا يحملونها عن الغنى والثروة ، فهذا مصير اغنى الناس وأثراهم يجزى امام اعينهم فاين قارون واين ثروة قارون ؟ لقد انهار مع امواله الى الدرك الاسفل من النار .

واحترام الغني لغناه نوع من الشرك ، هكذا كان اليهود .. كانوا يعتقدون انهم اغنياء وان الله فقير لماذا الله فقير ؟

لان المستضعفين الذين اتبعوا الانبياء كانوا فقراء ، وهكذا كان قوم نوح .. حينما قالوا لنوح (ع) وهو يدعوهم الى الايمان بالله .

﴿ وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ﴾

(٢٧/ هود)

كان هذا اعتراضهم ، وهو ان الفقراء وضعفاء الحال هم الذين اتبعوه ، ولم يتبعه الاغنياء وكبراء القوم .

كثير من النصوص الاسلامية توضح هذه الفكرة ، ان هواك يجب ان لا يتجه الى صاحب الغنى ، لان ذلك نوع من الشرك. نعم ان هواك وحبك ورفرفات عواطفك يجب ان تحوم حول الصادقين المخلصين المتقين ولو كانوا فقراء ، حول امثال الامام علي (ع) نحن لا نحترم عليا (ع) لغناه ولا نحترمه لسلطته ، فان الغنى والسلطة الان ليسا موجودين . انما احترمنا عليا (ع) ، لما تجسد في حياته وفي اعماله من صفات حسنة يقول الامام عن نفسه وهو الصادق :

((الا وان لكل مأموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه)) .

((الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادّخرت من غنائمها وفرا ، ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزت من ارضها شبرا ، ولا اخذت منه الا كقوت اتان دبرة ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة . بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء ، فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين . ونعم الحكم الله ، وما اصنع بفدك وغير فدك ، والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارُها وتغيب اخبارها ، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر ، وسد فرجها التراب المتراكم ، وانما هي نفسي اروّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر ، وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ، ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع اوَ ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى ، واكباد حرى . او أكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنه
وحولك اكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي ان يقال هذا اميرالمؤمنن ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو اكون اسوةً لهم في جشوبة العيش ، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها ، او المرسلة شغلها تقممها ،

تكترش من اعلافها ، وتلهو عما يراد بها ، او آترك سدى او اهمل عابثا ، او أجر حبل الضلالة ، او اعتسف طريق المتاهة)) .

هذا هو امام المسلمين حقا ومن يقتدي به ويسير على نهجه ويجسد تعاليمه فقد ربح ، وفازت امة تتبع اماما كعلي عليه السلام ، وافلحت لعمري في الدنيا والآخرة .



● كيف يضمن الاسلام استقلال العلم (١)

هناك قضية رئيسية ، هي علاقة العلم بالمال ، وكيفية تحصين العلم عن تابعية الثروة والقوة ، وكيف نضمن استقلال العلم وأن لا يعرض العلماء أنفسهم في المزاد العلني ، ونتسائل من الذي كان يحجب الحقيقة عن أعين الملايين ، هؤلاء هم العلماء التابعون ، المفكرون العبيد ، اليسوا هؤلاء هم الذين خانوا أمانة العلم ، وباعوا أنفسهم بثمن بخس ، وأعانوا الطغاة في سبيل تذليل الناس وسحقهم ، استثمارهم واستغلال طاقاتهم .

لذلك يكون هذا السؤال حاسما ، ما هو الضمان الذي يعطيه الاسلام للعلم لكي يبقى مستقلا ، بعيدا عن ضغوط الجبابرة ، وبعيدا عن استقلال القوى المنحرفة في المجتمع وكيف يحصن العلماء أنفسهم أمام هذه الضغوط الهائلة ؟.

هناك عدة ضمانات يعطيها الاسلام :

الضمانة الاولى :

هي اعطاء العلم قيمة ذاتية كبيرة ، ليكون العلم وليس المال أو السلطة محورا يستقطب حوله قدرات الجماهير وطاقاتهم وامكاناتهم .

الضمانة الثانية :

هي ان الاسلام يزكي دوافع العلماء ، منبدايــة انطلاقهم لطلب العلم ، يجعل تطلعاتهم سامية .

الضمانة الثالثة :

هي تحطيم سمعة علماء السوء وابعادهم عن تجمع العلماء وعن الجماهير وفضح دورهم في تغطية جرائم الطغاة .

هذه هي الضمانات الثلاثة التي نبحثها تباعا باذن الله ، ولكن قبل ذلك لابد أن أذكركم ان ما في العالم من تقدم ورقي وحضارة ولا أقل في الجوانب المادية منها انما هو رهين العلم ، وان الطغاة في الارض يسرقون مكاسب العلماء ويستغلون تقدم الشعوب ان هؤلاء ليسوا هم الذين يقودون العالم .

ليس كنيدي أو نيكسون أو برجنيف هم الذين يطلقون مركبات الفضاء أو يحققون انجازات العلم ، انما هم العلماء التابعون لهم . والمستغلون من قبلهم .

وأهمية طرح هذا الموضوع تكمن في نقطة هامة هي انه على طول التارخ كان العلم أداة فعالة بأيدي الطغاة والجبابرة لتطويع الشعوب وترويضها لقد كان لكل فرعون هامان يؤيده ويؤازره ، وبلعم باعوراء يؤمن له التغطية الدينية المزيفة ، وكان لكل معاوية رجال أمثال كعب بن الاحبار ولكل يزيد رجال أمثال شريح القاضي ولكل طاغوت سواء كان يتستر بستار الدين ، أو بستار مادي ، مجموعة من العلماء الخدمة .

فلولا كسينجر وأمثاله لم يستطع نيكسون أن يلعب بمصير العالم ، ولولا بريجنسكي وأمثاله لم يستطع كارتر أن يقوم بما قام به من افساد في الأرض ولولا سوسلوف لم يستطع بريجنيف ومن قبله خروتشوف أن يروضوا ربع مليار انسان في الاتحاد السوفياتي ويعبثوا بمقدرات العالم ، العلماء التابعون سواء الذين يتسترون بستار الدين أو يتفوهون باسم الحرية أو ما أشبه .. هؤلاء كانوا اليد

الضاربة التي استخدمها الطغاة والجبابرة في الأرض على امتداد التاريخ ولا يزالون ، فلولا رجال أمثال ميشيل عفلق ، وطوبيه حنا المعروف بطارق عزيز ، من الذي كان يكتب لصدام العراق هذه الخطب الطويلة التي يتحدث بها عبر ساعتين أو يزيد ، من الذي كان يلقنه هذه الأفكار الشيطانية ، ويبرر حتى هزائمه في المعارك ببعض التبريرات المضللة ، ولولا الصحفيون الذين يشترون بالأموال يبيعون انفسهم ، لهذا الطاغوت أو ذاك لقد سميت كبرى القواعد الفضائية في الولايات المتحدة باسم جون كنيدي وهي قاعدة (كيب كنيدي) ، ولكن الاخرين هم الذين يعملون،ثلاثمائة ألف أو اربعمائة الف عالم في مختلف الحقول هم الذين بعثوا مركبة أبولو الى الفضاء ومثلهم من العلماء في مكان آخر هم الذين أطلقوا مركبة سويوز ، ولكن الحكام المتسلطين يسرقون بريق التقدم لمصلحة تسلطهم وافكارهم الجاهلية .

الرأسمالية ليست سببا لتقدم الشعوب في امريكا والاشتراكية الماركسية ليست هي الاخرى السبب في تقدم الشعوب في الاتحاد السوفيتي .. والنظريات المادية الجاهلية ليست هي السبب في تقدم الشعوب في أوروبا ، واذا كانت هذه النظريات السبب الرئيسي لتقدم تلك الشعوب ، فلماذا التناقض بينها ، والاختلاف فيها ؟ ولو كانت الرأسمالية هي السبب في تقدم الشعب الامريكي ، لطرح هذا السؤال .. لماذا الشعب الروسي تقدم ايضا ؟ بينما الشعب الروسي لا يؤمن بالرأسمالية بل يكفر بها ويحاربها .

ولو كانت الاشتراكية الشيوعية هي السبب في تقدم الاتحاد السوفيتي ، لطرح هذا السؤال .. اذن لماذا الشعب الياباني يتقدم ؟ ان أصحاب النظرية هذه يسرقون

جهود الملايين ، وينسبون التقدم والازدهار وسائر مظاهر الحضارة الى أنفسهم ، وهي بعيدة عنهم ، بل هم في الواقع عقبة في طريقها .

واليك هذه المعادلة : لولا أربعمائة مليارد دولار التي تخصص سنويا في الويالات المتحدة لميزانيات الدفاع وفي الواقع لميزانيات التدمير والفساد ، لكانت الشعوب الآن في رفاهية وازدهار ، لازدهرت الحضارة في العالم أكثر فاكثر ، تلك الميزانيات الحربية اللا محدودة هي التي تمتص جهود الملايين من البشر ، وهي التي تسرق تقدم العلم .

العلم هو سبب التقدم والازدهار ، ولكن المشكلة ان العلم يسرق ، وان العلم تابع وليس مستقلا ، العالم يتحرك وراء الطغاة ونظرياتهم في العالم ، هذه هي المشكلة الرئيسية للحضارة البشرية اليوم ومن هنا أيضا لا يعني تأكيدنا على استقلالية العلم ، عدم التأكيد على أهمية العلم ذاته ، والمكاسب العلمية الهائلة التي بلغتها البشرية بالعلم ، وليس تخلف بلادنا لوجود الانظمة الفاسدة فيها فحسب ، كما انه ليس فقط بسبب الديكتاتوريات الارهابية والفاشية . لان هذه الانظمة المتخلفة موجودة أيضا في أمريكا ، واروبا ، واليابان والاتحاد السوفيتي .

الأنظمة هي الأنظمة .. نظام "صدام " نسخة عن نظام "تاتشر " نظام حكام الجزيرة نسخة أخرى عن نظام " ميتران " ، النظام القائم في مصر ليس بعيدا عن النظام الأمريكي ، وانما الفرق أن شعوب تلك البلاد اندفعت نحو العلم ، واستوعبت المعارف الطبيعية فتقدمت وأنت ترى ان هناك فارقا بين رفاهية الشعب الأمريكي وضنك الشعب المصري بالرغم من تشابه الأنظمة الحاكمة

في البلديـــن .

الرفاهية وليدة العلم ، فمشاكلنا ليست فقط من الأنظمة ، نعم لو استطعنا اسقاط هذه الانظمة ، وتحرير طاقات الشعوب ، وتعبئتها نحو التقدم والازدهار نكون قد فعلنا الكثير ، ولكن ليست هذه هي المشكلة الوحيدة ، وانما هي أحد الاسباب أو بتعبير أفضل ، أحد مظاهر التخلف ، ان التخلف واقع فاسد له مظاهر عديدة منها الانظمة الفاسدة ، ومنها البؤس والحرمان ، ومنها تفشي الجهل والأمية ، وفقدان العناية وضعف القوة العسكرية ، وفساد النظام السياسي ، هذه مظاهر عديدة لذات الحقيقة .

أننا نتسائل .. لماذا نجد بلدا آسيويا " وليس في أوروبا " كاليابان يعيش في منطقة فقيرة في المواد الطبيعية كالنفط والمعادن ، وليست منطقة استراتيجية في العالم .. هذا البلد يتقدم يوما بعد يوم وتبداء فيها الثورة الثالثة في عالم الصناعة ويغزو بانتاجه أوروبا وأمريكا ذاتها ؟؟ ولوكانت نفوس اليابانيين بعدد سكان الصين ولو كانت اليابان مثل الجزيرة العربية تملك موارد نفطية هائلة ، أو كانت اليابان دولة أوروبية (حيث ان الحضارة والتقدم والرفاهية ظلت حكرا على الأوروبيين لقرون عديدة حتى صارت وكأنها الطابع المميز لأوروبا) لاتصلت بالعلوم الحديثة قبل الآخرين بل كانت أول مدرسة علمية أسست في اليابان في نفس السنة التي أسست فيها مدرسة حديثة في ايران وفي مصر اقول لو كانت اليابان كذلك اذاً فسرنا القضية باحد العوامل المادية واذ لم تتوفر في اليابان كل هذه العوامل ، ومع ذلك وصلوا الى ما وصلوا اليه نتسائل لماذا ؟ دعنا نستمع الجواب من فم باحث أمريكي ، يتحدث عنه مؤلف كتاب

" التحدي العالمي " جان جاك سوفان شرايبير (١) "اذا كان ثمة عامل يفسر النجاح الياباني ، فهو البحث الدائم الجماعي عن المعرفة . وعندما أعلن " دانيال بيل" " ويبتر داركر " وبضعة آخرون بداية مجتمع ما بعد الصناعة الذي تحل فيه المعرفة كمورد أساسي محل رأس المال ، لم يكونوا يتخيلون الى أي حد سيشق هذا المفهوم الجديد طريقه بسرعة خاطفة في جميع الأوساط القيادية في اليابان، ثم سريعا في كل شرائح الشعب،لقد أجمع البلد على الأهمية القصوى التي يجب ان تولى لمتابعة التعليم والمعرفة باستمرار طوال سنوات العمر" اليابان اذاً تقدم بالعلم ، وليس تقدمت بالنظام السياسي أو الاقتصادي ، ومن هنا نفهم مدى أهمية وعظمة الاسلام حينما يؤكد على العلم . وتأكيد الاسلام على العلم منذ أربعة عشر قرنا ، أكبر شاهد على تفوق اهميته .

دعنا نضرب مثلا من هذا التأكيد نابعا من ليلة القدر التي تحدد عمر الفرد ، حسب ما جاء في القرآن الحكيم :

﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾

(٤/ القدر)

فعمل الانسان في هذه الليلة قد يفوق عمل ثمانين سنة ونيف ، ولكن أفضل الاعمال فيها حسب ما يقول كبار العلماء هو طلب العلم ، لأنك عن طريق العلم تستطيع أن تفهم ماذا تطلب من الله سبحانه وتعالى ولا تصبح كالعابد الذي كان يعبد الله في سفح وأقام على ذلك زمنا ، فدعا له أحد الملائكة ربه قائلا : الهي هذا عبدك المطيع يصوم النهار ويقوم الليل ، ويبتهل اليك ، قال له الله

١ ــ الباحث احد اساتذه هارفارد واسمه «عزرا بوغل» الذي اقام في اليابان مدة طويلة لكي يفهم السبب الحقيقي لتقدم هذا الشعب بالقفزات الكبيرة ثم كتب كتابا بأسم «اليابان بطل العالم».

سبحانه وتعالى .. أنزل واعبدني معه ، فنزل الملك ، فرحب به العابد وقال له ؟ حسنا ، هناك شيء يحيرني منذ مدة اليس من الافضل لو كان لله حمارا يرعى في هذه المروج الواسعة ؟

عقل هذا العابد كان محدودا الى درجة كان يتصور أن لله تعالى حمارا وان هذه المروج أفضل مرعى لهذا الحمار ، فصعد الملك الى الله سبحانه وتعالى وقال : الهي علمت الآن لماذا لم تعط لهذا العابد درجة كبيرة بقدر عبادته ، وأعطيته بقدر عقله .

العلم قيمة اجتماعية .

العلم وليس العمل وحده هو الذي يرفع درجاتك عند الله سبحانه وتعالى ، وتأكيد الاسلام على العلم لعدّة اسباب :

السبب الأول :

هو أن الحضارة البشرية مبتنية على قاعدة العلم .

السبب الثاني :

لكي يعطي الاسلام العلم قيمة اجتماعية ليكون العلم والعلماء هم محور المجتمع ، وهذا واحد من الضمانات الأساسية لجعل العلم مستقلا عن المال والقوة وأذكر فيمايلي لكم بعض الأحاديث في هذا المجال .
الحديث الاول ننقله عن الامام الحسن العسكري (ع)
وقبل أن ارويه لكم ابين لكم حقيقة هي أن أكثر أحاديث العلم والعلماء الموجودة في كتاب بحار الأنوار الجزء الثاني في الفصل الأول منه ، رويت عن الامام الحسن العسكري (ع) ، لماذا ؟

حكمة ذلك أن الامام الحسن العسكري (ع) ، كان

تقريبا آخر الأئمة ، لأن الحجة من بعده عاش مائة عام في الغيبة الصغرى ثم في الغيبة الكبرى ، وفي هذا المنعطف التاريخي كان يجب أن تتحول القيادة من كتف الأئمة الى كاهل العلماء ، ولذلك كان الامام يريد انيوجه المسلمين الى أهمية العلماء ليكونوا هم قادة هذا المجتمع .

والحديث الثاني يشير الى هذه .. " قال حدثني أبي عن أبائه عن رسول الله (ص) ، أنه قال :

((أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه ، يتيم انقطع عن امامه ، ولا يقدر على الوصول اليه ، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه الا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا ، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، الا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)) .

والحديث هذا يدل على درجة العلماء الذين يقومون بمسؤولياتهم القيادية للمجتمع قريبة من درجة الانبياء والأئمةوالاولياء عليهم الصلاة والسلام ، وفي حديث آخر يقول الامام أبو محمد العسكري نقلا عن جده علي بن الحسين (ع) :

((أوحى الله تعالى الى موسى (ع) حببني الى خلقي ، وحبب خلقي الي ، قال يارب كيف أفعل ؟ قال ذكرهم آلائي ، ونعمائي ليحبوني ، فلئن ترد آبقا عن بابي ، أو ضالا عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام لياليها ، قال موسى ومن هذا العبد الآبق منك ؟ قال الله العاصي المتمرد ، قال فمن الضال عن فنائك ؟ قال

الجاهل بامام زمانه تُعرّفه ، والغائب عنه بعدما عرفه الجاهل بشريعة دينه تُعرّفه شريعته ، وما يعبد به ربه ، ويتوصل به الى مرضاته ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام ، فأبشروا علماء شريعتنا بالثواب الأعظم ، والجزاء الأوفر)) .

تدبروا في الحديث كيف أن الله سبحانه وتعالي جنبه عن الذي ضل عن طريق العلم يشبهه بالعبد الآبق الذي هرب من سيده . والعالم يسعى بهذا العبد الى العلم والى رحاب الله سبحانه وتعالى ، وعمله هذا يساوي عبادة مائة سنة ، يصوم النهار ويقوم الليل طاعة لله سبحانه أما في يوم القيامة فيقال للعابد ((نعم الرجل كنت ، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤونتك فأدخل الجنة ، الا أن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنات الله ، وحمل لهم رضوان الله تعالى ويقال للفقيه يا أيها الكافل لأيتام آل محمد ، الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم ، قف .. حتى تشفع لمن أخذ عنك ، أو تعلم منك ، فيقف ، فيُدخل الجنة معه فئاما ، وفئاما ، وفئاما حتى قال عشرا ، وهم الذين أخذوا عنه علومه ، وأخذوا عمن أخذ عنه ، وعمن أخذ عمن أخذ عنه الى يوم القيامة)) .

فانظروا .. كم الفرق بين المنزلتين ، منزلة العابد، ومنزلة العالم ، اذا الفت كتابا فكل من قرأ كتابك واهتدى به يستطيع أن يدخل معك الجنة ، ليس هؤلاء فقط ، وانما أولئك الذين قرأوا كتابا مقتبسا من كتابك ، وهكذا بالتسلسل الى يوم القيامة وفئاما وفئاما وفئاما (٢).

٢ ـ فئاما: في اللغة العربية تعني مائة الف انسان، يقول الامام فئاما عشر مرات فتعني ذلك مليون انسان، و هو لم يقصد الوقوف عند هذا الحد و انما كان يريد التعبير عن الكثرة الهائلة.

وفي حديث آخر للامام أبي محمد (ع) عن الحسن العسكري (ع) ،:

((ان من محبي محمد وآل محمد (ص) مساكين مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء ، المسكين الذى أجلسه جهله فى بيته ، والذي أصبح عبدا لغيره ، ومسحوقا بسنابك الطغاة .. أحوج الى المساعدة من الذي أسكنه جوعه في بيته ، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم عن مقاومة أعداء الله الذين يعيرونهم بدينهم (الجماهير التي سكنت وضعفت واستكانت بسبب فقدانها لسلاح العلم والوعي ، هؤلاء هم المساكين الحقيقيون) ، الا فمن قواهم بفقهه وعلمه حتى أزال مسكنتهم ، ثم سلطهم على الأعداء الظاهرين النواصب وعلى الأعداء الباطنين ابليس ومردته ، حتى يهزموهم عن دين الله ، ويذودوهم عن أولياء آل رسول الله ، حول الله تعالى تلك المسكنة الى شياطينهم ، فأعجزهم عن اضلالهم ، قضى الله تعالى بذلك قضاء حق على لسان رسول الله (ص))) .

وهذه هي ارادة الله ، أنه لو تحرك العلماء ، وقاموا بدورهم في توعية الجماهير ، فالجماهير تتسلح بسلاح العلم ، وتتحول مسكنة الجماهير الى اعدائهم الذين كانوا متسلطين عليهم ، أي حينما يأتي عالم رباني ويبث الوعي ، ويبث الروح والأمل في نفوس الجماهير المسلمة في ايران ، تتحرك هذه الجماهير وحينذاك تبعد الجبابرة المفسدين ، وحينما يطاع بهم يصبحون صعاليك يتسكعون على أبواب أسيادهم الشرقيين والغربيين فتتحول المسكنة من الشعب الى جلاديه ، وهذا هو مضمون حديث الامام الحسن العسكري (ع) .

بهذه الطريقة يعطي الاسلام ضمانة للعلم ، ويرفع قيمة العلم والعلماء الى أعلى مستوى ويقول :

((فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم)) .

يقول أن منزلة العالم الذي يطلب العلم أفضل من الملائكة لأن الملائكة تفرش أجنحتها أمام طالب العلم رضاء به ، أو حينما يقول الاسلام أن الملائكة في السموات والدواب في الأرض ، والحيتان في البحر يستغفرون لطالب العلم ، فانما يريد أن يجعل من العلم قيمة اجتماعية رئيسية مستقلة تتمحور حولها طاقات الأمة ، وتتعبأ بها امكانات الجماهير ، ثم تنطلق في الاتجاه الصحيح والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا .

تزكية النفوس الضمانة الثانية .

المحافظة على استقلالية العلم ، هي تزكية النفوس التي تطلب العلم . حينما يوقع طالب جامعي على وثيقة يتعهد بموجبها أن يخدم النظام أو المعهد الذي يعلمه العلم ، لمدة خمس أو عشر سنوات ، فانما هو يوقع على وثيقة ارتباطه بذلك المعهد أو النظام ، لأن النظام أو المعهد لا يوفر له امكانات التعلم قربة الى الله ، أو لأجل سواد عينيه ، وانما من أجل ان يستخدمه بعد تخرجه في المجال الذي يخدم مصالح النظام أو المعهد ، وهكذا يصبح العلم وبصورة آلية تابعا للمال بينما يجب علينا أن نبعد العلم عن المال والقوة ، وأن نجعل العلم مستقلا ولا نجعل طالب العلم يطلب العلم من أجل أن يتوظف أو ان يصبح شيئا عند الناس ، أو ان يستغل الجماهير بأن يكون وزيرا لفرعون ، أو مفتيا ليزيد ، أو مستشارا لكارتر أو منظرا لبريجنيف وانما يتعلم من أجل أن يهدي الناس ، وتعلمه لله .

ولذلك تجد النصوص الاسلامية تؤكد على ضرورة نظافة نية المؤمن الذي يطلب العلم وأن يكون طلب العلم لله ، وحينما يكون العلم لله .. يكون للجماهير ، ويكون للمصلحة العامة .

لنتدبر في هذا الحديث المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام ، نتلوه عليكم في هذه الليلة التي تنسب الى الامام علي (ع) لأنها ليلة وفاته ، وأفضل ذكرى لعلي هو استعادة احاديثه ذلك لأن عليا عليه السلام ضحى بنفسه .. من أجل هذه الافكار .. ولا يفيد علينا أن نذكر فقط أنه أستشهد ، ونبين بعض فضائله فحسب ، انما يجب أن نبين رسالته ، ومن جملة رسالة علي (ع) هذا الحديث .

((طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف ، الا فاعرفوهم وأعيانهم - اي حينما تعرفون أحدا بصفته فابحثوا عمن تتجسد فيه هذه الصفات في الواقع الخارجي فعندنا صفات مثل : كافر ، منافق ، مسلم مؤمن ، مجاهد ، متقي ، عالم وما أشبه هذه صفات مجردة لا تنفعنا في الحياة العملية وعلينا أن نبحث في المجتمع الذي نعيش فيه .. لنعرف من تتجسد فيه عينيا هذه الصفات من المنافق ؟ ومن الكافر ؟ ومن المشرك ؟ ومن المؤمن ؟ من العالم ؟ من المتقي هكذا ؟ ، لايكفي أن نعرف أن في المجتمع علماء خير ، وعلماء سوء على وجه الاجمال ، وانما ينبغي أن نبحث عنهم ونتقصى الحقيقة حتى نميز عالم السوء بشخصه وباسمه عن عالم الخير - **صنف يتعلمون للمراء والجهل ، وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل ، وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل** - قسم منهم يتعلمون العلم لكي يستعلوا

على الآخرين ويتكبروا عليهم ويخطوا بقرب الملوك والسلاطين ، وأصحاب النفوذ والأموال ، وقسم يتعلمون لكي يستثمروا الناس ويستغلوا الجماهير ، وقسم يتعلمون لكي ينفعوا الناس ، وليس من أجل مصالحهم ولا رئاستهم -

فأما صاحب المراء والجهل ، تراه مؤذيا ، ممارياً - مجادلا - للرجال في أندية المقال ، قد تسربل بالخشوع ، وتخلى من الورع - ظاهره خاشع ولكن لا توجد في قلبه ذرة من الورع والتقوى - **فدق الله من هذا حيزومه** - أي قطع ظهره - **وقطع منه خيشومه** - أي أرغم أنفه - **وأما صاحب الاستطالة والختل ، فانه يستطيل على أشباهه من أشكاله ، ويتواضع للأغنياء من دونهم ، فهو لحلوائه هاضم ولدينه حاطم ، فأعمى الله من هذا بصره وقطع من آثار العلماء آثره** - الاسلام يريد أن يبعد علماء السوء من تجمع العلماء ، **وأن يلحقهم بمتبوعيهم** - أي بالأغنياء واصحاب السلطة والجاه ومن أشبه - **وأما صاحب الفقه والعقل تراه ذا كآبة وحزن ، قد قام الليل في حندسه** - ظلامه - **وقد انحنى في برنسه** - لباس الزهد - **يعمل ويخشى خائفا وجلا من كل أحد الا من كل ثقة من اخوانه** - انه لا يثق من يحومون حوله من شياطين الانس هؤلاء الذين يدورون حول العلماء ويشكلون بطانتهم الفاسدة ، هؤلاء مشكلة من المشاكل لان الأغنياء والسلاطين وكل الفاسدين والمفسدين قد لا يستطيعون التأثير في العالم الا عن طريق بطانته ، فيؤثرون على البطانة ، وهم عادة مجموعة من الجهلة ، لذلك لا يطمئن العالم الورع الى من حوله باستثناء الثقات من اخوانه ، يطمئن الى العلماء الآخرين مثله ، وليس الى الجهال الذين يدورون حول العلماء ، ودائما يمدحونهم .. العالم الكبير ،

المرجع الأعلى ، فضيلة الكذا ، سماحة الكذا ، ثم بهذه الكلمات يسرقون من العالم تقواه - فشدّ الله من هذا اركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه)) .

- هذه ضمانة أخرى من الاسلام لأعطاء الاستقلالية للعلم والعلماء في المجتمع الاسلامي .

● كيف يضمن الاسلام استقلال العلم (٢)

سبق ان هناك ثلاث ضمانات اسلامية تحصن العلم والعلماء من اعتداء المفسدين والمستغلين ، وقد تحدثنا مسبقا عن اثنتين منها وها قد بقي علينا ان نبين الضمانة الثالثة . تلك هي اقصاء علماء السوء عن الجماهير . وأعطاء الناس قيما ثابته وواضحة يستطيعون عبرها التعرف على علماء السوء ، وبالتالي لعنهم وطردهم من ساحة المجتمع ، او لا أقل فرزهم عن العلماء الابرار لتكون هناك جبهة مفروزة هي جبهة الحق ، وجبهة أخرى واضحة المعالم وهي جبهة الباطل ، ولا تختلط الجبهتان .

قبل ان نشرح هذه الضمانة لابد ان نذكر بحقيقة هامة جدا قد يغفل عنها الكثير، وتلك هي ان الدنيا التي هي دار بلاء وامتحان للانسان ، ودار يختبر الله فيها مدى قدرة ارادة الانسان وعقله على مقاومة الضغوط والشهوات . لقد اراد الله لهذه الدنيا ان تكون مفروزة الجبهات ، جبهة الباطل معلومة وجبهة الحق معلومة ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة . وحتى لا يكون هلاك الانسان وضلالته في غفلة منه .

هذا هو المهم عند الله تعالى المهم ان تكون الجنة واضحة ثم ماذا يختار الناس فهذه قضيتهم . أن الله لا يريد ان يكره الناس على الايمان .

﴿ لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾

(الرعد/٣١)

﴿ افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾
(٩٩/ يونس)

﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾
(٢٥٦/البقره)

ان الله لا يريد ان يفعل ذلك وانما يبعث الرسل ليوضحوا الطريق للناس، فمن شاء اهتدى، ومن شاء بقي على ضلالته.

هذه حكمة بعث الرسل، واني شخصيا استوحي من قصص الانبياء هذه الفكرة عن طريق التدبر في الآيات القرآنية التي تستعرض قصص تحدّي الانبياء لأقوامهم. اننا نجد ان الانبياء (ع)، كانوا عنيفين مع اقوامهم، وكانوا مستقيمين على رسالتهم، وكانوا لا يرضون بالمهادنة ولا بالتنازل لخطوة واحدة او بوصة واحدة. ان هذا ليثير العجب عند الانسان، ويتساءل المرء .. لماذا الانبياء اشداء الى هذه الدرجة مع الناس؟

لماذا لا يعطي الانبياء نوعا من التنازل لأقوامهم ليستدرجوهم الى الايمان خطوة فخطوة، ومرحلة بعد مرحلة؟

لماذا اول مايأتي رسول الله (ص) في مكة المكرمة فانه ينسف كل المفاسد الاجتماعية والمفاهيم الجاهلية، ويبدأ حديثه عن آلهة المشركين عن اقدس مقدساتهم ولا يهادن في ذلك، حتى يأتي أهل الطائف ويقولون نحن نؤمن بك ولا نحاربك، بل اننا نحارب تحت لوائك، ولكن بشرط ان تدع آلهتنا وتدعنا نعبد هذه الاحجار، ونؤمن بالقرآن وبكل ما تدعو اليه، فقط دع هذه الاصنام وشأنها.

فيرد الرسول قائلا: لا، ويرضى بان يشن عليهما

حربا ، ويضحي فيها بدماء خيرة ابناء الاسلام لكي لا يهادن في مسألة التوحيد .

وابراهيم (ع) اول ما يقوم لله ، يأخذ المعول ويحطم جميع اصنام القوم ، لماذا ؟

لان هدف الانبياء لم يكن اجبار الناس على الهداية ، وانما هدفهم توضيح الطريق ، وبيان الحجة ، وتبليغ الرسالة بحيث لا يقول احد انني كنت غافلا لم افهم وذلك عن طريق كسر ذلك الطوق الحديدي الذي تكبل به القوى المتسلطة على عقول عامة الناس وتمنعهم من التفكير الحر السليم .

لقد جاءوا بابراهيم (ع) ، وارادوا حرقه ، ثم طردوه من بلده ، ثم لاحقته القوى الجاهلية من بلد الى بلد ، حتى اضطر ان يعيش في البدو ، وظل هناك ولكنه ظل يقاوم وكان يقول الله واحد ، وكان يكرر هذه الكلمة كثيرا .

وبمقاومة ابراهيم (ع) ، ومقاومة الانبياء (ع) وتحديهم للطغاة وتحديهم للثقافة الجاهلية واستعدادهم للتضحية بكل ما يملكون ، فانهم كانوا بذلك يهدفون الى ايصال فكرة الحق الى الجماهير ، واعطاء الناس فرصة التفكير ، لكي لا يكون بعد واحد من التفكير ، ولونـ واحد من الثقافة سائدا على الناس ، فيكون هناك أمام الناس تفكيران .. حق ، وباطل ، فمن اراد هذا النوع من التفكير فليتخذه بحريته ومن اراد ذاك النوع فليتوجه اليه بحريته .

انك لا تجد في القرآن الحكيم الا امثلة بسيطة ، كقصة قوم يونس مثلا يتحدث القرآن فيها عن اهتداء الناس برسالة الانبياء . فكل نبي جاء فحارب افكار قومه . و

حاربه قومه وتدخل الغيب ، فنصر الله نبيه ، واباد اعداء رسالته .

فأدريس (ع) رفعه الله ، نوح (ع) اغرق الله قومه بعد ان نجاه ، وابراهيم (ع) انقذه الله من نيران نمرود ، وموسى (ع) انقذه وقومه حين اغرق الله فرعون ، وعيسى (ع) حاول قومه ان يصلبوه فشبّه الله عليهم ونجّاه منهم ، وهكذا قصة ثمود ، وعاد ، وقوم لوط وغيرهم .

كلها متشابهة ، فلماذا ؟ ألم تكن هناك رسالات سماوية جاءت فتقبلها الناس واستجابوا لها وعملوا بها؟ بلى ، ولكن القرآن لا يركز الضوء عليها ، بل يمر عليها مرورا ، لماذا ؟ لكي يوضح الخطين ، ولكي يبين ان من يثير في ذاته دفينة عقله ويستخرج كنز فطرته ، ويؤمن بالله ايمانا يتحدى الضغوط فهذا سبيل الانبياء ومن اراد ان يخضع للضغوط وللشهوات والاهواء فهذه سبيل الجاهلية .

فتحديد وفرز المعسكرين عن بعضهما قصية مهمة في الاسلام ، لهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يريد ان يجبر الناس على الايمان فانه يؤكد على فكرة ، وهي ضرورة وجود بقية يهتدون برسالات السماء ، وهؤلاء يتمحضون في الله .. وتكون هناك قيمة اجتماعية يتمحور حولها مجموعة عناصر ، ويحملون دائما لواء المعارضة ومقاومة الطغاة ، ويقود هؤلاء عالم ربّاني . الاسلام يريد أن يكون هذا موجودا في العالم ، ويكون هذا مفصولا ومفروزا ومتمايزا عن التيارات الاخرى ، فليكن هناك عالم واحد يتمحور حوله مجموعة بسيطة من الرجال المؤمنين ، ويكون هناك ملايين العلماء يتبعون الشيطان . لكن هذا العالم هو الحجة من الله على عباده .

لذلك تجد في الاحاديث .. ان الارض لا تخلو من حجة ، لماذا ؟

لأن الله يريد ابقاء خط الرسالة الواضح موجودا في العالم ، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولكي لا يعذب الله قوما قبل ان يبين لهم ما يتقون .

وستجدون هذه الفكرة وراء سطور الاحاديث التي ستمر عليكم وهي فكرة ضرورة ايجاد التجمع الرسالي الصافي النقي البعيد عن التبعية والذيلية . لذلك نقول ان النصوص تهتم بفرز علماء السوء عن العلماء الابرار ، واعطاء تقييم واضح لها يبين الفئتين من العلماء ، ليختار الناس حسب ايمانهم ووعيهم وادراكهم وارادتهم من يشاؤون هؤلاء ام اولئك .

ويحسن ان نمهد لذلك ببعض الآيات القرآنية التي تذكرنا بضرورة تقسيم العلماء الى قسم عامل بعلمه ، متحمل لرسالته ، والقسم الاخر لا يفعل ذلك ، فالله في القرآن الحكيم يقول :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ (١٧٥/الاعراف)

هذه قصة معروفة .. عالم في بني اسرائيل كان في عصر موسى (ع) وكان علمه من اجل الاستطالة والختل ، ومن اجل الاستعلاء على الناس والتسلط على الضعفاء والمساكين . ولذلك حينما بعث الله سبحانه وتعالى موسى نبيا ، اخذته الغيرة واستبد به الحسد فعمل به فعادى موسى ورسالته والقصة طويلة ، فجاءت هذه الآية اشارة اليه ، الرجل يسمى بلعم باعوراء (١).

١ ــ باعوراء: اسم منطقة.. وبلعم: اسم الشخص.

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾

الآيات الألهية والعلوم الاسلامية تشبه ثوبا يستر عورة الانسان ، ولكن الانسان الذي ينسلخ من هذا الثوب وينزعه عن نفسه ماذا يكون امره ؟ حينما ينسلخ الانسان من ثوب عزه وعلمه ، يتبعه الشيطان .

﴿ فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾

الغواية ، هي الضلالة بوعي فقد يضل احد عن طريقه وهو غافل ، وقد يضل طريقه عمدا ، فهذا الانسان كان واعيا ، ولكنه لم يتبع وعيه فاضله الله وكان من الغاوين

﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ﴾
(١٧٦/الاعراف)

فقد كان بامكانه ان يسمو بسبب علمه الى أعلى عليين ، ويكون في مصاف الصديقين والانبياء والمرسلين ، ولكنه لم يفعل وانما اخلدته جاذبية الارض الى الشهوات الترابية .

﴿ ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ﴾

(١٧٦/الاعراف)

انه يفتش دائما عن الجريمة ويفتش عن القاذوره اي ان الذي كان عالما ثم ترك علمه ليس كالجاهل اساسا ، بل يصبح وجوده ميكروبا في المجتمع وخطرا على الناس .

﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾
(١٧٦/الاعراف)

وفي آية اخرى من سورة المؤمن يقول القرآن الحكيم :

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ، فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾

(٨٣/ المؤمن)

ان هؤلاء هم العلماء الذين يغترّون بعلمهم ، ويتصورون ان ما عندهم من العلم يكفيهم ، فهؤلاء يحيق بهم ما كانوا به يستهزئون . والعلم غير محدود ، وما يجهلون منه اكثر مما يعرفونه والذي يجهلونه يحيق بهم ويدمرهم ويهلكهم .

وفي سورة الجمعة ، تقول الآية الكريمة :

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ، ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

(٥/ الجمعة)

القرآن يشبه مرة عالم السوء بالكلب ، ومرة اخرى بالحمار ، ونحن نعلم ان الكلب اضل سبيلا من الحمار ، فلذلك فهو يشبه العالم الذي يتبع هواه بالكلب ، والعالم الذي لا يتبع علمه بالحمار .

وهناك احاديث سنذكرها تبين لنا الفرق بين الدرجتين فهناك فرق يتجسد في ان يجلس العالم في بيته ، لا يتبع السلاطين ولا يتبع اصحاب المال ولكنه لا يؤدي وظيفة علمه ولا يقوم بمسئوليته في تبليغ الرسالة . فهذا في النار ، ولكنه ليس في الدرك الاسفل منها ، اما الذي في الدرك الاسفل من النار فهو العالم الذي يستفيد من

علمه في سبيل تحطيم المجتمع ، وتثبيت حكم السلاطين .

الاحاديث كلمة الفصل

اما الاحاديث ، فهناك حديث عن الامام علي (ع) يرويه عن النبي (ص) انه قال :

((العلماء رجلان ، عالم آخذ بعلمه فهو ناج ، وعالم تارك لعلمه فهو هالك ، وان اهل النار ليتأذون بريح العالم التارك لعلمه ، وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله عز وجل فاستجاب له وقبل منه واطاع الله عز وجل فادخله الله الجنة ، وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى)) .

ثم قال الامام علي (ع) :

((الا ان اخوف ما اخاف عليكم خصلتان ، اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الأمل فينسي الآخرة)) .

فالامام علي (ع) يبين السبب الذي يدعو العالم مع انه عالم الى ترك علمه ، اذ ان السبب هو اتباع الهوى ، وطول الامل ، فالعالم الذي يظن بأنه سيموت الآن بعد قليل او صباح الغد .. فهذا العالم لا تخشى عليه فهو دائما متقي ، ولا يفكر في الانحراف .

قال رسول الله و ص) :

((يا اباذر ، ما هو أملك في الدنيا ؟ ،

قال يارسول الله .. **لما أنام في الليل فاني لا افكر ان استيقظ في الصباح وحين اصبح فلا افكر أن أمسي ،**

فقال رسول الله :

((ياأباذر انك طويل الامل ،
قال كيف انت يارسول الله ؟
فقال رسول الله و ص) ما مضمونه :

((انا حينما اغمض عيني ، لا أمل في ان افتحها ، وحين افتحها لا أمل ان ابقى حتى اسدها)) .

فالعالم ليس طويل الأمل .. وأمله في الدنيا قصير لانه عالم ومتيقن ان انفجارا بسيطا في مخه يقضي عليه ، أو جلطة صغيرة في قلبه تقتله ، أو قد يعثر فيسقط على جزء حساس من جسمه فيموت .. عشرات الالوف من اسباب الموت تحيط بنا من كل جانب ومكان ونحن لا نشعر بها ، فمن بين ايدينا ومن خلفنا معقبات يحفظوننا من امر الله . ولكن حينما ينتهي اجلنا آنئذ يقول الله تعالى لهؤلاء الملائكة الحفظة بان مهمتهم قد انتهت وعليهم بالمغادرة فورا واذ ذاك يفقد الانسان الحماية ويغدو ضحية اول خطر من الاخطار المحيطة به فيموت .

ويقول الامام علي (ع) في حديث آخر :

((قطع ظهري رجلان من الدنيا .. رجل عليم اللسان فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك ، هذا يصد بلسانه عن فسقه ، وهذا يصد بنسكه عن جهله ، فاتقوا الفاسق من العلماء ، والجاهل من المتعبدين أولئك فتنة كل مفتون ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ياعلي ، هلاك امتي على يدي كل منافق عليم اللسان)) .

فأمة محمد (ص) يهلكون بسبب هؤلاء العلماء الذين لهم ألسنة منطاقة يبررون بها مواقفهم الشاذة ، اما في العمل فيستمرون في ذلك العمل الخبيث .

وعيسى بن مريم (ع) يشبه علماء السوء بتشبيه طريف فيقول :

((الدنيا داء الدين ، والعالم طبيب الدين ،فاذا رأيتم الطبيب يجرّ الداء الى نفسه فاتهموه ، واعلموا انه غير ناصح لغيره)) .

ان أهم صفات علماء الدين الذين يجب ان يصبحوا قادة للأمة هو الزهد . وقد لا تذكر هذه الصفة في بعض الرسائل العملية (لفقهائنا الكرام) ولكن الاحاديث تؤكد على هذه الحقيقة .. ففي دعاء الندبة نقرأ هذه الفقرة .

(وشرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها) .

فالله سبحانه وتعالى منح اوليائه قيادة الناس بعد ان أخذ عليهم العهد بأن يزهدوا في متاع الدنيا وزينتها ، وهذا أهم شرط من الشروط التي اشترطها الله على عباده الذين خولهم مسئولية الامامة .

جاء جبرائيل الى رسول الله قائلا .. ان الله سبحانه وتعالى يقرؤك السلام ويقول ان شئت اعطيتك مفاتيح الارض وكنوزها ، ولا ينقص من قدرك عندي شيء . فيسأل رسول الله (ص) جبرائيل ويقول له ما رأيك ؟ (انه فعلا عرض مغر .. مفاتيح كنوز الارض كلها ، بما فيها البترول ، والذهب ، والالمنيوم ، واليورانيوم وما الى ذلك) فطأطأ جبرائيل برأسه الى الارض ، فعرف رسول الله مراد جبرائيل ، وقال له لا ياجبرائيل أشبع يوما فاشكر الله وأجوع يوما فأدعو الله ، فهذا أفضل . والامام علي (ع) يقول :

((ان فى جهنم رحىً تطحن ، افلا تسألوني ما طحنها ؟
فقيل له وما طحنها يا أمير المؤمنين ؟
قال العلماء الفجرة ،"لانهم يسحقون الناس ويسحقون القيم ففي يوم القيامة يطحنون في رحىً من نار "
والقراء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكذبة ، وان في النار لمدينة يقال لها الحصينة ، افلا تسألوني مافيها؟
فقيل وما فيها يا اميرالمؤمنين ؟
فقال فيها ايدي الناكثين)) ٠

الامام الصادق (ع) يقول :

((اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم ، فان كل محب يحوط ما احب)) ٠

فحب الدنيا رأس كل خطيئة ، والذين يحبون الدنيا ويركضون وراءها هؤلاء لا يمكن ان يكونوا علماء دين ولا يمكن ان يكونوا قادة ٠

اوحى الله تعالى الى داود (ع) :

((يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا ، فيصدك عن طريق محبتي فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين ٠ ان ادنى ما انا صانع بهم ،ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)) ٠

وفي تفسير الآية الكريمة :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾
(٢٢٤/الشعراء)

قال الامام ابو جعفر الباقر (ع):

((هل رأيت شاعرا يتبعه احد ؟ انما هم قوم تفقهوا لغير الدين ، فاضلوا وضلوا)) ٠

والامام الصادق (ع) يبين في حديث له درجات العلماء الاشرار ، (ويشبه هذا الحديث العام ذكرناه سابقا) يقول الامام الصادق (ع):

((ان من العلماء من يحب ان يخزن علمه ، ولا يؤخذ عنه ، فذاك في الدرك الاول من النار . وان من العلماء من اذا وعظ أنِف ، واذا وُعِظَ عَنِف — اذا أراد ان يعظ الناس يقول كلامه بعنف وغلظة ، واما اذا وعظه احد يستنكف من قبول الموعظه وتأخذه العزة بالاثم— **فذاك في الدرك الثاني من النار . ومن العلماء من يرى ان يضع العلم عند ذوى الثروة والشرف** — يجعل علمه تابعا للتجار ، ولشيوخ العشائر ، ولاصحاب الجاه والنفوذ ، ولا يعطي علمه للمساكين حتى يخرجوا من مسكنتهم ويتخذوا من العلم سلاحا ضد مستغليهم — **فذاك في الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين ، فان رد عليه شيء من قوله ، او قصر في شيء من امره غضب ، فذاك في الدرك الرابع من النار** — تجد هذا العالم دائما على ابواب الملوك ، يكتب لهم المناشير ، ويفتي لهم بالفتاوى الباطلة — **ومن العلماء من يطلب احاديث اليهود والنصارى ليعزز بها علمه ويكثر بها حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار** — هؤلاء العلماء الالتقاطيون ، المستغربون الذين يريدون ان يرفعوا انفسهم حتى بذلة الدين ، وتحطيم الرسالة — **ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول سلوني ، ولعله لا يصيب حرفا واحدا ، والله لا يحبه فذاك في الدرك السادس من النار** — هؤلاء هم الذين يحبون الرئاسة بأي ثمن ، ويريدون دائما ان يقودوا الناس حتى من دون ان تتوفر عندهم الكفاءات اللازمة

لقيادة الجماهير - ومن العلماء من يتخذ علمه مروة وعقلا فذاك في الدرك السابع من النار - وهؤلاء هم الذين يستفيدون من علمهم في سبيل الاستعلاء على الناس

اننا نجد على امتداد التاريخ نوعين من المتسلطين على رقاب الناس :

النوع الاول : هم السلاطين والملوك .

النوع الثاني : هم الكهنة .

فلقد كان الكهنة في بعض مراحل التارخ أعلى كعبا من الملوك ، وهم الذين كانوا يستغلون الجماهير ، قد اتخذوا علمهم سلاحا ضد الناس ، وفطنتهم من أجل استغلال الشعب والسيطرة عليه . ولم يوظفوا علمهم من أجل السلاطين ، ولا من اجل اصحاب المال والنفوذ ، وانما من أجل انفسهم فكانوا يؤيدون ارضاء شهوة التسلط والتحكم عندهم ، فهؤلاء في الدرك السابع من النار .

وهناك احاديث كثيرة ، وكثيرة جدا في هذا الموضوع نتركها لوقت آخر ، ولكني اريد ان احدثكم عن العلماء الذين تعلموا العلم لله ، وعلّموا لله ، وطبقوه على انفسهم وهدوا الناس اليه ، وقاوموا كل الضغوط ، وصمدوا كالجبل الاشم يتحدون كل انحراف في المجتمع .

هؤلاء العلماء الذين تجد في الاحاديث صفاتهم انهم ورثة الانبياء وانهم خلفاء الرسول ، وانهم كانبياء بني اسرائيل ، وان منزلتهم مع الشهداء والصديقين وان نومهم بالليل خير من قيام العباد ، وان جلوسهم في بيوتهم خير من سفر المجاهدين ، وان مدادهم خير من دماء الشهداء ، وان من ذهب الى ابواب بيوتهم ونظر

الى تلك الابواب فان الله سبحانه وتعالى يحسب له ذلك عبادة ، فالنظر الى وجه العالم عبادة والجلوس في بيت العالم وسؤاله مسألتين يعطي لصاحبه مدينتين في الجنة كل مدينة اكبر من الدنيا مرتين وفي الحديث :

((اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء)) .

هذه هي الاحاديث كانت في صفات العلماء الصامدين .
لماذا ؟

لأن صمود العلماء وبقاءهم في مراكزهم وخنادقهم يتحدون مختلف الضغوط يعطي للجماهير املا ، ويعطيهم سلاحا ووعيا يتحدون به طغيان الطغاة واستغلال المستغلين وتسلط المفسدين .

هذا هو الاسلام ، وهذا هو برنامجه للمجتمع . والانبياء (ع) هم القدوة المثلى لهؤلاء العلماء ، فالعلماء يسعون من أجل اللحاق بالقمم التي يستقر عليها الانبياء (ع) ، مثلهم في الحياة واسوتهم هم الانبياء عليهم السلام فكل عالم يريد ان يطبق حياته وفق حياة نوح (ع) ، وفق حياة ابراهيم (ع) ، وحياة موسى عليه السلام ، وعيسى (ع) ، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام .

واذكر لكم الاحاديث التي تذكر العلماء اولا وقبل الآخرين بصفة الانبياء . وقبل ذلك لي ملاحظة حول الأحاديث الاسلامية . فهناك نوعان من الروايات والنصوص والمتون الاسلامية . نوع منها هو للجماهير وعامة الناس . فمثلا ذلك النص الذي يقول بأن على الانسان ان يقسم وقته اربعة اقسام :

١/ قسم للعبادة .

٢/ قسم للعمل و الاكتساب .

٣/ قسم للتمتع بلذات الحياة المباحة .

٤/ قسم لاداء الواجبات الاجتماعية .

هكذا ، هذه الروايات هي لعامة الناس .

ولكن هناك نوع آخر من الاحاديث و الوصايا الاسلامية مختص بمجموعة معينة من الرجال ، وهم قدوات الناس مثل احاديث الزهد في الدنيا .

((لا يكون الفقيه منكم فقيها حتى لا يعبأ اي ثوبيه لبس)) .

هذا هو الفقيه ، ووصية النبي (ص) لأبي ذر نجدها تهدف الى خلق شخصية غير اعتيادية وليست كأي انسان آخر .. بل شخصية مثالية . وقدوة وحينما يأخذ الامام علي (ع) بيد كميل ويصحر به ويقول :

((ياكميل ، ان هذه القلوب اوعية ، وخيرها اوعاها .. الناس ثلاثة فعالم ربّاني ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح)) .

انما كان يريد الامام (ع) بوصيته الطويلة هذه ان يخلق منكميل رجلا مثاليا وقدوة للآخرين .

فالاسلام يريد ان يخلق نماذج تعيش كما يعيش الانبياء (ع) ، كنموذج ابي ذر ، والمقداد ، سلمان وحجر بن عدي ، وكميل ، حبيب بن مظاهر ، ميثم التمار، مسلم بن عوسجه ، والحواريين الآخرين . فهذا هو النموذج الذي تهدف الأحاديث بناءه .. اقرؤا وصية النبي (ص) الى ابي ذر ، ووصية الامام علي (ع) الى كميل ، ووصية

الامام الحسن (ع) الى جنادة ، واحاديث الحسين (ع) لاصحابه الخلّص ، وأدعية الامام زين العابدين(ع) ووصيته لاربعة من حوارييه مثل المسيب ، ووصية الامام جعفر الصادق عليه السلام لابي مسلم ، ووصية الامام موسى الكاظم لهشام والى غير ذلك من الوصايا التي تهدف لهذا الامر ، ومنها هذه الأحاديث المروية في كتاب " عدّة الداعي " والمذكورة في الجزء السبعين من كتاب بحار الانوار .

" روي ان نوحا (ع) عاش الفي وخمسمائة عام ومضى من الدنيا ولم يبن فيها بيتا ، وكان اذا اصبح يقول لا أمسي ، واذا امسى يقول لا اصبح . وكذلك نبينا (ع) خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ، واما ابراهيم فكان لباسه الصوف واكله الشعير واما يحيى فكان لباسه الليف ، واكله ورق الشجر ، واما سليمان (ع) فقد كان مع ما فيه من الملك يلبس الشعر ، واذا جنه الليل شد يديه الى عنقه ، فلا يزال قائما حتى يصبح باكيا ، كان قوته من سفائف الخوص ، يعملها بيده - اي ان سليمان عليه السلام ما كان يأكل من بيت المال وانما كان يصنع سفائف الخوص ويبيعها ويأخذ ثمنها ليشتري قوته وهو الملك المعروف " .

" وروي ان نبينا (ص) اصابه يوما الجوع ، فوضع صخرة على بطنه ثم قال :

((الا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين

- الانسان الذي يبحث عن الكرامة في غير الدين فهذا الانسان يذل نفسه ويهينها - الا ربّ نفس كاسية ناعمة

في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، الا ربّ متخوض متنعم فيما افاء الله على رسوله ، ما له في الآخرة من خلاق ، الا ان عمل اهل الجنة حزنة

بربوة ، الا ان عمل اهل النار كلمة سهلاء بشهوة
- حينما تريد انتصل الى الجنة فان طريقك حزن ليس بسهل ، طريق وعر فيه جبال وتلال وعقبات ، وثنايا وما اشبه - الا ربّ شهوة اورثت حزنا طويلا يوم القيامة)) .

وقال سويد بن غفلة ، دخلت على امير المؤمنين (ع) بعدما بويع بالخلافة ، وهو جالس على حصير صغير ، وليس في البيت غيره ، فقلت يا امير المؤمنين .. بيدك بيت المال ، ولست ارى في بيتك شيئا مما يحتاج اليه البيت فاين امتعة بيتك يا امير المؤمنين . فقال (ع) :

((يابن غفلة ، ان اللبيب لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن قد نقلنا اليها خير متاعنا ، وانا عن قليل اليها صائرون)) .

وكان (ع) اذا اراد ان يكتسي دخل السوق فيشتري الثوبين فيخير قنبرا اجودهما ويلبس الأخر ، ثم يأتي القصار فيعدّل أحذى كميه ويقول خذه بقدومك ، ويقول هذه تخرج في مصلحة اخرى . ويبقي كميّه الاخرى لحالها ، ويقول هذه تؤخذ فيها من السوق للحسن والحسين ، فيقصر كما ويطول اخرى حتى يأخذ فيها التسويقات والامتعة للحسن والحسين في البيت .

وقال رسول الله (ص) :

((ما تعبدّ لله بشيء مثل الزهد في الدنيا)) .

انظروا .. عيسى بن مريم يقول للحواريين:

((ارضوا بدنيّ الدنيا مع سلامة دينكم ، كما رضي اهل الدنيا بدنيّ الدين مع سلامة دنياهم . وتحببوا الى الله بالبعد منهم ، وارضوا الله بسخطهم .

فقالوا فمن نجالس يا روح الله ؟
قال من يذكركم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله)) .

تدبروا في ابعاد هذه الاحاديث التي تسعى في سبيل خلق رجال التهيين . وانا اقول ان الذي يريد ان يصبح قائدا واسوة للامة فعليه انيتبع هؤلاء ، والا فليصبح رجلا عاديا كسائر الناس ، او رجلا صالحا من جملة الصالحين، ولكن لا يتطلع الى درجة الصديقين ، والشهداء وذوي المنازل السامية . فهناك نوعان من الرجال . فلك أن تختار لتصبح واحدا منهما ..

* اما تصبح طليعيا رساليا ، عالما ربّانيا .
* اما تصبح كسائر الناس الصالحين ولا تتكلف ما ليس لك .

واذا اردت ان تصبح من الطلائع الرسالية ومن القدوات للجماهير ، ومن العلماء الربانيين ، فعليك ان تتبع مناهج هؤلاء وتقتدي بهم .

● المجتمع الاسلامي و ضرورة الامامة الشرعية

((مجاري الامور بيد العلماء بالله ، الامناء على حلاله وحرامه)) .

ومجاري الامور تعني ازمة الامور : قيادتها وتوجيهها وبالتالي فأن توجيه شئون الحياة يجب ان تكون بيد العلماء وتحديدا العلماء بالله . فهناك علماء ، وهناك علماء بالله . وهنا يطرح السؤال :

ماذا تعني هاتان الكلمتان ؟

علماء الدين وعلماء العلم .

ان العلماء بالله .. هم الذين يتصلون بالله سبحانه وتعالى ، يستمدون منه ويكون علمهم في خط تحقيق اهداف البشرية التي امر بها الله جل شأنه .

اما العلماء فهذه الكلمة مطلقة وغير مقيدة وفي هذا الحديث لا نجد تفسيرا لها .. فمن هم هؤلاء العلماء وفي اي حقل علمي يكون تخصصهم ؟ هل هو في حقل الفيزياء ام الكيمياء ، ام الطبيعة ، ام علم طبقات الارض ، ام التاريخ ، ام الطب ، ام الصيدلة ... ؟

يبدو ان هذا الاطلاق يفيد أمرين :

الامر الاول :

العموم ، اي ان العالم يجب ان يكون عالما بكل شيء ، ولكن لان العلم بكل شيء امر مستحيل الا بالنسبة

الى الله سبحانه وتعالى ، فان ذلك لا يتأتى الا لمن شاء الله .

الامر الثاني:

هو اعادة الكلمة الى العرف ، اي ان العالم يجب ان يكون عالما بتلك القضايا التي يريد ان يديرها والتي تخص كيان الامة ومصيرها . فاذا قلنا للمريض اذهب الى الخبير ، فلا يعني ان يذهب الى الخبير في الهندسة واذا قلنا لمن يريد ان يبني بيتا اذهب الى العالم ، فلا يعني ان يذهب الى الطبيب ليبني له البيت ، واذا قلنا لمن يشكو وجع العين راجع الاخصائي ، من البديهي فأنه يراجع اخصائي العين .

وحينما يقول لنا الاسلام ان مجاري الامور بيد العلماء ، فانه يقصد بذلك أولئك العلماء الذين يفهمون تلك المجاري ، ويعرفون طبيعة القضايا التي يتوجب عليهم ان يهتموا بها ويعالجوها . ولكن بشرط ان يكون هؤلاء العلماء في خط الله ، ولتحقيق اهداف السماء ويجب الا تكون معرفتهم بالقضايا الاجتماعية والانسانية بعيدة عن الاسلام وبمنأى عن التقوى . بل يجب ان يكونوا : العلماء بالله .. الامناء على حلاله وحرامه .

ضرورات العالم .

١/ انطلاقا من تفسير هذا الحديث ، ومن احاديث ونصوص وآيات اخرى ، وحتى من وحى العقل نقول :

ان القائد للمجتمع الاسلامي يجب ان يتفاعل لديه نوعان من العلوم :

* نوع يرتبط بواقع الحياة .

* نوع يرتبط بالقيم .

فالعالم الذي يقود السياسة يجب ان يكون عالما بأمرين :

* يعرف السياسة ويدرك ابعادها .

* يعرف الدين ويفقه أحكامه بالنسبة الى السياسة .

والعالم الذي يقود الاقتصاد وفتى فيه يجب ان يكون عالما بأمرين :

* يعرف الاقتصاد وابعاده .

* يعرف الدين واحكامه في الاقتصاد .

وكذلك في حقل الاجتماع ، وعلم النفس والتربية وسائر الحقول الانسانية والاجتماعية .

أما من يعرف فقط القضايا السياسية دون ان يعرف حكم الله في السياسة فهذا لا يحق له ان يقود الناس وان ينصب من نفسه حجة عليهم ، لانه لا يعرف حكم الله في مجال السياسة ، ولذلك فمن ابسط الضرورات الدينية واوضحها ، هو ان الطغاة الذين يحكمون البلاد الاسلامية لا يمثلون الاسلام ابدا ، وليسوا هم أولي الامر كما يدعي بعضهم فهؤلاء لايمكن ان ينصبهم الله اولياء على عباده لانهم اساسا لا يعرفون احكام الله وكثير منهم لا يعرف اين القبلة ، أو يصلي بدون ركوع ، هؤلاء لا يعرفون من القرآن آية واحدة ، ولا يحفظون حديثا واحدا ، وعندما يرتقي أحدهم المنبر ويريد ان يقرأ آية أو يورد حديثا فانه يرتكب اخطاء كثيرة ومعيبة . فهؤلاء لا يحق لهم ان يجعلوا من انفسهم ممثلين للاسلام واحكام الله سبحانه وتعالى .

٢/ وكذلك العالم الذي يعرف الدين اي يعرف القرآن

الحكيم والاحاديث الشريفة ، ويعرف التاريخ ، دون ان يعرف زمانه وما يجري حوله ، فهذا هو الآخر لا يحق له ان يقود الناس ، لأن معرفة الاحكام الشرعية دون معرفة موارد تطبيقها ، ومتغيرات الظروف الاجتماعية التي تتغير بعض الاحكام الشرعية وفقها - قد يكون ضرر هذه المعرفة اكبر من نفعها .

فحكم الصوم مثلا بالنسبة للمسافر يختلف عنه للحاضر وبالنسبة لكثير السفر يختلف عنه لقليل السفر ، وبالنسبة لسفر المعصية يختلف عنه في سفر الطاعة . أليس كذلك ! أليست هذه احكام شرعية ! أوليست الاحكام الشرعية تختلف حسب الموارد والقضايا المختلفه ! حسنا ، اذا كان كذلك فهل يمكننا ان نعطي حكما واحدا كاسحا لكل الظروف والمجالات ؟

كلا . لذلك تجد الامام محمد الجواد (ع) يحضر مجلس المأمون الخليفة العباسي فيسأله شخص عن حكم الصيد في الحرم ، فهو يشق له الشقوق ، ويفرع له الفروع ويقول (ع) كان ذلك الرجل في حل ام في حرم ؟ حرا ام عبدا ؟ صاد في الليل أم في النهار ؟ صيده من البهائم الوحشيه أو الاليفه ؟ يصيد للمرة الأولى أو الثانية ؟ عامدا او جاهلا ؟ وهكذا حتى دوّخ السائل من كثرة التفريعات التي بسطها أمامه . لماذا ؟
لان الحكم الشرعي ليس مطلقا ، وانما يتبع الوقائع المرتبطه .

ولذلك تأتي الرواية الكريمة لتقول :

((أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة احاديثنا)) .

الحوادث جمع حادثة ، والحادثة في اللغة العربية

هي الظاهرة المتغيرة ، والشريعة الاسلامية فيها من المرونة ما يستوعب كل التغييرات والتطورات .

لماذا لا نكتفي بالقرآن والسنة ، بل ونقول يجب ان يكون لدينا فقها ؟

لان القضايا تختلف بحسب الزمان والمكان ، والفقهاء فقط هم الذين باستطاعتهم ان يستنبطوا احكامها المناسبة من الشريعة .

لماذا لا يجوز ان نقلد الاموات تقليدا ابتدائيا ، وفي رأي كثير من الفقهاء لا يجوز تقليد الاموات حتى استمراريا .

ولماذا نقول ان المسألة التي لم تعمل بها في حياة المجتهد ، لا يجوز لك ان تقلده فيها بعد مماته ؟

ولماذا يقول الاسلام .. كتاب وامام وشريعة وقائد ؟ لماذا نحن لا نوافق من يقول "حسبنا كتاب الله" ؟

كل ذلك لان متغيرات الزمان تتطلب فقيها يعرفها ويعرف الحكم الشرعي فيها . اما اذا لم يعرف الفقيه احكام الشرع بالنسبة الى متغيرات الزمان ، وتصدّى للمرجعية فهو ليس بقائد وامام .

ان اخطر ما ابتليت به الامة الاسلامية منذ بداية انطلاقها والى الآن كان امثال هؤلاء الذين يدعون العلم وهم لا يعرفون الزمان ، والذي لا يعرف الزمان لا يعرف الدين بأنه تطبيق قيم الله سبحانه وتعالى على متغيرات الزمان .

يقول الامام علي (ع) في وصيته لكميل :

((يا كميل الدين لله تعالى فلا يقبل الله تعالى من احد القيام به الا رسولا او نبيا او وصيا)) .

((يا كميل لو كان هناك انسان واحد في العالم واراد ان يعمل بالاسلام فهل يحق له ذلك ؟ ثم يجيب هو (ع) ويقول كلا ، الا ان يكون حجة)) .

الانسان الواحد اذا كان موجودا ولم يكن حجة ولم يكن متصلا بالوحي اي لم يكن اماما ، فان عمله لن يكون صحيحا ، لانه عمل دون تقليد وبلا اتباع للامام الشرعي ، وبالتالي لا يكون هذا العمل لله ، ولن يرضى الله عنه .

ويقول الامام في حديث آخر :

((لو كان هناك رجلان لكان احدهما اماما والثاني مأموما)) .

لماذا نحتاج الى الامام ؟ لانه دون الامام لا نتمكن ان نتخذ القرارات الصحيحة في خضم متغيرات هذا الزمان . ومن هنا نجد فقرة من حديث في صفات العلماء ..

((عارفا بأهل زمانه)) .

ويأتي في الحديث الآخر ..

((العالم بزمانه لا تهجم عليه الغوائل)) .

ذلك لان الاحكام تتغير في اطار القيم الثابتة وفق متغيرات الزمان .. فتارة يجلس الامام علي (ع) في بيته ، وتارة يحمل السيف ويقتحم الحروب وقد جاوز الستين .. وتارة يحارب الامام الحسن (ع) وتارة يصالح وتارة يحارب الحسين (ع) بالخطاب والقلم ، وتارة يحارب بالسيف .. وفي ظروف معينة يتخذ زين العابدين عليه السلام منهج الدعاء كسلاح يحارب السلطة الجائرة ، ويقوم بعتق العبيد وتربية الكوادر .. وفي ظروف أخرى يتخذ الامام الباقر (ع) اسلوب الوعي وبث المعارف الاسلامية .. وينهض الامام جعفر الصادق (ع) ليكمل

برنامجه فيقوم بنشر الفقه .. وهكذا نجد الامام موسى الكاظم (ع) يقوم بالاعداد والتهيئة للثورة لما رأى ان الارضية ملائمة لذلك .. كما نرى أن الامام علي الرضا عليه السلام يقوم بقبول ولاية العهد للمأمون لان المصلحة كانت تقتضي ذلك .. كل هذه القرارات كانت لمصلحة الاسلام ، وكلهم ايضا كانوا في طريق الحق ، ولكن الزمان كان يختلف . لذلك اختلفت قراراتهم السياسية ، ومن هنا فان الواجب في القائد الاسلامي ان يكون عالما بجانبين .. عالما بالدين ، وبالقيم الاسلامية .. عالما بالحياة .وبالظروف الاجتماعية ، ولا يكفي ان يكون علمه في الدين ، أو في الحياة علما تقليديا ، بل يجب ان يكون استنباطيا اجتهاديا .

رجل دين وسياسة

لا يكفي ان يأتي ذلك الرئيس ويقول انا عالم بالسياسة ، وسأخذ رسالة عملية لفلان واقرأها فاكون قائدا شرعيا ، ان هذا غير ممكن لان الرسالة العملية التي يقرأها لا يمكن ان يطبقها على الظواهر السياسية المتغيرة .

وكذلك لا يكفي عالم الدين ان يقول انا عالم بالدين فقط وسأخذ نظر المستشارين في القضايا السياسية ، وانما يجب ان يكون عالما بقضايا السياسة .

لذلك فمن الاسباب والعوامل الرئيسية لانتصار الثورة الاسلامية ، ان الله هيأ لايران عالما كالامام الخميني (حفظه الله) ، فلقد انتظرت الامة الاسلامية طويلا وطويلا انتظرت الجامعات التي لم تنتج الا مجموعة مثقفين ذيليين ، كما انتظرت بعض الحوزات العلمية التي لم تنتج الا مقلدين للتاريخ يعيشون في عصور غابرة ،

وانتظرت طويلا المفكرين الاسلاميين الذين ظلوا يتراوحون بين تقليد الغرب وتقليد الماضي .

ولكن الامام الخميني (حفظه الله) قبل اربعين عاما ، وفي تلك الظروف التي كانت تعتبر ظروف الظلمات وعصر السبات العميق .. كان يدرس لتلاميذه القوانين الوضعية حسبما ينقل عنه .

كان الامام طوال حياته مراقبا للأحداث السياسية ، فتجده يذكر لنا تفاصيل المؤامرات التي جرت في أيام ثورة الدستور .. انسان شاهد على الحدث مراقب لمجريات الامور ، متوغل في فهم كل المتغيرات في الساحة هذا هو الامام الذي قاد الثورة الى النصر .

لذلك يجب علينا انتفهم ونعي من الذي ينبغي ان يقودنا ، ومن الذي نجعله بيننا وبين الله .. فقد لا يقبل الله ابدا عذر أي انسان يتبع رجل الدين الذي لا يعترف بان السياسة جزء من الاسلام ، ولا يعترف بأبسط معاني القيادة الاسلامية ، انه لا يحق للمسلم أن يتبع مثل هذا الانسان مهما كان يحمل من علم وورع .

ان الله سبحانه وتعالى اودع فيك العقل أيها الانسان لتفهم ، وأعطاك الكتاب لتقرأه ولتتدبر فيه ، ثم تنظر هل أن أقوال هذا العالم او ذاك تتناسب مع القرآن مع آيات الذكر ام لا . بل يجب ان نقرأ القرآن ونتدبر آياته ، فهي تحدد لنا بدقة معالم القيادة الشرعية .

يقول الامام الرضا (ع) في حديثه المطول المذكور في كتاب " الاحتجاج "

((عالم بالسياسة)) .

فهذا من صفات الأئمةومن صفات القادة ، وحينما يقول الامام المهدي (عج) في حديث شريف :

((انهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم)) .

فهذا يعني أن هؤلاء العلماء استمرار لخط الأئمة ، ومن ابرز صفات الأئمة علمهم بالسياسة . فهل يصح للانسان ان يقول انا رجل دين ولست برجل سياسة ؟

هل يقبل منه هذا في منطق الاسلام ؟
لو كانت السياسة شيئا والعلم شيئا آخر ، اذا لجاز للحسين (ع) ان يذهب الى الجبل ويعبد الله عليه ولا يتدخل في الشئون السياسية ، فلماذا أراق دمه اذن ؟

طالب العلم وطالب العلوم .

ان للقضية وجهة أخرى ، تلك هي ان طلبة العلوم الدينية ، وطلبة العلوم الحديثة هؤلاء يجب ان يلتقوا في خط واحد . يجب ان يصبح كل عالم بالسياسة عالما بالدين ، وكل عالم بالدين عالما بالسياسة يجب ان نقضي وللابد على هذا الانفصام الذي اوجده التخلف والاستعمار في بلادنا .. فالتخلف ابعدنا عن عصرنا ، والاستعمار ابعدنا عن ديننا .

وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه من دون جهود مكثفة ، لان هذين التيارين العلميين متباعدين ، فهناك عوامل تصر على ابعادهما عن بعضهما . وهناك من يصر على تجهيل علماء الدين وطلبة العلوم الدينية وابعادهم عن قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وهناك من يصر على ابعاد طلبة العلوم الحديثة عن القرآن والسنة والتاريخ الاسلامي ، فعلينا حينما نريد ان نقاوم هذه العوامل ان نبذل جهود مكثفه .

ان مطالبة الطلبة اليوم لكتاب ديني ، ثم لكتاب علمي ، ثم اختمار الفكرتين في اذهانهم وتحولها الى فكرة واحدة ، لهو جهاد عظيم . ان تقدم الاسلام وانتصاره

يحتاج اليوم الى اولئك العلماء الذين مدادهم افضل من دماء الشهداء ، وهم العلماء الذين يرسمون بمدادهم حلولا لمشاكل الامة بصورة جذرية وناجحة .

ان الامة الاسلامية الآن في حالة انفصام ، وفي حالة تفتت ذاتي ، فالمهندس لا يعرف من دينه الا كلمات قشرية ، وكأن الدين لا يرتبط بالهندسة ، والطبيب يفكر بأن علمه بعيد عن الدين ، وعالم الدين في بعض المناطق يزعم بأنه بعيد عن السياسة والطب والهندسة وهذه هي المأساة. وان من المستحيل لأمتنا ان تتقدم دون القضاء على هذه المأساة . هذه كلمة قالها " هاملتون " قبل خمسين عاما ، وأكد عليها كل المفكرين المنصفين من الغربيين حيث قالوا بأن حضارة الأمة لاسلامية لا تتحقق الا على يد علماء الدين . وهذه الكلمة يؤكدها " توينبي " ايضا في كتابه " المختصر لدراسة التاريخ " بالاضافة الى ان تلك الفكرة قد اثبتتها كذلك تجارب عصرنا التي مرت بنا الى الآن .

اولئك الذين ارادوا تحديث بلادنا كان مصيرهم ما رأيناه في مصر ، وفي تركيا ، وفي ايران الشاه ، ففي ايران العهد البائد ، وبعد الثورة البيضاء التي اعلنها الشاه المقبور ، كانت الزراعة الايرانية تنتج للشعب سبعمائة الف طن فقط من القمح سنويا ، والان وبعد كل المآسي وكل الافساد الذي سببه ما سموه بالاصلاح الزراعي ، وكل التدمير المنظم لزراعة ايران ، فان انتاج القمح قد بلغ وبعد أقل من ثلاث سنوات على الثورة حوالي خمسة ملايين وخمسمائة الف طن سنويا ، انظروا .. الى هذا الفرق ان هذه هي الحضارة الحقة.

الحضارة هي أن يقود المجتمع عالم الدين الملم بالسياسة ، لا رجل ينكر السياسة ، ولا رجل سياسة لايعترف

بالدين . الحضارة هي ما يقوم به الثوار الايرانيون الآن لقد ترجم في ايران من الكتب العلمية وخلال سنة واحدة اكثر مما ترجم في عهد الشاه ، لقد ترجم حوالي ثلاثة آلاف كتاب علمي في هذه السنة التي سميت بسنة الثورة الثقافية .

لقد حاول الشاه والانظمة العميلة في هذه البلاد ان يكرّسوا تخلفنا ، ويكتفوا بترديد الشعارات وان يرسلوا أولادنا الى الغرب والشرق لا ليتعلموا العلم ، وانما ليبحثوا عن كل رذيلة هناك ، ويأتوا بها هدية الى بلادنا .

نحن حينما نقول الثورة الثقافية ، فلا نعني فقط ان نحصل على معلومات حديثة مضافة الى المعلومات الدينية او العكس . كلا ، وانما نريد ايجاد بنية جديدة وكيان جديد لثقافة العصر انه كيان يعتمد في أرضيته على قيم الاسلام والرسالة ، وينمو من أجل المستضعفين ، ومن أجل الفقراء الذين سحقهم الاستبداد والاستغلال .

نحن نريد ان نربي دكتورا في الطب ، هو في نفس الوقت ناصح ديني ، وناصح اخلاقي ، ومربّ لمرضاه . ولا نريد ان يصبح الطب اداة بيد المستغلين ، ونريد ان يصبح الطب قضية انسانية بيد الاطباء ، وهكذا في الهندسة ، وعلم التاريخ والجغرافيا ، وعلم السياسة وسائر العلوم الانسانية والطبيعية ، وسنثبت للعالم ذلك قريبا باذن الله .

ولقد فهم بريجنسكي .. مستشار الرئيس السابق كارتر للأمن القومي ، القضية ايضا حينما قال : انه بعث اسلامي أصيل ، ذلك الذي يجري في ايران .

نعم انه بعث اسلامي .. انها روح جديدة ولدت في هذه المنطقة ، وهذه الروح من أهم وابرز ابعادها هي ربط العلم بالدين والقضاء على تلك اللعنة التاريخية التي جرت في فرنسا ابان الثورة العلمية أبعدوا العلم عن الدين ، وسببوا هذه المآسي للبشرية .

نحن اذ نريد القضاء على هذه اللعنة التاريخية ، اعادة تعاون الدين والعلم لبناء الحياة الفاضلة .

وهذا لا يتم الا بجهود العلماء السياسيين والامة لا تخرج عن طبيعتها لمجرد أن ديكتاتورا يريد ذلك فهذا شيء مستحيل بل أن الامة تبقى على أصالتها وتظل محتفظة بقيمها ، وترى في هذا الشيء الذي يسمونه بالعنصرية ، والتكنولوجيا والتقدم تناقضا مع أصالتها وقيمها ، وبالتالي ترى فيه عدوا لدودا تجابهه وتبقى الامة وتفشل التجربة .
اما حينما يأمر الامام الخميني (حفظه الله) مثلا بضرورة بناء الطائرات في ايران وبنا القاعدة المتينة للاقتصاد والصناعة الثقيلة في بلادنا ، فان الأمر يختلف فالعامل في المصنع يعلم بأن الذي يأمره بذلك لا يريد أن يسلب دينه وقيمه وارتباطاته وعلاقاته وجذوره . انه يرى الذي يأمره بهذا يعطيه أيضا فرصة للصيام في شهر رمضان وان الذي يأمره أن يصبح أعلى العلماء في الفيزياء والهندسة وما أشبه يأمره ايضا أن يلتزم بالصدق والوفاء وأن يرتبط بأمه وأبيه ومجتمعه . انه لا يريد أن يفصله عن جذوره ، لذلك فهو يندفع في مجال العلوم التكنولوجية .

وهذا هو الذي يدعونا الى أن نؤكد على أن مايجرى في ايران ليس قضية تبديل نظام بنظام كما يزعم البعض وانما هو انبعاث جديد في العالم الاسلامي . وفوران في القيم الأصيلة ، تلك القيم التي ظلت حتى الآن محتفظة

بنقائها فلقد تفجرت ينابيع أمتنا تلك التي لم تستطع الحروب الصليبية والاجتياح التتري والاستعمار الغربي ان يقضي عليها ومعنى تفجرها هو انها قاومت في الفترة الماضية تلك الضغوط الخارجية ، والآن بدأت مرحلة الظهور والتحدي .

ان الذي يجري في ايران اليوم هو رد فعل قوي لكل انتكاسات الأمة . فلا يمكن القضاء على هذه الثورة بسهولة .

وهكذا لم يكن تحرك الشعب من أجل طرد الشاه واقامة نظام بديل عنه ، وأنا شخصيا اعتقد جازما بأن محاولات ريغان وبيغن وأذنابهما سوف تفشل باذن الله ، لأن القضية أعمق مما يتصورون .

ان الثورة هي حل جذري لاشكالية الأمة التي كانت تعيش أزمة حضارية .. فهي من جهة تنتمي الى ماض مشرق مجيد ، والى قيم أصيلة ، ونظرات سماوية ، ورسالة عالمية ، ومن جهة ثانية تريد اللحاق بالعصر . هذه هي الازمة الحضارية قد انحلت هنا في ايران ، على يد رجل تجسدت فيه صفات أصحاب النبي (ص) واستوعب بنفس النسبة متغيرات العصر وقوانينه ، وقاد الثورة السياسية ، في منطقة تتشابك فيها العلاقات الدولية التي عجزت العقول الالكترونية الشرقية والغربية عن تقييم الوضع فيها .

في هذه المنطقة بالذات جاء الامام وقاد الثورة السياسية ، ولم يمكنه أن يفعل ذلك الا بعد أن استوعب طبيعة الأوضاع والعلاقات الدولية ومتغيرات العصر والقوى الفاعلة بالاضافة الى العلوم الدينية .. فمن جهة أخرى يفتي في قضية صلاة المسافر ، فهو ينتمي الى اصالة الماضي كما ينتمي الى عصره وأرضه ومجتمعه انتماء حقيقيا

واقعيا . جاء واستطاع بهذه التكاملية أن يفجر هذه الثورة بطريقة جديدة ويقول .. لا شرقية ، ولا غربية ، ثورة اسلامية .

هذه ليست مما يمكن للشرق أو الغرب ، ان ينالوا منها ، وهي ليست بمستواهم ، بل انها اصلا ليست في مجال تفكيرهم .

كيف تتجسد المواصفات القيادية في واقع الأمة

كيف تكون القيادة الفعلية للمجتمع الاسلامي في الوقت الراهن ؟

ومن هو الفرد الصالح أو الأفراد الصالحون لهذه القيادة اليوم ؟

علما بأن للقيادة الرشيدة حصة الأسد في توجيه المجتمع ، حيث انها القادرة على تعبئة طاقات المجتمع ، وتوجيههم الى الخير والفضيلة ، ومن هنا تأتي أهمية هذا السؤال في ظروفنا الراهنة .

ما هو المطلوب من القيادة ؟

ولنعرف قبل الاجابة عن هذا السؤال أن المطلوب من القيادة في ظروفنا الراهنة أمران :

الأول :

تعبئة طاقات المجتمع وتوجيهها في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية ، وتوفير الرفاه والحرية ، وبالتالي ادارة المجتمع وتوزيع أدوار الأفراد فيه ، وتوزيع الامكانات عليهم بعدالة .

الثاني :

ازالة اسباب العجز والتخلف لبعث روح الأمل والنشاط في الأمة وتخطيط البرامج التنموية لهذا المجتمع .

فلا يمكن في مجتمعاتنا الحاضرة ان تكتفي بقيادة تدير المجتمع بامكاناته الحالية بل لابد ان نضيف اليها امكانات جديدة لا تأتي الا بتفجير طاقات الأمة ، ويبدو ان هذه الصفة ليست خاصة بالبلاد النامية ، فحتى البلاد المتقدمة قد وقعت اليوم في سباق عنيف للمحافظة على مراكزها أمام المنافسة الحادة بين بعضها و البعض الاخر، فقيادة تلك المجتمعات أيضا يجب ان تكون قادرة على المحافظة على مراكز مجتمعاتها المتقدمة ومحاولة الاسراع في نموها وتقدمها بحيث تستطيع أن تسبق المنافسين اليها .

فالقيادة المطلوبة حاليا لأمتنا الاسلامية ولمجتمعاتنا الرسالية ليست قيادة تضمن استقامة المجتمع فقط ، بل يجب ان تكون قيادة تضمن بالاضافة الى ذلك تقدم المجتمع وقوته .

فما هي تلك القيادة ؟

ومن يمثلها في بلادنا ؟

من أجل استقامة المجتمع و المحافظة على ذلك ، نحن بحاجة الى قيادة ذات تقوى ، فمن دون التقوى ، ومن دون تجسيد القيادة للمثل السماوية العليا ، وقدرتها على الصمود أمام الشهوة ، ومعاكسة مراكز القوى الداخلية وتهديدات القوى الكبرى الخارجية ، تذوب هذه القيادة في التيارات الداخلية الفاسدة و المنافقة ، والتيارات الخارجية الطامعة والكافرة ، وتصبح كالقيادات الفاشلة القائمة حاليا في بلادنا .

انني شخصيا أعتقد بأن القيادات السياسية الموجودة في البلاد الاسلامية ليست كلها فاسدة منذ نشوئها أو حتى وصولها الى الحكم . فكثير منها تسعى لتصل الى الحكم

من أجل تحقيق اصلاحات ، ومن أجل انجاز طموحات الجماهير ولكنها حينما تصل الى الحكم وتستلم مقاليد البلاد ، فانها تقع في زوبعة رهيبة من الضغوط المختلفة الآتية من الداخل من قبل مراكز القوى المنافسة (أو ما يسمى بجماعات الضغط الداخلية حسب التعبير السياسي) وكذلك بسبب الضغوط الخارجية الى أن يستسلم القائد للضغوط والسبب في عدم قدرة هذه القيادات على مقاومة تلك الضغوط واستسلامها لكثير من المؤمرات الداخلية والخارجية وبالتالي انهيارها وتحولها الى تابع يدور في فلك الآخرين ، يعود الى عدم رسوخها في التقوى وعدم ايمانها الكامل بالله ، وعدم توكلها الكافي بقوة الحق والفضلية !

ان الذين جاءوا وحكموا ايران من بداية انتصار الثورة الاسلامية ، وحتى اسقاط الرئيس السابق ، لم يكونوا كلهم من الذين بايعوا المنافقين داخليا ولا من الذين استسلموا للمستعمرين في الخارج ، لقد كان كثير منهم مناضلين عاشوا في السجون ، أو لجأوا الى المهاجر ، وكانوا يريدون أن يحققوا شيئا لبلدهم ، وكثير منهم كانوا وما يزالون من المصلين القائمين ، ولكن الشيء الذي حدث وجعل هؤلاء يستسلمون للضغوط وينهارون أمام التحديات ، هو أن توكلهم على الله لم يكن كافيا ، وتمسكهم بالمبادىء الاسلامية ، وحبهم وولهم لهذه المبادىء لم تكن بنيته تمكنهم من مواجهة مشكلات الحكم .

ان كثيرا من الذين كانوا يحكمون ايران كانوا مؤمنين ويصلون ، فهؤلاء كانوا منظرين اسلاميين ، وكتبهم لاتزال موجودة ، وانما كان توكلهم على الله ضعيفا ، وحينما يكون التوكل على الله ضعيفا ، فان الضغوط

الاقتصادية والحشود العسكرية ، والخلافات العراقية والسياسية ، والاعلام المعادي والمكثف ... الخ من المشاكل يجعل الشخص ينهار ويفكر انه لو كان من أجل الدفاع عن ايران ومصالحها ، لذا يجب تقديم بعض التنازلات للشرق والغرب ، لماذا ؟

لان ايمانه لم يصل الى مستوى ايمان الامام الذي قال وبكل صراحة ، ان الشيطان الأكبر أمريكا لن تستطيع أن تفعل شيئا في ايران ، قال ذلك يوم كان العالم كله ينتظر انزالا أمريكيا في الأراضي الايرانية .

لذلك فان الاسلام ، ومن أجل المحافظة على استقامة الأمة على الطريقة ، يأمر بأن يكون قائد هذه الأمة مثالا للتقوى والتوكل والزهد في الدنيا ليتمكن من الابقاء على أصالة الأمة واستقلالها وخطها في الحياة ، ولكن ذلك لا يكفي ، وانما يأمر الاسلام بجانب آخر ايضا وذلك هو تحقيق العلم .

ان القفزة التي حصلت في مجال الزراعة بعد نجاح الثورة الاسلامية تعكس جانبا من هذه الروح في ايران حيث قفزت الزراعة الى عدة مئات في المائة بعد الثورة . وحتى لو احتلوا ايران وسيطروا عليها بقوة عسكرية مثلا، فان هذه الروح لا تموت .

ان الاشكالات التي اصبحت في طريقها الى الحل في هذا البلد ، والأسباب لا مجال لذكرها الآن ،وقد أفادت العالم الاسلامي كله فقد عرف كيف يمكن أن يتجاوز الفجوة الحضارية ، متحديا ضغوط القوى الاقتصادية والسياسية المعادية .

وهذا هو الذي يدعونا الى التفكير الجدّي في ان تعطى قيادة المجتمعات الاسلامية الى من يحمل هذين

النوعين من العلوم ، وتجري عملية تكامل بينهما في مخه وفي قلبه . يعني ليس فقط أن يعرف كُتابا في الفقه ، وكتابا في الفيزياء ، لا .. وانما اذا عرف الفقه فلابد أن يعرفه اجتهادا واستنباطا ونقلا . واذا عرف السياسة الحديثة والاقتصاد أو العلاقات الدولية فلا يعرف فقط ألفاظهم ويكون مقلدا لهم ، وانما يعرف حقيقة الاشكال وجوهر العلوم العصرية حتى يستطيع أن يربط بين تعاليم الشريعة الالهية وبين العلوم الطبيعية الوضعية ، ويقود الأمة الى شاطيء الرفاه والتقدم باذن الله .

وهذا ما نأمله أن تكون المسيرة المباركة التي ابتدأت في ايران لا تقتصر على هذا البلد ، وانما تشمل كافة البلاد الاسلامية باذن الله عز وجل .

فاعلية المجتمع الاسلامي

١ـ العلاقة بين الجماهيرو الطليعة الرسالية.

٢ـ الحرية بين مسؤولية الامة و الطلائع.

٣ـ التطهير الذاتي.

٤ـ الصراع في المجتمع الاسلامي.

٥ـ فاعلية المجتمع الاسلامي.



العلاقة بين الجماهير والطليعة الرسالية

القيادة في المجتمع الاسلامي .

في المجتمع الاسلامي طليعة قيادية تستلهم من التقوى اطارا ، ومن العلم قيمة ، ومن الصلاح عملا ، وتقود البشرية نحو أهدافها التي تتلخص في الرحمة والرفاه في الدنيا ، والرضوان والفلاح عند الله سبحانه وتعالى .

بيد أن جميع أبناء المجتمع الاسلامي لا يمكن أن يكونوا من تلك الطليعة القيادية ذات العلاقات الرسالية . فضمن اطار المجتمع الأسلاميّ العام هناك مجموعات رسالية مؤمنة ملتزمة بكل البرامج السماوية ، ومجموعة أخرى قد تكون الأغلبية الساحقة من أبناء المجتمع ، أناس عاديون يخضعون لأي نظام يسودهم .

وهنا يطرح السؤال التالي :

ما هي العلاقة بين التجمع الايماني الرسالي الخالص الذي يقوم على أساس الحب في الله والبغض في الله وعلى قاعدة تطبيق المناهج الاسلامية .. وبين سائر الناس المتواجدين ضمن الدولة الاسلامية ؟

الحكم الاسلامي بين الأستبداد والديمقراطية .

قبل أن نبين هذه العلاقة لابد أن نذكر ملاحظتين :

الملاحظة الاولى :

مبرر طرح هذا الموضوع جاء على أساس أن هناك

تناقضا واختلافا في الآراء حول طبيعة الحكم والقيادة الاسلامية ، تتراوح بين من يذهب الى أن نظام الاسلام نظام ديكتاتوري استبدادي عادل . وبين من يقول ان نظام الاسلام نظام ديمقراطي ، يشبه الى حد بعيد الديمقراطيات الغربية ، وهذا التناقض يبدو واضحا في كتابات الذين ألفوا عن النظام السياسي للاسلام فهم بين أقصى اليمين وأقصى اليسار . كما انه توضح التناقض أكثر بعد تجربة الحكومة الاسلامية في ايران ، واختلاف الرؤى والأنظار والنظريات حول الحكم الاسلامي .

الذي كان يتابع مثلا جلسات مجلس الخبراء الذي شكل بعد انتصار الثورة الاسلامية لوضع الدستور الاسلامي وكان يضم كبار المنظّرين والمفكرين الاسلاميين في ايران بمختلف اتجاهاتهم كان يلاحظ بوضوح مدى الاختلاف في الاطروحات التي قدّمت . فهناك من طرح مشروع الدستور المتأثر بالديمقراطية الغربية الذي لم يصوت عليه ، بينما كان الأغلب يؤيدون مشروع الدستور الأقرب الى النظام الثوري الموّجه وهناك من كان يقول هذا الدستور لا يكفي ، وانما يجب أن يكون الدستور الاسلامي أقرب الى النصوص القرآنية . وهناك من كان ينادي بأن رئيس الجمهورية في هذا النظام الذي ينتخب من قبل الأغلبية الساحقة من الشعب ، هو القائد العام للقوات المسلحة وهو الذي يعين رئيس القضاء ، ويعين المدعي العام ، ويجب أن تكون كل الامور بيده .. أما المرجع الديني الأعلى أي الامام القائد ، فيجب أن يكون معزولا ، يراقب الامور من بعيد ، ويعطي بين فترة وأخرى توصيات ومواعظ ، شأنه شأن البابا في الفاتيكان ، وهذا هو الذي أيدّه الرئيس السابق الساقط بني صدر ، ودافع عنه في مجلس الخبراء بقوة .

كما أن هناك من كان يقول بأننا لا نحتاج الى رئيس جمهورية ، ولا مجلس ، ويكفينا وجود الامام ، وهو الذي يعين المجلس التنفيذي لادارة الدولة !!

انظروا .. الى هذه الرؤى المتباعدة بالنسبة الى الاسلام . لذا فان هذا الموضوع حساس ، ويجب أن نطرح هذا السؤال ، ونحاول الاجابة عليه بتوضيح كاف ، ففي ايران واقع معين اذ الاغلبية في ايران أناس مخلصون صادقون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويطيعون الامام قربة الى الله سبحانه باعتباره وليّ أمرهم ، وحجة الله عليهم .

ولكن هناك آخرون لا يؤمنون بهذا ، فما هو حكمهم ، وما هو الموقف تجاههم ؟ ولو انعكست الآية ، وكانت هناك أقلية مؤمنة مخلصة وصالحة ، وكانت الاغلبية لا مبالية ساكتة لا تهتم بما يجري حولها ، وليس لها حضور في الساحة . فكيف يجب أن يكون موقف الاقلية المؤمنة ؟ هذا السؤال مطروح بشدة في الواقع السياسي سواء كان أيدلوجيا أو سياسيا .

الملاحظة الثانية .

الناس جسم يبحث عن رأس .

ان الناس على ثلاثة أصناف :

ألف : مؤمن صالح .

باء : ومنافق فاسد .

جيم : وهمج رعاع .

فالمؤمن الصالح أمره معروف ، والمنافق الفاسد عاقبته معروفة والموقف منه معروف . أما هؤلاء الذين بين الأمرين ،

فمن هم ؟

وما هو هدفهم وتطلعاتهم؟

اجابة عن هذا السؤال أذكركم بكلمة نقلتها من المؤرخ المعروف " أرنولد توينبي " قبل أيام حيث يرى بأن المجتمع البشري أشبه ما يكون بالجسم البشري فكما أن جسم الانسان فيه أعضاء موجّهة ، وفيه أعضاء أخرى تتلقى التوجيهات ، كذلك المجتمع البشري فيه أقلية مبدعة خلاقة توجه ، وأكثرية عاملة فاعلة تتوجه .

وهذه الحقيقة موجودة في الساحة البشرية كلها ، فهل تتصورون أن الذين ينتخبون الرئيس الأمريكي مثلا كلهم يعرفونه ؟ أو أن الذين ينقادون للحكومة في الاتحاد السوفياتي ، كلهم يعرفون ما هي القضايا السياسية ، والاجتماعية وغيرها ؟ طبعا لا ، وانما أكثرهم مقلدون .
انهم قد يثقون بصحيفة وبخطها السياسي ، أو بحزب وخطه الفكري ، أو قد يثقون بشخص وبفكره وتوجهه ، فيقلدونه ويتبعون كلامه على درجات مختلفة في التقليد ، الا أن التقليد كجوهر موجود عند البشرية جمعاء وحتى اشعار آخر ، الى حين تصبح البشرية كلها عالمة ، وعارفة ، ومحيطة فهما بكل أبعاد الحياة ، فآنئذ يصبح كل انسان مجتهدا ، أي مبدعا مفكرا منظرا .

ولكن الى أن تحدث هذه المعجزة الحضارية في العالم فستبقى البشرية منقسمة على نفسها الى قسمين : قسم تابع ، وقسم آخر متبوع ، والأكثرية هم التابعون .

ومن ناحية أخرى ، نجد غالبية الناس لا يريدون من حكومتهم الا ان توفر قدرا معقولا من الأمن والرفاه ، فهم يقنعون بالعفاف والكفاف ، حتى أن

الثوريين حينما يقولون للناس بأن وضعهم شاذ و استثنائي وغير مرض فانهم يتعجبون ، وربما لا يصدقونهم •

فهناك حالتان عند الانسان :

حالة التمرد و القلق و الثورة ، و السعي الدائم من أجل المزيد من التقدم و الرفاه •

حالة الرضى و القناعة ، و السكوت ، و الأكل و الشرب ولا شأن له فيما وراء ذلك •

و الحالة الثانية هي الموجوده عند أغلب الناس وخصوصا أولئك الذين يتمتعون بقدر ضئيل من العلم و الوعي ، يرضون بالكفاف و العفاف ، ويطالبون بحكومة توفر لهم أدنى قدر من احتياجاتهم الضرورية **﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾** فالبعد المادي الدنيوي لهذه الآية الكريمة يكفيهم ، أي ألا يكون هناك خوف محيط بهم ، ولا جوع يقض مضاجعهم ، وحينما يصلون الى هذا المستوى من الأمن و الشبع فهو حسبهم •

الا أنه في الواقع الاجتماعي هناك احساس غريب عند البشر لا يعرفون طبيعته ولكنهم يحنون حنانا الى أن تكون الحكومة القائمة في بلدهم و الحاكمة عليهم عادلة توفر لهم اكبر قدر من العدالة ، وأعلى مستوى من الرفاه ، هذا الاحساس موجود في فطرة البشر ، ولكنه ليس احساسا عنيفا ، و انما هو عادة احساس هادئ • ان كل انسان يطمح في أن يحصل على بيت أوسع ودابة أسرع أو سيارة أرفه ، وعلى أكبر قدر من متاع الدنيا وأقصى حد من العدالة و الحرية فهو يحن الى تحقيق مثل هذه الأمور ، ولكن لا أكثر من ذلك بأن يصبح هذا الحنان وذلك الاحساس الغريب ثورة عنيفة موجهه لتحقيق هذه المطالب ، فهذا لا يحدث الا في ظروف خاصة استثنائية •

اذا تبيّنت هاتان الملاحظتان ، بقي ان نجيب عن سؤالنا الأول ، وهو :

ما هي العلاقة بين الفئة الصالحة - أي التجمع الرسالي الخالص الذي يؤمن بالاسلام دينا وقيما ، ويطبق العلاقات الرسالية فيما بينه تطبيقا كاملا - وبين الآخرين الذين يتعايشون معها في دولة واحدة ، وضمن حدود مشتركة .

العلاقة هي التي قال عنها ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم :

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾

(١٠٥/الانبياء)

الصلاح الذي تشير اليه الآية الكريمة ، هو محور نظرية الاسلام في الحياة . فكما أن محور النظرية الماركسية هو شيوع الملكية ، ومحور النظرية الداروينية هو أن البقاء للأقوى ، كذلك محور النظرية الاسلامية هو أن العاقبة للأصلح ، وأن الحق هو الذي يبقى وليس الباطل . لأن قوة الباطل مهما كانت كبيرة فانها لا تناهض قوة الحق وان كانت بادي الرأي صغيرة .

ماذا يعني الصلاح .

الصلاح لا يعني مجرد تبلور نظرية صحيحة متكاملة في ذهن الانسان ، فوجود نظرية صحيحة في ذهنك لا يعني أنك صالح ، بل يعني أنك تحتوي على جزء من الصلاح . ولكن الصلاح هو في النظرية والعمل معا .

فالانسان الذي يعرف القرآن الحكيم والسنة الطاهرة ولكنه لا يعرف عصره ، ولا يستطيع أن يقود مجتمعه الى الرفاه لنقص فى ادارته ، وضعف في رؤيته ، وقلة في

عقله وعلمه ، هذا الانسان لا يسمى صالحا . فالصلاح يجب أن يكون شاملا لجميع أبعاد الحياة . والفئة الصالحة هي التي تستطيع أن تقيم نظاما عادلا ، وتحقق للناس ما يتطلعون اليه في الحياة . فتوفر لهم فرص العمل وتقوم بتلبية احتياجاتهم المادية والروحية ، فيجدوا حلاوة جنة الدنيا قبل جنة الآخرة . وهذه الفئة الصالحة ترث الأرض طبيعيا فهذه سنة الحياة ، وهذا هو منطق التاريخ شئنا أم أبينا .

ونحن كمسلمين نمتلك نظرية صحيحة ومنهجا متكاملا منّ الله به علينا يوم أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ، والمفروض أن نسبق الأمم الأخرى ونتقدم لوراثة الأرض . ولكننا في واقع الأمر متخلفون عن ركب الحضارة كثيرا . ونجد أن أمة كالأمة اليابانية - والتي التزمت بجزء يسير من المنهج الصحيح الذي نعتقد به ، وهو الاهتمام بالعلوم التطبيقية ، والنشاط الدائب لتسخير الطبيعة لخدمة الانسان - تنطلق كالصاروخ في مجال التقدم العلمي . فلقد سمعنا في الأخبار أن اليابانيين قد توصلوا الى اختراع مادة شبيهة بالدم ، كما كنت قد قرأت في كتاب:أن اليابان تستخدم حتى الآن (٤٧٫٠٠٠) انسان آلي من أصل (٦٠٫٠٠٠) جهاز يستخدم في العالم . ولذلك أصبحت مصانعهم الآن تنتمي الى عصر الثورة الثالثة ، عصر الالكترون . ولقد أثبتوا أنهم أصلح من غيرهم في هذا المجال ، لأنهم نقلوا النظرية الصحيحة الى ميدان التطبيق السليم .

ونحن الذين نمتاز بنظرية أكمل وأشمل من نظريتهم ، فهل بمجرد هذه النظرية نتمكن أن نسبقهم ونرث الأرض ؟ كلا ، وانما الذي يرث الأرض تلك الفئة الصالحة التي تطبق التقدم العلمي وتجسد الآية الكريمة :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾
(١١/ المجادلة)

كما تلتزم بالحق وتجسد الاية التي تقول :

﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﴾ (٨١/الاسراء)

فتجمع في ذاتها بين صلاح العلم وصلاح الايمان الذي يدفع الى العمل الجاد المثمر .

وأستطرد بكلمة صغيرة هنا أوجهها الى الثوريين في العالم وأقول لهم ، ليست الثورية بكثرة الشعارات ، أو بزيادة الكتابات والدراسات . الثورية هي أن تعطي بديلا أفضل ، وأن تكون أنت أفضل من غيرك .. في عملك وعلاقاتك وخططك . أما أن تكتب مجموعة خطط ، وتستدل عليها بمجموعة أدلة وشواهد لا يعرف الناس مدى صحتها أو بطلانها ، فهذا لا يكفي والناس سوف لا يسمعون كلامك لأنهم رأوا أن كل فئة وكل حزب جاء اليهم ، بسط لهم أسفارا من الدراسات والنظريات والشواهد والأدلة ، والأمثلة التاريخية التي تثبت صحة نظريته . وكل يدّعي وصلا بليلى ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ولقد انخدعت البشرية فترة من الزمن بتلك الأحزاب والنظريات فيوما كانت البشرية تلهث وراء النظرية الرأسمالية ، وكانت هذه تدعي بأن عصرا ذهبيا ينتظر العالم ، ولكن ذلك لم يحدث أبدا . وكذلك في يوم لهثت البشرية وراء الماركسية ، وكانت الماركسية سرابا . فلا يكفي أن تدعي ، بل يجب أن تبني من نفسك وممن حولك التجمع الصالح الأصلح وآنئذ تأتي اليك البشرية طواعية وتعطيك مقاليد حكمها .

في مجتمعنا نحن نرى أناسا صالحين مصلحين ، كما نرى الى جانبهم مجموعة من المنافقين المفسدين .
فأولا وقبل كل شيء ، من الناحية العقلية و الفطرية والوجدانية للانسان ، الصالحون هم الحكام الشرعيون لهذا المجتمع ، لأنهم يقودونه الى الخير والرفاه والسعادة . ثانيا حتى من الناحية الاجتماعية ، فهل ترغب المجموعة البشرية المتواجدة ضمن هذه الدولة ، في حكومة مجموعة من الفسقة والفجرة ، أم ترغب في حكم مجموعة يعملون لله ويعبدون أفضل من غيرهم ادارة واكثر علما ؟

وحتى لو لم تكن القضية واضحة أمامهم ، فانهم بعد عمل بسيط في مجال التوعية والاعلام ، سيفهمون الحقيقة ، وسيتحركون وراء الصالحين . نعم ستبقى تلك المجموعة الفاسقة الفاجرة التي ترغب في استثمار الناس واستغلالهم . أو تلك المجموعة المنحرفة التي لم تعرف الحقيقة وضللتها الفئات الفاسدة معارضة لحكومة الصالحين . ولكن هذه المعارضة ليست بالشيء الخطير لأنها معارضة تقوم بها الأقلية . أما الأكثرية فستقتنع بحكومة الصالحين .

وكمثل على ذلك ما رأيتموه في ايران ، فالذين كانوا ضد النظام الاسلامي من بداية الثورة والى الآن ، هؤلاء على أعلى الفروض لا تتجاوز نسبتهم ٢٠/ في المائة من الشعب الايراني . وهذه النسبة تجمع خليطا من الذين تثقفوا خلال خمسين عاما بالثقافة الغربية ، ومن الذين ارتبطت مصالحهم بالمصالح الاستعمارية ، ومن الذين طردوا من الدوائر أو تضرروا بسبب ظروف الثورة ، والتغييرات التي أعقبت الانتصار ، وغيرهم من الذين ضللتهم الدعايات الأجنبية ، والذين خدعتهم الأحزاب

والمنظمات .. هؤلاء هم الذين يعارضون النظام ، ويلتفون يوما حول بختيار ، وحينما يسقط هذا الصنم يلتفون حول أحمد مدني ، وحول بعض الأحزاب ثم يلتفون حول بني صدر ويحاولون احتواءه ، وحينما يسقط هذا ، يقومون بعمليات مسلحة ضد النظام ويعلنون الثورة بمفهومهم . ويمكن ملاحظة أن عددهم في تناقص لأن قسما منهم كانوا مضللين فاهتدوا بسبب التطورات التي حدثت في الساحة .

ولكن الأغلبية الساحقة من الناس هؤلاء الذين وجدناهم قد انتخبوا بني صدر حينما ظنوا بأنه مقلد للامام ، وأنه يقبل بكل ما جاء في الدستور ، ومن ذلك اطاعته للامام – قد خرجوا الى الشوارع حينما اكتشفوا أنه أخذ ينحرف بسبب الضغوط الخارجية ، أو بسبب الذين كانوا حوله . ثم بعد ذلك حينما أسقطوه كانوا هم الذين اشتركوا في ذلك التشييع المهيب لقادة الثورة الذين اغتالتهم أيدي العملاء ، فلقد خرج في طهران وحدها ثلاثة ملايين انسان تقريبا ، بينما بلغ مجموع الذين خرجوا في جميع أنحاء ايران أكثر من عشرة ملايين .

ثم بالرغم من كل ما قالته الصحف والاذاعات الأجنبية ، وبرغم الأعمال الانتحارية التي قامت بها المنظمات المتظاهرة باليسارية كمجاهدين خلق ومن أشبه ، فهم الذين تدافعوا الى صناديق الاقتراح ، وأدلى حوالي خمسة عشر مليون شخص بأصواتهم في الانتخابات ، وحسب المقابلات التي أجرتها معهم الاذاعة والتلفزيون على صناديق الاقتراح ، كانوا يقولون هذه الكلمة .. نحن أعطينا رأينا لبني صدر ولكنه آلم قلب الامام ، ونرجو أن يقوم رجائي بأدخال السرور على قلبه فهم لا يقلدون الامام ويتبعونه لأنه ابن فلان ، وانما لأنه يمثل الاسلام .

فالناس عامة مؤمنون ، وهم يرون الفئات الصالحة أفضل من الفئات الفاسقة ، وأن هناك فرقا بيّنا بين النظام الشاهنشاهي السابق الذي تحاول بعض الفئات اعادته الى ايران ، وبين النظام الاسلامي القائم ، ولقد سمعت تقريرا أن مائة ألف انسان يعملون الآن في مؤسسة جهاد البناء ، فحينما يرى القرويون أن هؤلاء يخدمونهم ويعملون من أجلهم ، فلماذا لا يريدونهم ؟

وبكلمة أن العلاقة بين الفئة الصالحة والجماهير علاقة ايجابية ، والجماهير حينما تعرف الفئة الصالحة المؤمنة التي تخلص العمل والتي تكون صالحة في الدين والدنيا فهي تتبع هذه الفئة ، لان الاكثرية الساحقة من الجماهير لا تطلب من الحكومة الا أدنى قدر من الأمن والرفاه وفي حالات معينة قد تطالب بأكثر ما يمكن من الرفاه والعدالة ، والفئة الصالحة توفر ذلك في حال الامكان والقدرة .

أما العلاقة بين الفئة الصالحة والفئة الفاسقة فهي علاقة الحرب ، والتصفية المتبادلة .. فلا الفئة المنافقة ترضى بحكومة الصالحين ولا الفئة الصالحة يجب أن تسمح للفئة المنافقة بأن تعود الى الحكم وتسحق الجماهير . هذا الخلاف قائم بين الطرفين ، والحرية منعدمة والديكتاتورية موجودة في مثل هذه المواجهة . وحينما يقول البعض ان الاسلام نظام استبدادي عادل فهذا هو معناه : ان العلاقة بين النظام الاسلامي وبين المجموعات الفاسقة الفاجرة التي تسمى في القرآن الحكيم بأئمة الكفر هي علاقة الحرب التي لا هوادة فيها أبدا .

واذا رأيتم نوعا من الضغط ، أو القيام بأعمال عنيفة في الدولة الاسلامية ، فانما هي موجهة الى هذه الفئة المفسدة فقط . كما ان المسلمين انما كانوا

يستخدمون القوة لاسقاط الاصنام والطواغيت وتحرير الانسان ليختار الناس الحكومة الصالحة بحريتهم وارادتهم • وفي تلك الحالة لا يختارون الا حكزمة الاسلام ، وهي تلك الفئة الصالحة التي وعد الله أن يورثها الأرض •

ومن هنا نحن نعتقد اعتقادا جازما بأن القيادة في المجتمع الاسلامي ، يختارها المنتمون الى التجمع الرسالي اختيارا حرا • ولكن هذا الاختيار بعد أن يتم ، وبعد أن تنمو داخل التجمع الرسالي تلك القيادة الصالحة ، فانها ستقود المجتمع والدولة ككل قيادة مفروضة على الناس ، لأن الأغلبية آنئذ سترضى بحكومة الصالحين ، وستحارب تلك القيادة سائر الفئات الأخرى التي تنافسها على الحكم •

فالقيادة الاسلامية ضمن التجمع الرسالي ، قيادة تتسم بالاختيار الحر وفق المقاييس الاسلامية • وأما ضمن الجماهير وعامة الناس فهي قيادة سماوية مفروضة بأمر الله ، ولصلاح الناس • أما علاقة هذه القيادة مع تلك الفئات التي تريد ان تسرق قيادة الجماهير من الفئة الصالحة فهي علاقة الحرب التي لا هوادة فيها ولا مداهنة •

هذه هي خلاصة النظرية التي أرى أنها النظرية الاسلامية المتكاملة في شأن الحكومة •

الحرية بين مسؤولية الأمة والطلائع

ما هي علاقة النظام الاسلامي بالحرية خصوصا الحرية في انتخاب القائد الأعلى للأمة ؟

الحرية هي من أهم مشاكل الأنظمة في العالم ، وسر هذه المشكلة يكمن في أمرين .

الأمر الاول :

ان هناك نزعة نحو الطغيان والاعتداء والسيطرة عند الانسان بصفة عامة ، وهي أقوى وأعنف وأبقى من أية نزعة أخرى . وهذه النزعة هي التي أخرجت أبانا آدم وزوجته حواء عليهما السلام من الجنة حينما قال ابليس له ولزوجته .

*** هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ***
(طه /١٢٠)

حيث سعى ابليس اللعين لكي يغوي أبانا آدم وزوجته حواء عن طريق اثارة نزعة التملك والسيطرة والتسلط عندهما . فوجود هذه النزعة عند الانسان من أقوى الأخطار التي تهدد حرية الآخرين ، وحرية الفرد تتحدد بحدود حريات الاخرين . أما اذا طغت الحريات الفردية وتعدت حدودها فانها تتحول الى شريعة الغاب .

فالحرية المطلقة للبهائم والسباع في الغابات تتحول الى حرية الاعتداء المتبادل ، وينتهي الأمر الى أن القوي يأكل الضعيف .

وهذه هي الحرية التي نادى بها البعض وقالوا ان الوجود للاقوى . ولكن الحرية في الواقع تتمثل في حفظ حرمة الآخرين . فحريتي تكون حقيقة وواقعيه حين يحترم الاخرين حقوقي ، ويحترمون شخصيتي وكرامتي . لذلك لا يستخدم الاسلام كلمة الحرية الا قليلا وانما يستخدم الجانب الاخر للحرية وهو الحرمة فيقول .. حريم الانسان حريم البيت ، وحرم الله ، وحرمة الاعتداء ، فالحرية تتبدل في مفهوم الاسلام الى الحرمة لان الحرمة هي التي تحافظ على الحرية . وحينما يحافظ الناس على حرمة البيت ، والشارع ، والمدرسة ، والسوق فمعنى ذلك محافظتهم على حرية الافراد ، ولذلك سميت مكة المكرمة حرما آمنا لان حرية الانسان فيه مضمونة ولا يمكن لاحد ان يعتدي على حقوق الاخرين .

فمشكلة الانسان مع الحرية هي نزعة الملك الموجودة عند كل فرد ، والتي تتنافى في حدودها مع نزعة الملك عند الاخرين .

الأمر الثاني :

حيث يستخدم الانسان جريته فان وضعه سيكون انعكاسا لنفسيته ، وثقافته ومستواه الحضاري ، وقد يكون الانسان متخلفا من الناحية الحضارية ، والثقافية ، ومنحرفا من الناحية النفسية ، فتكون حريته اللامحدوده كارثة حقيقية له وللاخرين ! وحينما نعطي له الحق بان يكون حرا في اختياره فان الحرية ستكرس تخلفه أو انحرافه وبالتالي ستكرس الفساد في الارض .

فحرية المشركين ماذا تعني ؟

انها تعني تكريس الشرك في واقعهم واعطاء الشرعية لهذا الانحراف . واذا كان الشرك هو عبودية الانسان

لغير الله فكيف تستغل حرية الانسان في اختيار العبودية ؟

ان هذا يتناقض مع فطرة الانسان . والانبياء حينما ارسلوا الى البشر كان يقاومهم الانسان الحر الذي اختار الفساد بحريته فهناك الكثير من البشر كانوا مضللين ومخدوعين وجهلاء ، وكانوا يستخدمون حريتهم في سبيل تكريس انحرافهم وجهلهم وغفلتهم ، وبالتالي تكريس الفساد في انفسهم ومجتمعهم .

لقد اختارت ثمود وعاد واصحاب الأيكة ، نظامهم السياسي بانفسهم وكان في ذلك هلاكهم ، لانه كان نظام شرك ، نظام عبودية . وهكذا حال الشعب الالماني قبيل الحرب العالمية الثانية كانت لدية الحرية في اختيار القائد الأعلى، لذلك اخذ يفكر ويتشاور ،وبالتالي قرر أن يختار هتلر وحزبه النازي ، واذا به اختار مجرما قاد العالم الى الدمار . أو نرى أن الشعب الياباني يختار رجلا مثل غلادستون وبلفور وهو الأخر قاد العالم الى الفساد حيث كان يستعمر الشعوب ، ويختار الشعب الامريكي روزفلت فيدخل بلده حربا - ثم يختار جونسون فنكسون فيدحران شعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس ، ويختار الشعب الاسرائيلي بيغن وشارون فيدحران الشعب الفلسطيني .

ان الحرية بدون التوجيه السماوي تعني اعطاء الحربة الحادة بيد الانسان الجاهل،أو اعطاء الكلاشينكوف بيد الصبي فانه حتما سيؤذي نفسه ويؤذي من حوله .

مشكلتنا الحرية وعلاجهما في الاسلام .

اذاً هناك مشكلتان رئيسيتان لحرية الانسان . خصوصا حريته السياسية . فكيف يعالج الاسلام الذي جاء من قبل

رب السموات والارض والذي يعرف الانسان ،ويخبر عن طبيعته ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ٠

الاسلام يعالج هاتين المشكلتين بأسلوب حكيم ٠

المشكلة الاولى :

يأمرك الاسلام الا تختار رجلا الا بعد أن تعاشره ، وتجرب فيه الاراده الصلبة والاستقامة والخلق الرفيع ، والزهد في الدنيا ، وعدم شهوة الرئاسة والسلطة ٠ اذ انك اذا عرفت في انسان حب الرئاسة ، فان هذا من أقوى الاسباب التي تحتم عليك رفضه ٠

عندما جاء طلحة والزبير الى الامام علي عليه السلام وأرادا منه أن يعطيهما ولايتي البصرة والكوفة رفض طلبهما وقال اننا لا نعطي هذا الامر لمن يطلبه ٠ فالذي تستبد بقلبه شهوة السلطة فهو لا يصلح أن يكون رئيسا في أي مكان لأنه يبحث عن سلطته قبل اي شيء اخر ٠ ويستخدم الدسائس من اجل ابقاء كرسيه ٠ بينما الاسلام يأمرنا بان نبحث عمن لا يريد الاستعلاء من وراء المنصب بل همه خدمة المجتمع ٠ فهذا هو الرجل الصالح الذي يجب ان تختاره لقيادتك ورئاستك ٠ وبهذا الاسلوب يقضي الاسلام على المشكلة الأولي للحرية ، وهي مشكلة مناقضة الحرية لنزعة السيطرة والتسلط والملك الموجودة عند الانسان

الحرية وتخلف الانسان

المشكلة الثانية :

وهي مشكلة تخلف الانسان أو انحرافه ٠ فان الاسلام يعالج هذه المشكلة بطريقتين ٠

الطريقة الاولى :

لا يدع الاسلام الاختيار مفتوحا وانما يعطي الفرد حرية القرار في حدود معينة فيقول : على لسان الامام الحسن العسكري حسبما جاء في الحديث المأثور ٠

((أما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه ، حافظا لدينه ، مطيعا لامر مولاه مخالفا لهواه فللعوام أن يقلدوه)) ٠

بعد توافر هذه الشروط في شخص ما ، يحمل هذه المواصفات ، فقيها ،مطيعا لله ، عاصيا لأهوائه الشخصية يمكنك أن تقلده دينك وتعمل تحت قيادته ٠

هناك فرق دقيق بين معنيين نختار لهما كلمتين (الاختيار) و (الانتخاب) ٠ فالاختيار هو أن تقرر ما تشاء ، حسب ماتشاء ،وكيفما تشاء ٠ فاذا قال لك أحد اذهب الى السوق واختر لك ثوبا ، فسيكون لك الحرية الكاملة في شراء الثوب الذي تهواه نفسك دون التقيد بأية ضوابط ٠ وأما الانتخاب فهو اذا قال لك الطبيب ، اذا جلست الى المائدة فتناول الاطعمة التي تحافظ على صحتك ، فان حريتك في تناول الأطعمة ستكون مقيدة باعتبارات خاصة تحددها وصفة الطبيب ٠ وبالرغم من انك انت الذي (تنتخب) الطعام المناسب لصحتك الا انها حسب وصفة الطبيب ، ودورك انما هو دور المنفذ للبرنامج ٠ والمميّز لتطبيقاته الخارجية ٠ وهذا هو الانتخاب بينما المثال الاول كان الأختيار ، والاسلام لا يعطيك كامل الحرية حتى تختار حسب هواك ورغبتك الخاصة وانما يجب أن تنتخب وفق قيم محدودة ، ومواصفات خاصة بيّنها الله لك في الشريعة الاسلامية ٠

وفي اللغات الأجنبية نجد أيضا مثل ذلك ، ففي اللغة الانجليزية هناك كلمتا فالاولى

تعطي مفهوم الاختيار المطلق والثانية تعطي مفهوم الانتخاب المقيد .

الطريقة الثانية :

الاسلام يأمر الطلائعيين الرساليين أولي العلم والدين ، وذوي البصائر النيّرة ، أن يقوموا بتوعية الجماهير المسلمة ، ففي نفس الوقت الذي يعطي الاسلام للجماهير المؤمنة الحق في الانتخاب حسب المواصفات الشرعية ، فانه لا يدع الجماهير وشأنهم ، بل يوجب على الطليعة المؤمنة المتسلحة بالبصيرة القرآنية أن تقوم ببث الوعي في صفوف الجماهير ، حتى لا يضل الناس فينتخبون رجلا غير كفوء .

فحرام عليك أيها العالم أن تكتم علمك ، ان الله سبحانه وتعالى لم يأخذ على الجهال أن يتعلموا ، الا بعد ان أخذ عهدا على العلماء أن يعلموا . ويوم القيامة سيغفر للجاهل سبعون خطيئة ، قبل أن تغفر للعالم خطيئة واحدة . يقول القرآن الحكيم :

﴿ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننه للناس ولا تكتمونه ﴾ (١٨٥/ال عمران)

فحينما يرى العالم أن الناس يستجيبون لاختيار انسان جاهل فاسق متملق ، هنا يحرم عليه السكوت انما عليه أن ينزل الى الميدان ويوجه الناس ، فان مسئوليته الان ألا يترك الناس جهالا يركضون وراء كل ناعق ، بل أن يعلمهم ويرشدهم حتى لا يسيئوا استعمال حرية الانتخاب الممنوحة لهم . هذه مسؤلية الطلائع .

مسؤولية الجماهير .

هناك مسئولية أخرى مرتبطة بالجماهير المؤمنة ،

فينبغي أن تتخذ أقصى الحيطة والحذر تجاه الأجهزة الاعلامية . فلماذا ينتخب الناس رجلا غير كفوء ، أو رجلا منحرفا فاسقا ؟ لان هناك أجهزة اعلامية واسعة الانتشار تأخذ الاموال من ذلك الانسان الذي يريد أن ينصب نفسه قائدا على الأمة ، وتقوم ليل نهار بالدعاية والتطبيل له ولخطه المنحرف ، وتضليل الناس حتى يلتفوا حوله ويدعمونه .

الاسلام يقول : أيتها الجماهير المؤمنة لا تستمعي الى هذه الأجهزة المأجورة ، بل يجب مقاطعتها ورفضها وكشف زيفها . فليس للانسان المسلم الحق في أن يستمع الى كل من يتكلم ، أو أن يقرأ أي كتاب ، أو يتثقف بثقافة أي جهة . فحينما يستمع الى خطيب فعليه أن يتثبت من علمه وعدالته ومقدار التزامه وتعهده ، وحينما يقرأ كتابا عليه أن يبحث عن مؤلفه وعن الجهة التي أدرته . وحينما يستمع الى اذاعة عليه أن يعرف أي اذاعة هذه ومن الذين يشرفون عليها ويديرونها . يقول رسول الله (ص) :

((من استمع الى ناطق فقد عبده ، فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله . وان كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان)) .

يقول الله سبحانه وتعالى وهو يعير الذين يتبعون آباءهم من دون علم .

﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾
(١٠٤/المائدة)

حينما تريد أن تقلّد شخصا ما قلده بشرطين . الاول

أن يكون عالما ، والثاني أن يكون مهتديا ، والا فليس لك ذلك .

وفي الآية أخرى يقول القرآن الحكيم :

﴿ أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتّبع امّن لا يهدّى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾

(٣٥/ يونس)

انك يجب أن تتبع المهتدي القادر على الهداية ، وليس كل انسان ضال ، ناطق بالكلام المنمق المزخرف الباطل .

وفي آية كريمة ترى ابراهيم (ع) يقول لأبيه :

﴿ يآ أبت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك ، فاتبعني أهدك صراطا سويا ﴾

(٤٣/ مريم)

الآباء عادة يفرضون على أبنائهم اتباعهم ، ولكن نرى ابراهيم (ع) نصح اباه أن يتبعه . لماذا ؟ لانه صاحب العلم ، وصاحب العلم هو الذي يتبع وليس صاحب الجهل .

وآية كريمة أخرى تقول :

﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى ، فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب ﴾

(١٨/١٧/ الزمر)

ان الطاغوت على أقسام فهناك طاغوت سياسي ، كهؤلاء لمتحكمين في بلاد الاسلام . وهناك طاغوت ثقافي . وهناك طاغوت اجتماعي ، فلا يجوز لك أن تتبع أحدا من الطغاة ،

الا بعد أن ترجع الى حكم الله فيه واذنه لك في ذلك ٠

هناك حديث عن رجل يسأل الامام أبا الحسن الثالث عمن أخذ ديني ، فكتب الامام الى رجلين كانا قد سألاه ذلك ٠

((فاعتمدا في دينكما على كل مسّن في حبكما ، وكل كثير القدم في أمرنا ، فانهم كافوكما انشاء الله تعالى)) ٠

أي لا يجوز أن تتبع الا من كان متوغلا في الدين ، راسخا في العلم ، وتعرف أنه يحبك ويريد أن يهديك ٠

والامام الصادق (ع) يقول لاحد أصحابه :

((لا تكن امّعة تقول أنا مع الناس وانا كواحد من الناس)) ٠

فلا تتبع أحدا لمجرد أن الناس يتبعونه ، وانما يجب أن يكون لديك رأيك الحر المبني على القيم الصحيحة وتلك مسئولية جسيمة عليك أن تحملّها أنت ولا تحملها غيرك ٠

ويقول الامام أبو عبدالله (ع) في حديث طويل :

((اياك أن تنصب رجلا دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال)) ٠

يجب أن يكون الرجل الذي تستمع اليه وتعمل بحديثه حجة بينك وبين الله ٠ فاذا سألك الله عز وجل يوم القيامة لماذا استمعت الى فلان واتبعته ؟

فينبغي أن تكون لديك حجة ٠٠ تقول هذا الانسان كان عالما فقيها مهتديا ، أنا عرفته وبلوته وجربته ثم بعد ذلك اتبعته ٠ فاذا استطعت أن تقول هذه الكلمة أمام ربك يوم الحساب آنئذ اتبعه ٠ حين تتبع أي انسان

جهلا ، وتقرأ أي جريدة فتقتنع بما تكتب ، وتستمتع الى أي اذاعة فتعتقد بما تقول ، فهذا شيء خطير جدا .

وفي حديث آخر عن رسول الله (ص) :

((ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فاذا لم ينزل عالم الى عالم يصرف عنه طلاب حطام الدنيا وحرامها ويمنعون الحق أهله ، ويجعلونه لغير أهله ، واتخذ الناس رؤساء جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) .

أي أن الله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يعاقب أمة لا يحترمون علماءهم الحقيقيين فانه يقبضهم اليه فيبقى الناس بدون علماء ، فيتخذون رؤساء جهالا ، مثل ما نرى في العالمين العربي والاسلامي وهؤلاء يتخذون مال الله دولا وعباده خولا ويعيثون في الارض الفساد وتعاني منهم الأمة صنوف الشقاء وضروب البلاء .

هناك حديث طويل أختصره وأختصر بيانه ، أتي رجل الى الامام (ع) وسأله قائلا يابن رسول الله ، ان الله سبحانه وتعالى يعذب اليهود والنصارى أم لا ، فيقول الامام بلى يعذبهم لأنهم لا يتبعون الحق . فيقول الرجل يعذب العلماء منهم فقط أو يعذب العلماء والعامة ؟ فيقول الامام ، بل يعذب العلماء والعامة معا فيقول لماذا ؟ فيجيب الامام لأن عامة الناس يتبعون العلماء ، فيقول ، اذن ما هو الفرق بين علماء المسلمين وعامتهم وعلماء اليهود والنصارى وعامتهم ؟ المسلمون أيضا يتبعون العلماء ، كما ان اليهود والنصارى اتبعوا العلماء . فلابد أن يعذب الله العلماء فقط اذا انحرفوا أما الناس فهم أتباع ، فيفصل الامام الحديث تفصيلا ويقول :

((العلماء المسلمون انما يتبعهم الناس بعد أن يجربوهم ويعرفوا أنهم صادقون في الحديث ، حافظون للأمانة ، مطبقون لكلام الله على أنفسهم بينما يعذب الله اليهود والنصارى لأنهم يتبعون علماءهم وهم يعلمون أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويتعاونون مع الحكام الظلمة ولا يوفون بعهد الله ، ويخونون آمانات الناس)) .

لماذا يعذبهم الله ؟ لان فطرة الانسان ، وعقله ووجدانه يذكره بأن العالم الذي يجعل الفرد حجة بينه وبين الله ، يجب ألا يأكل أموال الناس بالباطل ويتعاون مع السلطات الظالمة ويخون الأمانة . واذا كان يرتكب هذه الأمور فهو لا يصلح لأن يكون واسطة بين العبد وربه ، ولا يجوز أن يأخذ الفرد دينه منه . ويضيف الحديث :

((ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح ، وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الاحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات - أي المداهنات والتنازلات الاجتماعية - وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي لا يفارقون به أديانهم واذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليهم وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا لهم من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ، واعترفوا بقلوبهم الى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق - هذه قضية عقلية واضحة ، فمن يقوم بالكذب والدجل والخيانة وغيرها فهو فاسق - ولا يجوز أن يصدق عليه ولي الله ، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله - أي الرسل - فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكاياته ولا العمل بما يؤديه اليهم

عمن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله اذ كانت دلائله أوضح من أن يخفى ، - ثم يوضح الامام ويقول - فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى في التقليد لفسق فقهائهم)) .

أي حينما تتبع فقيها يمالىء السلطة ، ويخالف الدين ، لا يهتم الا بنفسه وجماعته الذين حوله ، يكون شأنك شأن اليهود والنصارى سواء بسواء ، لان اليهود والنصارى أيضا سكتوا ، وأغمضوا عيونهم ، وأعطوا مقودهم بيد من هو فاجر فاسق وقالوا هذا فقيه عالم ، لا يجوز لك ان تتبع غيره ، فاذا جلست واستمعت الى الاذاعة ورأيت أنها تعرض الأكاذيب والدجل والفسق والفجور وتعرف أن القائمين على هذه الاذاعة مجموعة من المرتزقة الاجراء ، فلا يحق لك أن تقول أن الاذاعة قالت وأنا سمعت منها .. بل لابد ان تتمثل أنئذ بالآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾
(٦/الحجرات)

وكذلك لا يجوز لك أن تصدق اذاعة هذا شأنها ، اذا قالت عن فلان أنه جاسوس وعن آخر أنه مجوسي وعن ثالث أنه يهودي ، وهكذا بقية وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية . وانما يجب أن تتبع من تعرف حق المعرفة أنه يقول الصدق ولا يخضع للاهواء والمنافع الشخصية .

وبعد ذلك يوضح الامام هذه الفكرة من خلال هذه الرواية الشريفة . التي لا انقلها حرفيا بل انقلها بالمعنى ،

((فأما من كان من الفقهاء ، صائنا لنفسه حافظا

لدينه ، مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه)) .

"وذلك لا يكون الا عند بعض الفقهاء لا جميعهم . فاما من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة بعض الفقهاء فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة وأنما كثر التخليط فيما يحمل عنا أهل البيت . ذلك لان الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجوهها لقلة معرفتهم . وآخرين يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم الى نار جهنم ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا ، فيتعلمون بعض علومنا الصحيحة ، فيتوجهون بها عند شيعتنا وينتقصون بنا عند نصّابنا . ثم يضيفون اليه وأضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا ، التي نحن برآء منها ، فيقبله المستسلمون من موالينا على أنه من علومنا فضلوا وأضلوا — وانظروا الى هذه الكلمة يقول — وهم أضر على ضعفاء موالينا من جيش يزيد — عليه اللعنة على الحسين بن علي (ع) — وهؤلاء هم علماء السوء —".

وهكذا الاحاديث الأخرى التي تؤكد على ضرورة أخذ العلم من مصادر معينة ، ومنها هذا الحديث الذي يقول :

((من دان الله بغير سماع عن صادق ، آلزمه الله التيه الى يوم القيامة)) .

حينما تريد أن تعمل بطاعة الله ، يجب أن تبحث عن صادق تستمع اليه ، وتطبق كلامه ، ولا تأخذ الكلام ممن لم تتثبت من صدقه .

والامام (ع) ينقل عن سيدنا المسيح (ع) ويقول

"خذوا الحق من أهل الباطل ، ولا تاخذوا الباطل من أهل

الحق ، كونوا نقاد الكلام فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله ، كما زخرف الدرهم من النحاس بالفضة المموهة النظر الى ذلك سواء ، البصراء به خبراء".

أي يجب أن تعمل فكرك جيدا في كل ما تسمع ، وأن يكون الفكر رائدك الى الحق أنّى كان مصدره . ولا يكون اتباعك لأحد اتباعا أعمى ، بل عن وعي وانتقاد وتمحيص .

وفي حديث آخر يقول الامام (ع) في تفسير قوله تعالى :

﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ﴾

قال - أي الراوي - قلت ما طعامه ؟ قال :

((علمه الذي يأخذه ، ممن يأخذه)) .

فاذا لم يكن من الصحيح أن تذهب الى أي انسان وتأخذ منه طعاما تأكله ، لانه ربما يكون فاسدا أو نجسا ، فمن الاولى لك الا تأخذ العلم من أي كان لانه ربما يكون علما ضارا ومنحرفا . والعلم أهم من طعام البطن ، لانه طعام القلب والروح .

وفي حديث اخر نجد الامام (ع) يفسر هذه الاية الكريمة :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾

(٣١/التوبة)

قال : ((والله ما صلوا لهم ولا صاموا ، ولكن أطاعوهم في معصية الله)) .

ونجد في وصية ذي القرنين هذه الفقرة ،

" لا تتعلم العلم ممن لم ينتفع به ، فان من لم ينفعه علمه لا ينفعك "

أي لا تتبع العالم الذي يقول ولا يفعل مهما كان

علمه غزيرا ، ولكن اتبع العالم العامل الذي يأتمر بالمعروف قبل أن يأمر به وينتهي عن المنكر قبل أن ينهى عنه .

وبكلمة ان الاسلام يريد للمجتمع المسلم أن ينتخب قيادته بحريته الكاملة . ولكن بعد أن يكلف هذا المجتمع بمسئولية ، ويكلف الطلائع الرسالية لهذا المجتمع بمسئولية اخرى .

أما مسئولية المجتمع فهي ألا يستمعوا الى كل ناطق بل يبحثوا عمن يتحدث معهم حديث صدق وهدى . واكثر ما ضللت الجماهير دعايات الرؤساء الفاسقين ، فالرئيس الفاسق يأتي الى الصحافي مثلا ويغريه بالمال ، لينشر له صورة وهو يصلي ، وصورة وهو يعطي أكلا لطفل ، وصورة وهو يزور بيت فقير ويفتح ثلاجته ، وصورة وهو في مرقد من مراقد الأئمة ويجري معه عدة مقابلات وتقارير صحفية . وكما هو معروف فأموال البترول كثيرة تسع فساد الحكام ، وفتات الأموال سوف تصل الى الصحافيين المأجورين الذين يبيعون دينهم ودنياهم لدنيا غيرهم ، ويشترون سخط الخالق برضا المخلوق . ويقع المجتمع وخصوصا النشئ الجديد ضحية هذا الزيف والدجل والكذب الاعلامي ، فيعتقدون بالرئيس المناضل الذي هو في واقع الأمر ارهابي جاهل ومجرم ، وأكثر الناس عبودية للشرق والغرب .

ومن جهة ثانية يبعث الأموال هنا وهناك ليشتري بها ضمائر بعض ضعفاء النفوس من علماء الدين ، ووعاظ السلاطين . الذين لا يكتفون بالسكوت عن جرائم الحكام وفضائحهم ، بل ينبرون لتبرير أعمالهم واضفاء الصفة الشرعية عليها .

وبعض الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، وترى أنهم

في كل واد يهيمون كما جاء وصفهم في القرآن الحكيم ، هؤلاء يأخذون الأموال ، ويجلسون في بيوتهم وينظمون بعض القصائد في مدح الرئيس ، واذا بهم يحصلون على الفلل والسيارات وهدايا ! ولكن الا يعلمون أن هذه الاشياء نيران تحرقهم يوم القيامة ، كما قال الامام في الحديث الذي تلوناه :

((ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم الى نار جهنم)) .

على الجماهير ألا تستمع الى كل انسان . مثلا ذلك الصحافي الذي كان الى الامس القريب يكتب ضد الرئيس المناضل ، قد أصبح اليوم من أقوى المؤيدين والمناضلين له . فهل يا ترى نزل جبر ئيل عليه وشهد بأنه صار صالحا ومستقيما !!

مثلا ذلك الصحفي لا رحمه الله ولا رحم الذين يشبهونه وبعض مجلته ، كان ينقل لبعض رفاقه وزملائه قائلا ان طريقتنا حينما نريد أن نستحصل على النقود من دولة من الدول أن نكتب كلمة ضدهم ولكن على الخفيف وننشرها . فرأسا ترفع سفارة تلك الدولة سماحة التلفون وتتصل بنا معاتبة وتقول ، لماذا كتبتم ضدنا ؟ وماذا فعلنا ؟ فنقول ، الواقع تعلمون ان هناك مجموعة ضغوط علينا ، والجمهور يلح علينا ، لماذا لا تكتبون الحقائق ؟ لماذا لا تفسرون الاحداث تفسيرا جيدا ؟ فنحن باعتبار أننا نريد تصريف المجلة المشرفة على الافلاس فقد اضطررنا لتلبية رغبة القراء . فيقول حسنا نحن مستعدون للتعاون معكم في رفع ضائقتكم المالية . وبعد ذلك نبعث مندوبنا يتفق معهم ، ثم نقوم بمقابلة صحافية معهم ، ونأخذ المقسوم وتكون أزمتنا المالية قد سويت .

فالجماهير حينما ترى هذا الاسلوب من العمل المتناقض و المتذبذب ، وترى أن هذه المجلة يوما وراء صدام ، ويوما آخر يدافعون عن بيار الجميل ، ويوما يدافعون عن شاه حسن ، وهكذا فاللازم أن تقاطع هذه المجلات المأجورة التي تغير اتجاهاتها مع هبوب رياح الاموال ، أو لا أقل أن لا تتأثر بها • فليدفعوا الاموال وليكتبوا لانفسهم فجماهيرنا لا تخدع •

مسؤولية الطلائع •

وأما مسئولية الطلائع الرسالية المؤمنة ، وهم أصحاب الوعي المثقفون الشرفاء ، فهي العمل المكثف و الجاد لتوعية الجماهير بمختلف الوسائل الاعلامية المتاحة ، و السعي الدائب لاختراق الحجب التي يصطنعها الاعلام المزيف ليحول بين الجماهير ورؤية الحقائق بوضوح •

كما أن عليهم القيام بفضح العناصر المأجورة التي لا يهمها أن تضلل الناس وتفسد أفكارهم مادامت تحصل على منافع من وراء ذلك •

واذا قام العلماء بمسئوليتهم ، وقامت الجماهير بمسئوليتها في اتباع العلماء و الانضواء تحت رايتهم ، متسلحة بالوعي و البصيرة ، آنئذ نرى كيف أن الطغاة يتساقطون كأوراق الخريف ، واذ ذاك يشرق العالم بنور الله ، نور الحق و العدل و الحرية السليمة •



● التطهير الذاتي

هناك أربع سمات أساسية للمجتمع الاسلامي :

أولا : التطهير الذاتي .

ثانيا : الفاعلية .

ثالثا : الجهاد في سبيل الله .

رابعا : روح التكامل .

هذه السمات الأربع الرئيسية هي صفات هامة للمجتمع الرسالي .

المجتمع الاسلامي كالنهر يطهر بعضه بعضا .

المجتمع الاسلامي مجتمع يطهر بعضه بعضا كماء النهر، انه مجتمع شاهد على نفسه وشاهد على غيره ، والأنظمة الاسلامية التي تجعل هذا المجتمع يطهر نفسه بنفسه كثيرة وسنشير اليها مجرد اشارة ، ولكن قبلئذ لابد ان نقول ان عوامل الزمن والغفلة وتراكمات الجهل ، وحالات الارهاق والتعب وما أشبه ، كلها حالات تعترض المجتمع فتبعده عن قيمه وعن الأستعداد للصراع مع اعدائه .

والمجتمعات كما الفرد تملك شيئا جامعا لسائر صفاتها ، كما يملك الانسان شيئا يجمع سائر صفاته ، فالانسان يملك الروح ، والمجتمعات أيضا تملك الروح ، والروح الاجتماعية حسب لغة علماء الاجتماع هي الصبغة

العامة للمجتمع ، وهي خلاصة تفاعل السمات الداخلية والخارجية في مجتمع من المجتمعات .

وهذه الروح قد يصيبها التعب ، وقد تكون روح المجتمع أي الصبغة العامة للمجتمع متأثرة بالارهاق ، فكما يصاب الانسان بالكسل والضجر ، ويعتريه الرهق والعجز كذلك المجتمع .

كثير من المجتمعات في التاريخ تعيش حياة قصيرة قد لا تتجاوز نصف قرن من الزمان ، وبعد ذلك تبدأ رحلة الانهيار ، ان هذه المجتمعات انما تصبح كذلك لأن الصفة الأساسية فيها مفقودة ، وتلك الصفة هي وجود قانون لتصفية الرواسب ، ويشبه حالها حال المريض في كليته .

ان دم الانسان اذا لم يمر بعملية تصفية عن طريق الكلية التي تبعد عنه السموم فهل يستطيع الانسان ان يعيش طويلا ، كلا . لأن الدم يسمّم الدماغ فيموت الانسان .

وهكذا المجتمع يتعرض ، بسبب الصراعات والتناقضات وظروف الجهل والغفلة الى تراكم السموم في عروقه ، وهذه السموم يجب ان تخرج عبر قنوات معينة بعيدا عن هذا المجتمع ، فبعض المجتمعات تملك الكلية التي تقوم بتصفية دمائها ، وبعض المجتمعات لا تملك هذا العضو فتتسمم وتموت ، والمجتمعات التي ترى أنها ماتت في ايام شبابها أو عمرت عمرا قصيرا فلأنها لا تملك الأجهزة القادرة على تصفيتها وتنقية دمها وازالة الرواسب المتراكمة فيها ، أما المجتمعات التي تعيش طويلا فهي القادرة على اصلاح مسيرتها وتصفية تناقضاتها .

ولنضرب مثلا : المجتمعات الديكتاتورية تنفجر مرة واحدة ، لماذا ؟

لأن رواسبها تبقى في عروقها ، اذا لا يوجد فيها جهاز تصفية ومجاري لنقل هذه الرواسب بعيدا عن المجتمع ، فتتجمع هذه الرواسب في الدورة الدموية للمجتمع وتقضي عليه ، أما المجتمعات التي تملك نوعا من الحرية ، فهي تعيش أطول ، لماذا ؟

لأن وجود الحرية يساعد على امتصاص النقمة وتصحيح المسيرة وتصفية الرواسب السامة وتنقية حياة المجتمع .

الاسلام يؤكد على مجموعة أنظمة لهذا الشأن تساعد على تجدد دم المجتمع وتعيد اليه حيويته ونقاءه .

أولا : نظام تعليم الجاهل ، وتحمل العلماء مسئولية علمهم .

العلماء يجب عليهم أن يتحملوا مسئوليتهم ويبينوا للناس علمهم ، بكل الأساليب الممكنة ، ذلك لأن العلم حياة القلوب وهو الذي يجدد دم المجتمع ، وبسبب تصفية رواسب الجهل والغفلة عنه يقول الحديث المأثور عن رسول الله (ص) :

((أيما رجل آتاه الله علما فكتمه وهو يعلمه لقي الله عز وجل يوم القيامة ملجما بلجام من نار)).

هذه مسئولية العلم ، انك اذا كنت تعلم حقيقة واحدة فكتمتها ولم تنشرها بين الناس ، فانك سوف تقف بين يدي الله وفي حلقك لجام من نار ، وفي حديث آخر يقول رسول الله (ص) :

((تناصحوا في العلم ، فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله ، وان الله مسائلكم يوم القيامة)) .

فحينما يكون لأحد من الناس عليك مال ، ثم لا ترده

اليه فان تلك خيانة عظيمة ، ولكن اذا كان عندك علم وهو يطالبك به فلا تعطيه فان هذه خيانة أعظم لأن ضررها على المجتمع أكبر . فالعلم ليس حكرا على أحد ، وانما هو للناس جميعا ، فالعلم أمانة عند صاحبه يجب ان يؤديها الى أهلها ، ولا يحتفظ به لنفسه والا أعتبر خائنا ، ومرتكبا للظلم بحق جميع أفراد المجتمع .

المجتمع الاسلامي يؤمن بتنظيم العلم عبر طرق ووسائل عديدة كالجامعات والمدارس ، والمساجد ، والمجالس والحفلات وما أشبه . ولكن الاسلام يؤمن أيضا بأسلوب آخر لنشر العلم ، وهو أسلوب النشر الذاتي للعلم . اي يجب أن يكون العلم كهذا النور ينتشر آليا دون أن يحتاج الى دافع لنشره والمجتمع اذا التزم بهذا المنهج وهو أن كل انسان حمل علما ، ونشره في كل مكان وبكل وسيلة ممكنة فلا يبقى في المجتمع الاسلامي جاهل واحد ، لأن العلم يتدفق اليه من جميع جوانبه ، وبهذا الأسلوب يحافظ الاسلام على نقاء المجتمع من شوائب الجهل .

ثانيا : نظام التذكير .

ان تقادم الزمن على الانسان ينسيه معلوماته ، فيخفت نور معرفته ، ويكون بحاجة ماسة الى التذكير لتنشيط معارفه واحيائها من جديد ، وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يستخدم أسلوب الوعظ حتى مع كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب (ع) ، وأبي ذر ، وابن مسعود وغيرهم ، ومان بين حين وآخر يحدث الواحد منهم ويوصيه بأمور سبق أن عرفها ، ويطرح عليه قضايا سبق أن أحاط بها فقها وعلما ، وقد جاء في القرآن الحكيم أمر صريح له بذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾

(٢١/الغاشية)

ثالثا : الأمر بالعروف والنهي عن المنكر .

وهما اللذان يخلقان الضمير الاجتماعي المتجسد في رادع أدبي، ذلك أن للانسان شعورا فطريا بضرورة التوافق مع الناس المحيطين به فهو يلبس ما يلبسه الناس ويتحدث باللغة التي يتحدث بها الناس ويقوم بالاعمال التي يراها الناس صحيحة ، ويثير الاسلام هذا الحس ، ويوجهه باتجاه تطبيق القيم السماوية ، كيف ؟

انك اذا عملت عملا سيئا ثم خرجت الى الشارع فرأيت الناس ينظرون اليك شزرا، وكل من رآك يؤنبك وعدت الى البيت لتسمع نفس الكلمات من زوجتك ومن أبيك واخوانك ، ثم ذهبت الى المدرسة فواجهت نفس الموقف من زملائك، فمن المستحيل أن تكرر نفس العمل، وقد استخدم الرسول هذا الحس ، كعقاب رادع لبعض المتخلفين عن الجهاد ، حدث أن ثلاثة من الصحابه تخلفوا عن الجهاد ، فلما عاد رسول الله عليه الصلاة والسلام من الغزوة وعلم بخبرهم أمر جميع الناس بأن يقاطعوهم ، يقول أحدهم : ذهبت الى البيت فأشاحت زوجتي بوجهها عني وأردت أن أتحدث مع أولادي فلم يصغوا الي ، وذهبت الى صديق فتحدثت معه فلم يرد عليّ وذهبت الى السوق حتى أشتري شيئا فلم يرض أحد ان يبيعني .. يقول فضاقت الدنيا عليّ " . ويقول القرآن الحكيم في وصفهم :

﴿ وضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾
(٢٥/التوبة)

لماذا ؟

لأنهم وجدوا مقاطعة اجتماعية ، ولأن احساسهم الذاتي بضرورة التوافق الاجتماعي مع الآخرين عصرهم وأرهقهم ، فاضطروا للعودة الى الطريق الأجتماعي وتابوا فتاب الله عليهم .

لقد استفاد رسول الله (ص) من هذا الشعور الفطري عند الانسان فوجهه في هذا الاتجاه ، كذلك الانسان يستفيد من هذه الحالة ويوجهها باتجاه القيم الاسلامية ، فحينما ينحرف أحد عن القيم الاسلامية ، فان على الآخرين أن يؤنبوه ويظهروا عدم الرضا عنه حتى يدفعوه بالاتجاه الصحيح ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان شرعيان معروفان لا نريد اطالة الحديث حولهما .

رابعا : الاسلام يؤكد على ضرورة العمل باتجاه الجماعة والسنة .

أي الابتعاد عن البدعة التي هي حاجز أمام الانسان يحجب نور الحقيقة ، وفي الحديث المعروف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول :

((عليكم بسنة ، فعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة)) .

فالاتجاه العام للمجتمع لابد أن يحفظ ويجب أن يتوافق الانسان مع ذلك الاتجاه وأن لا ينحرف عن دورة المجتمع وهناك أحاديث أخرى في هذا المجال سوف نبينها فيما بعد انشاء الله .

خامسا: الاسلام يؤكد على ضرورة تحمل الانسان مسئوليته في المجتمع .

يقول الحديث :

((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) .

المسئولية الاجتماعية غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، انها تعني قيام الانسان بدور الأب بالنسبة الى الأسرة ، وبدور المدير بالنسبة الى المصنع . وبدور القائد بالنسبة الى المجتمع ، فان القائد لا ينصح فقط ،

ولا يتكلم فقط ، انما يصنع واقعا ، والقائد اذا رأى مجتمعه عاجزا اقتصاديا ، فانه يضع برنامجا اقتصاديا لكي يرفع عن مجتمعه العجز ، الأب حينما يخشى على ابنه من الانحراف فانه يزوجه ، والزواج ليس كلاما وانما هو عمل ، وهكذا يفرض الاسلام على أبناء المجتمع الاسلامي أن يتحملوا مسئولياتهم تجاه الآخرين .

سادسا : الاسلام يضع القوانين الرادعة تجاه المنحرفين .

حينما يصل الأنحراف الى رأس المجتمع أي الى القيادة فحينذاك تجب الثورة ، والثورة الرسالية تعني أنك حينما تجد انحرافا في المجتمع فعليك أن تسعى لاصلاحه بالكلمة العليا والشجاعة ، فان لم تنفع فبيدك ، فان لم ينفع فبسيفك ، فحاول أن تقاتل المنحرفين ، واذا لم ينفع فلا بأس ان تقتل نفسك بطريقة أو بأخرى في سبيل أن تحدث موجة من المقاومة داخل المجتمع ، وسنتحدث عن قوانين الثورة الاسلامية في مجال آخر انشاء الله ، ولكني أقول ان هذه القوانين التي تقول بأن أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر ، وأن الدفاع عن المظلومين والمستضعفين واجب الانسان المسلم ، كما جاء في الحديث :

((من رأى سلطانا جائرا فلم يغير ما عليه بلسانه أو بيده حق لله ان يدخله مدخله)).

ان هذه القوانين انما هي لأجل مقاومة الانحراف في المجتمع الاسلامي .

وفي المجتمع المنحرف لا يمكن ان ينطلق كل الناس لمقاومة الانحراف ، وانما تبدأ المقاومة من بعض العناصر الذين يقومون بدور انفرادي ثم تنتشر المقاومة ،ووالمجتمع الذي توجد فيه طائفة يقاومون الانحراف بالعنف كما يوجد فيه حس اجتماعي عام،على أساسه يقوم كل الناس بواجبهم

فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتحملون مسئوليتهم الاجتماعية ، ويقومون بارشاد الجاهل ، وتذكرة الغافل ، فانه سوف يكون مجتمعا ، ذاتي التطهير ، يكون مثله مثل النهر يطهر بعضه بعضا ، وهذا قريب من فكرة التواصي في المجتمع الاسلامي ، كلمة التواصي : تعني تبادل الوصية ، فكل انسان يصبح متحدثا بالوصية وسامعا لوصية الآخرين ، وكل واحد يشجع الآخر على عمل الخير ، حتى ليشبه المجتمع بناء يستند كل حجر فيه على غيره ولا يقوم بمفرده ، فهذه العلاقة وهي استناد أفراد المجتمع الى بعضهم البعض موجودة في النظام الاجتماعي الاسلامي ، والتواصي في المفهوم الاسلامي يعني أن الانسان حينما يوصي الآخرين فهو يتحمل مسئوليته ، ولا يقول الناس لا يسمعون كلامي ، وحينما يسمع وصية الآخرين أيضا يتحمل مسئوليته ويستجيب لوصيتهم .

وكلمة أخيرة ان هذه واحدة من سمات المجتمع الاسلامي المطبق للتعاليم السماوية واذا وجدنا مجتمعا ضعيفا غير متفاعل مع نفسه وغير مقاوم لأعدائه ، فلابد ان نعلم انه يفتقر الى الأنظمة التي وضعها الاسلام من أجل تنقية المجتمع .

● الصراع في المجتمع الاسلامي

يتطلع كل مجتمع نحو تحقيق شيء يجسد قضيته ، وانما قدرة هذا المجتمع أو ذاك تعتمد على مدى فاعلية وسعة القضية التي يحملها فكلما كانت القضية اوسع مدى وأكبر أهمية عند ابناء المجتمع ، كانت حيوية المجتمع اكثر . وأما اذا كانت القضية محدودة زمنيا أو جغرافيا أو كانت غير متبلورة في ذهنية ابناء المجتمع فان المجتمع سيصبح أقل حيوية ونشاطا .

الانسان ابن اهدافه ولكن كيف ؟

الانسان كفرد كتلة ضخمة من الطاقات الكامنة و الانسان حينما يتصل بالانسان الآخر تتضاعف طاقاته وامكاناته وهكذا يملك المجتمع امكانات لا يستطيع عقل الانسان ان يتصور مداها . وان تفجير طاقات الانسان الفرد والمجتمع وتحويلها من امكانات كامنة الى امكانات فعلية هذه هي بالذات العملية الحضارية .

الانسان كان هو الانسان قبل الوف أو ملايين السنين ، حينما هبط اول انسان على وجه كوكبنا ولكن هذا الانسان بقي احقابا عديدة في الكهوف ولم يتحضر الا عبر ما لا يحصى من السنين . والسؤال ،

لماذا لم يستطع الانسان الاول ان يفجر طاقاته وامكاناته ، وبقي يخشى الحيوانات المفترسة ، ويلجأ الى الكهوف أو الاشجار ؟

لأنه لم يجد حاجة في نفسه ، ولأن قدرات الانسان تتفجر حينما يجد الحاجة الفعلية عندها ، فالحاجة أم الاختراع ، وأم العلم ، والانسان لا يحركه شيء الا حينما يكون بحاجة اليه ، فاكتشافه للقمح كان بسبب حاجته اليه ليسد به جوعه ، واكتشافه لطريقة بناء البيوت كان بسبب حاجته اليها ليحتمي بها من الحر والبرد والشمس والرياح ، واكتشافه للسلاح كان بسبب حاجته اليه ليدافع عن نفسه ضد العدو وهكذا ، فان الحاجة هي التي تدفع الى الاكتشاف والابداع والاختراع .

بعض الناس حاجاتهم محدودة ، وحينما يصلون اليها تنتهي دوافعهم النفسية ، والبعض لا يريد من الدنيا الا العفاف والكفاف .. قرصين من الخبز ، وطمرين من اللباس ، وشبرين من الارض وكان الله غفورا رحيما . ان مثل هؤلاء الناس لا يكونون عادة نشطين ، لانهم يعملون من أجل ان يوفروا هذه الحاجات الطبيعية فتنتهي حاجاتهم وتنتهي بالتالي طاقاتهم التي تحولت الى امكانات فعلية .

الحضارات وليدة الحاجة .

في البلاد التي يكون الطقس فيها معتدلا ، لم تنم الحضارات بمعدل سريع ، والحضارات في التاريخ انما نمت في البلاد الباردة جدا ، أو في البلاد التي كانت قريبة من الغابات حسب ما يذكره المؤرخون ، وبالتالي حيث كان الخطر فيها على الانسان كبيرا . ففي تلك الاماكن نمت الحضارات في العالم . لماذا ؟

لأن شعور الانسان بالخطر كان يولد لديه حاجات شديدة تدفعه الى العمل . اما في المناطق المعتدلة فكان الانسان يجد حاجياته ميسرة كالطعام والمأوى والراحة ، فلم يكن يخشى من أخطار أو من ظروف الطقس

الصعبة ، ولم يكن يجهد أو يسعى ليقي نفسه شر الحر أو البرد .

والانسان العادي الذي يكتفي بلقمة العيش ومكان يرتاح فيه ، هذا الانسان لا يكون بانيا لحضارة ولا يتحرك ولا يعمل ولا ينشط . لماذا ؟

لأنه لا يجد في نفسه حاجة الى التحرك اما الانسان الذي يحمل هدفا كبيرا في حياته ترى انه يتحرك ليلا ونهارا ، ويجتهد ويستنفذ طاقاته ، ويفجر امكانياته ، ويبدع الابداعات ، لان هناك حاجة نفسية تدعوه الى هذا العمل . ولذلك يقول القائل :

" المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه "

فكلما كانت همة الانسان وتطلعاته عاليه ، كانت حركته وحيويته وامكاناته اكبر . هذه هي المعادلة الحضارية في العالم .

هذه الطاقات الكبيرة ، وهذا البحر المواج بالامكانات وهذا العالم الكبير الكامن في المجتمع انما يستخرج ويتحول الى فعل عن طريق الهمة العالمية والتطلعات السامية . وهل هناك تطلع اسمى من حمل رسالة الله على كتف المجتمع ؟

ان هذا المجتمع يقول في نفسه انا مسئول عن كل انسان ينام ليله طاويا على جوع ، وكل انسان يقض البرد مضجعه ، وكل انسان يلفه الخوف والحرمان ، وانا مسئول عن المرضى الذين لا يجدون دواء ، وعن أربعمائة مليون انسان يعيشون الآن في العالم دون مستوى التغذية التي يحددها الاطباء ، ومسئول عن الشعب الكمبودي حينما يقتل منه مليون انسان ، وانا مسئول عن شعوب امريكا اللاتينية وعن الهنود الحمر الذي كان البيض يصطادونهم كما

يفعلون بالحيوانات المتوحشة ، وانا مسئول عن الشعب الافريقي والذي ينهب موادره بانتظام • هذه مسئولية كبيرة جدا ، وهي مسئولية نشر لواء العدالة على وجه البسيطة كلها • لذلك يتحول الشعور بهذه المسئولية الى حاجة نفسية وهدف اجتماعي • وحينما تكون الحاجة النفسية عميقة ، والهدف الاجتماعي واضحا ، تتحرك الامكانات من القوة الى الفعل ، ويتحرك المجتمع الى تحقيق اهدافه ، وبهذه المعادلة يتحول المجتمع الى مجتمع ديناميكي حيوي •

المجتمع الاسلامي يحمل رسالة • وقضية هذا المجتمع ليست عنصرية أو حزبية أو قومية انه لا يفكر في نفسه وحسب ، ولا يفكر في ان ينتصر على المجتمعات لكي يعيش افضل عيشة ، وتكون له عليهم السلطة كلا • بل انه يحمل قضية مستضعفي العالم ، ويندفع نحو تحرير الانسان من الجهل والعبودية ، ومن نوازع الحقد والحسد • ودواعي الكسل والفشل ، واغلال المادة ثم يسعى من أجل عمارة الارض وتحقيق سيطرة البشر على موارد الطبيعية ليستخدمها لمصلحته •ومكافحة الفقر والضعف والاستسلام للطبيعة • وان كانت له زيادة من نشاط أو مال (الانفال) فانه سوف ينفقها في سبيل قضيته التي هي تحقيق تلك الاهداف النبيلة •

وما أوامر الجهاد ، وفلسفة الشهادة ، ومفهوم الزهد في الاسلام ، الا جزءا هاما من التركيبة الداخلية لهذا المجتمع ، فالاسلام يبني المجتمع بحيث يكون قادرا على حمل هذه الرسالة العظيمة ومن دون ذلك لا يمكن ان يتحمل المجتمع الاسلامي مسئوليات هذه الاهداف لأن ذلك يتطلب قدرات هائلة لا توجد في مجتمع الا اذا بني كل فرد على اساس العطاء والتضحية •

ان الاسلام يأمر بالجهاد في أربعين موردا في القرآن الحكيم ، ويأمر بالقتال في أربعين موردا آخر ، والجهاد والقتال كلمتان مترادفتان ، بينما يتحدث في حوالي عشرين موردا عن الشهادة ، وفي موارد كثيرة أخرى يتحدث القرآن عما يرتبط بذلك ، كالاعداد والثبات .

وبالتالي فان آيات قرآنية كثيرة لانكاد نحصيها تتحدث مباشرة أو بصورة غير مباشرة عن الجهاد والقتال ، وعن التضحية والانفاق ، وعن تحمل مسئولية المستضعفين في الارض ، وكلها تهدف الى بناء المجتمع الاسلامي على اساس حمل هذه الرسالة العالمية ، رسالة انقاذ الانسان من أغلاله الاجتماعية والنفسية ، ودفعه الى الامام باتجاه تسخير الطبيعة لمصلحته .

وحينما نتدبر في القرآن الحكيم نجد سورة كاملة تتحدث عن خصائص المجتمع الاسلامي تلك هي سورة النساء .

ولكن دعنا نتدبر في سياق موضوعاتها انها تتحدث في البدء عن الأسرة كخلية طبيعية وحضارية يقررها الاسلام ثم تتحدث عن العلاقات الاجتماعية ، ثم عن المسجد والطهارة والصلاة ، وعن كل ما يربط الانسان بأخيه الانسان ، ثم نجد السورة تتحدث عن الجهاد . ليس فقط جهاد المسلمين في مقابل الاعداء الذين يبادرون بالهجوم المسلح ضد المجتمع الاسلامي ، وانما الجهاد الشامل لحمل رسالة الاسلام الى كافة المستضعفين في الارض . هكذا يتصدر الجهاد في سبيل الله قائمة خصائص المجتمع الاسلامي .

وهذه السورة دليل على واقع التطلع عند المجتمع الاسلامي وانه ليس مجتمعا منغلقا على نفسه ، مهتما بمصالحه الذاتية ، وانما هو يحمل رسالته الى العالم ،

ولا يفكر في نفسه بقدر ما يفكر في الآخرين .

كما تبين سورة النساء في بعض آياتها الكريمة ضرورة الجهاد ، والقيام بالعمل المسلح ضد الطغاة الذين يريدون خنق الانسان وكبت حرياته ، وبالتالي استغلاله ان القرآن الحكيم يقول للمسلم عليك ان تتحمل مسئولياتك ، وتنهض لمقاومة هؤلاء الطغاة تدبروا في الآيات التالية .

﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ، فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾
(٧١/النساء)

هنا يأمر الاسلام بالاعداد ويقول استعدوا للقيام بالعمل المسلح وللمسيرة الجهادية ، ولا تبقوا في حدودكم تفكرون في بلدكم وانفسكم فقط وليس بالضرورة ان يكون هذا النفر جماعيا . هل كل الدولة وكل المجتمع الاسلامي يتحرك ! كلا . فربما تكون الظروف لا تسمح لكل الناس المتواجدين في الدولة الاسلامية بالتحرك . آنئذ يجب عليك ان تأخذ مجموعة من اخوتك وتنفر معهم .. **﴿انفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾** - أي انفروا كأفراد أو كأمة - .

﴿ وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ، ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما ﴾

(٧٢/٧٣/ النساء)

هاتان الآيتان تبينان حالة الافراد الشاذين الذين لا يريدون تحمل مسئولياتهم الانسانية بل يريدون لمجتمعهم الانغلاق ، ويريدون موارد بلدهم ان تكون لانفسهم فقط .

ولكن هؤلاء ليسوا منكم ، انتم المؤمنون يجب ان تتحركوا وتنفروا،من أجل ماذا نتحرك ؟ من أجل ماذا ننفر يا ربنا ؟ يجيب القرآن قائلا :

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾
(٧٤/ النساء)

هذه هي فلسفة الانسان المؤمن ، ان يحمل رسالته على كتفه ويتحرك في العالم ليقاتل في سبيل الله ، لله وحده وليس لأي شيء آخر ، ويبيع نفسه لله لأنه يتعامل مع الله في صفقة رابحة على اساس ان يدفع نفسه ويأخذ من الله الجنة ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم :

﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ﴾
(١١١/ التوبة)

ونتسائل ما هو سبيل الله في الواقع الخارجي

فيقول ربنا :

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾
(٧٥/النساء)

من أجل هذا الهدف لتنقذوا المستضعفين الذين ينتشرون في آفاق الارض ويدعون الله ان ينقذهم عن طريق بعث ولي لهم ، أي قائد وبعث نصير لهم ، أي جنود .

ان الله سبحانه وتعالى يأمر المجتمع الاسلامي ان يقوم بواجبه تجاه كل المستضعفين في الارض . ونتسائل ايضا ضد من تجرى الحرب ؟ فيقول ربنا :

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾
(٧٦/ النساء)

فالقرآن يأمرنا ان نحارب من أجل المستضعفين ضد أولئك الذين هم اولياء الشيطان الذين يدعمون أنظمة الطاغوت ويقاتلون من أجله . هذا هو نص القران الحكيم : **فقاتلوا اولياء الشيطان** . القرآن يحدد بوضوح من نقاتل ولأجل من ، اننا نقاتل لأجل المستضعفين والمحرومين والبائسين . اما من الذي نقاتله ونحاربه ؟ فهم الذين يقفون عقبة أمامنا لكي لا نحرر المستضعفين والبائسين ، انهم الطغاة واولياؤهم . في الآية الأولى حدد القرآن الهدف الانساني للقتال ، وفي الآية الثانية حدد الاعداء الحقيقين الذين نقاتلهم .

الصراع الداخلي وتصفية العناصر الخائنة .

هذه ناحية هامة في المجتمع الاسلامي ، وهي ناحية التحرك عبر الارض لانقاذ المستضعفين وهي رسالة هامة و هناك ناحية أخرى تشير اليها سورة النساء أيضا ، وهي ناحية الصراع الداخلي ضد المنافقين ، والذي نبينه عبر النقاط التالية :

أولا :

المنافقون لا يجيدون عادة القتال ، لأن خطتهم هي التسلل الى مواقع القيادة في المجتمع الاسلامي وهدمه من الداخل . ولكن الاسلام يأمرنا ان نقاتلهم ونجاهدهم

وفي آية كريمة من الآيات التي نجدها في سورة النساء يقول القرآن الحكيم مؤكدا على هذه الفكرة .

﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ﴾

(٨٨/٨٩/النساء)

ثانيا :

ان المنافقين بسبب نفاقهم وازدواجيتهم بالدين يستقطبون عطف بعض البسطاء من المسلمين الذين يقولون : هؤلاء مسلمون أمثالنا فلماذا تقاتلونهم أو تقتلونهم وهؤلاء مواطنون شرفاء لا يطالبون الا بالحرية وان يسود الأمن في البلد .

ولكن القرآن يوبخنا على مثل هذا الموقف ويقول :

﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾

أي لماذا انقسمتم في قضية المنافقين على انفسكم واصبحتم فريقين ، ففريق يؤيد قتل المنافقين واستئصالهم ، وفريق لا يؤيد ذلك . بينما الله سبحانه وتعالى قد حدد الموقف من المنافقين اذ يقول :

﴿ والله اركسهم بما كسبوا ﴾

ان النفاق جريمة كبرى ، ولا نحتاج بعد النفاق الى اثبات جريمة أخرى عليهم **﴿ والله اركسهم بما كسبوا ﴾** .

ثالثا :

يبين القرآن قضية أخرى بالقول :

﴿ اتريدون ان تهدوا من أضل الله ﴾

ذلك لأن بعض الناس يقولون انه من الممكن ان يهتدى المنافقون وان يعودوا الى رشدهم ، ولكن بعد وضوح البينة ، وانتشار الوعي ، وبعد قيام الحجة بعد كل ذلك انا وجدنا انسانا ينافق ويقوم بالدعوة الى اسقاط النظام الاسلامي ، والى تحطيم الكيان الاجتماعي للأمة الاسلامية ، فان من الواجب قتاله لأنه من الذين أضلهم الله .

﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾

رابعا :
يقول القرآن الحكيم :

﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا ﴾

هؤلاء المنافقون يريدون انيعيدوكم الى الكفر ، وان يعيدوا النظام الجاهلي البائس الى بلادكم ، لان هؤلاء متأثرون بالثقافة الاجنبية أو برواسب الجاهلية ، وسواء هذه أو تلك فهم غرباء عن مجتمعكم لذلك ينبغي عليكم ان تقاتلوهم .

ان المجتمع الاسلامي ، هو مجتمع الصراع والجهاد ، وقد نستطيع ان نقول انه مجتمع العنف الرسالي ، انه عنيف ولكن ليس من أجل نفسه أو من أجل الطاغوت ، أو من أجل الرأسمال والرأسمالية ، أو من أجل الفساد والمفسدين ، لا . وانما هو عنيف من أجل المستضعفين ، ومن أجل الرسالة والقيم . لذلك فهو لا يحدد مواقفه تجاه نفسه أو تجاه الآخرين حسب المصالح الذاتية . وهو ايضا لا يهادن ولا يساوم .

فاذا كان داخل المجتمع الاسلامي مجموعة من

المنافقين ، فلا يجوز لهذا المجتمع ان يهادنهم باسم انهم مواطنون يا ترى في أي بلد هم مواطنون ! اذا كان البلد بلدا مبدئيا رساليا يؤمن بالقرآن وبالاسلام ، فالذي لا يؤمن بالقرآن ولا بقيادة الاسلام فهو غريب اجنبي حتى لو كان في هذا البلد عشرات أو مئات السنين فالايمان هو الذي يربط أبناء المجتمع الواحد بعضهم ببعض ، والاخوة الحقيقية هي أخوة الايمان ، لا اخوة الدم أو التراب أو المصالح . لذلك فان القرآن الحكيم يبين هذه السمة في المجتمع الاسلامي ، وهي سمة الجهاد حتى استئصال شأفة المنافقين .



● فاعلية المجتمع الاسلامي

تحرك المجتمع وعطاءه يكون بحجم الرسالة التي يحملها ، وبمقدار الشعور بأهميتها والاحساس بوجوب تحملها ، وهذا من أبرز الأسباب والعوامل المؤدية الى فاعلية المجتمع الاسلامي وحيويته ، ولكنه ليس العامل الوحيد ، وانما هناك عوامل أخرى أيضا .

وقبل أن نبين تلك العوامل لابد ان نعرف بأن بياننا لهذه العوامل يستهدف أمرين :

الأمر الاول :

قياس أنفسنا ومجتمعاتنا بما يجب أن يكون عليه المجتمع الاسلامي لكي نعرف ما اذا كان مجتمعنا الذي ننتمي اليه مجتمعا اسلاميا فعلا أم أنه لايزال بعيدا عن سمات المجتمع الاسلامي .

الأمر الثاني :

هو السعي من أجل مزيد من الاقتراب الى قيم المجتمع وصفاته ، وبالتالي السعي من أجل تطبيق الاسلام وبناء الحضارة الاسلامية ، واقامة الحكومة الاسلامية التي هي تجسيد لحكم الله في الأرض ، وذلك ليس عن طريق الشعارات والتمنيات والادعاءات وانما عن طريق ايجاد ذلك المجتمع الاسلامي المتكامل ولو على نطاق صغير وضمن أفراد قلائل .

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ (البقرة/٢٤٩)

الطاعة والفاعلية .

ومن أبرز العوامل التي تؤدي الى حيوية المجتمع الاسلامي ، وبالتالي تفوقه على سائر المجتمعات ومقدرته الذاتية على الانتصار عاجلا أم آجلا على أعدائه ، هو وجود الطاعة في هذا المجتمع . والطاعة هي النابعة من التسليم الذاتي والقناعة الواعية وقهر الشهوات والذاتية ، والأنانيات وتبديلها بطاعة العقل وطاعة من يمثل العقل ويجسده ، أي طاعة الله ، وطاعة من هو خليفة الله في الأرض وهو الامام أو نائبه .

لماذا وكيف تؤثر الطاعة بهذا المفهوم ، وعلى هذا المستوى في حيوية المجتمع وفاعليته وحركته الذاتية ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال نضرب لكم مثلين من واقعنا الذي نعيشه .

المثل الأول :

المزارع التي تروى بالأساليب الحديثة حيث توضع أنابيب لنقل المياه من منابعها الى الأشجار والمزروعات فتعطي كل شجرة وكل نبتة المقدار المناسب من الماء في هذه الحالة ، نحن لا نحتاج الا الى المقدار الكافي الذي تحتاجه الشجرة من الماء بينما الطرق التقليدية لري المزروعات والسقي تضطرنا الى صرف حوالي ٧٠/ من الماء تتسرب الى الأرض تتبخر في الهواء ليصل فقط ٣٠/ من أصل المياه الى الأشجار ، ماذا يعني هذا المثل ؟ انه يعني ان تنظيم الموارد وتوجيهها ومنع التلف والخسارات

ضمانا لتحقيق أكبر قدر من الانتاج بأقل قدر ممكن من الطاقة .

المثل الثاني :

نأخذه من واقع الرياضة ، فالذين يتدربون على العدو يشرف عليهم مدربون يحددون لهم حركات أيديهم وأرجلهم وطريقة جريهم ، فلأن يخطوا الرياضي الخطوة بأي طريقة يشاؤها قد يكفيه ذلك المزيد من الطاقة ويعطية القليل من الحركة ، حينما يقول له المدرب ، أرفع رجلك هكذا وضعها هكذا ، ووجه حركات يديك هكذا ، وبالتالي يتمكن عن طريق استخدام فيزياء الحركة ، من أن يندفع الى الأمام بسرعة كبيرة مع بذل طاقات قليلة .

هذان المثلان البسيطان يبينان لنا بأن تنظيم الطاقة ، أي ضبط قناة توصل الطاقة من مواردها ، الى المكان الذي يجب ان تصرف فيه من أكبر عوامل النجاح وهذا هو الطريق المستقيم الذي يأمر به الاسلام ، فانك حين تريد ان تذهب الى مكان ما تبحث عن جغرافية الأرض ، ولكنتختار الطريق الأقرب ، لأنه لاداعي أن تنفق وقتا وجهدا اضافيا في الوصول الى هدفك مادام بامكانك ان تصل بوقت وجهد قليلين فان الله عز وجل قد نظم المجتمع بحيث يتمكن أن يعطي الكثير من الأنتاج ببذل القليل من الطاقة ، وذلك عبر سنن وقوانين نضرب فيما يلي أمثلة لها .

أ / حسن الظن :

فحينما تحسن ظنك بأخيك المؤمن ، وتستمع اليه استماع واع وليس استماع ممار ومجادل ، فان هذا يساعد على فهمك له وفهمه لك بصورة ميسورة وسريعة ولكن الكثير من الوقت يذهب منا في سبيل اقناع بعضنا بعضا ،

ولو كان حسن الظن موجودا بيننا لوفرنا هذا الوقت الاضافي .

ب / ضبط الوعد :

لضبط الميعاد .. أثر بالغ في توجيه المجتمع وتقليل الطاقات المصروفه ومضاعفة الانتاج ، وكثير من الأوقات يذهب سدى لعدم ضبط الوقت والوفاء بالوعد .

ان القرآن الحكيم يمدح النبي اسماعيل (ع) لأنه كان صادق الوعد .

واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ﴾
(٥٤/ مريم)

فيذكر الله بأن اسماعيل (ع) قد تواعد مع أحد في مكان فوقف ينتظره فيه ، أما ذلك فقد نسي الوعد وذهب لأمره ، وبعد سنة مر ذلك الرجل بنفس المكان واذا به يجد النبي اسماعيل (ع) واقفا ينتظره ، فقال لماذا أنت واقف هنا ؟ قال أو لم تواعدني أن أبقى هنا الى أن تأتي لمقابلتي ؟ قال منذ سنة وأنت واقف في هذا المكان ؟ !! قال نعم ، ان الله أمرنا أن نفي بالوعد .

ج / الوفاء بالعهد :

لولا الثقة الاجتماعية ، ولولا أن يقوم كل انسان بدوره في ايفاء عهوده مع الأخرين، وأداء أمانات الناس لديه ، اذن لم يبق في المجتمع شيء يمكن أن يربط أبناءه مع بعضهم البعض ، ولو كان الوفاء بالعهد شيئا عاما بين الناس لما احتجنا الى هذه الطاقات الهائلة التي تذهب هدرا ، بسبب الروتين الذي نراه في الدوائر الحكومية وغيرها.

د / القيادة المطاعة :

أهم كل هذه الامور ، هي القيادة المطاعة بـأذن الله ، التي تستطيع ان تستقطب طاقات الناس وتعبئها وتوجهها وتحقق مكاسب هائلة بعمل بسيط نسبيا اذا قسناها مع تلك المكاسب ، كيف ذلك ؟ قد تجد في سورة النساء اجابة على هذا السؤال علماً بأن هذه السورة هي التي سبق وأن قلنا بأنها مخصصة لبيان التجمع الاسلامي وسماته ، يقول القرآن الحكيم ابتداء من الآية ٦٤

* وما أرسلنا من رسول الا ليطاع بأذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ، ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتاً ، واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ، ولهديناهم صراطا مستقيما ، ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاء ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما *

(من آية ٦٤ الى آية ٧٠/النساء

وبالتدبر في هذه الآيات الكريمة ، نجد عدة قضايا هامة في غاية المتانه والدقة لا يستطيع النظر العابر ان يلاحظها ، يقول الله سبحانه وتعالى بأن وجود الرسول - هو الذي يمثل القيادة - ليس للبركة فقط وانما للطاعة بصورة أساسية .

﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ﴾
(٦٤/النساء)

ولو كان الرسول موجودا ولم يطع ، فوجوده وعدمه سواء ولن ينفع الناس شيئا ، وكذلك كل من يمثل القيادة الشرعية .

لا تكتف أن تقول أنا أنتمي الى الجهة الفلانية واتبع فلانا ، فهذا لا يكفي فهل أنت مع فلان وتتبعه ، أم تكتفي ببركة أسمه ، وهل أنت مع الجماعة الكذائية وتندمج معهم أم تكتفي بشعاراتهم ، فالانتماء النظري من دون الطاعة الفعلية مرفوض في المفهوم الاسلامي .

والقرآن يضيف الى هذه الحقيقة فكرة أخرى حيث يقول :

﴿ ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾
(٦٤/النساء)

أي ان القيادة الاسلامية يجب ان تكون مطاعة الى درجة ان الانسان حينما يقصر في واجباته الدينية ، ولا يطبق برامج هذه القيادة ، فلا يكفي أن يستغفر الله وحده وانما عليه ان يأتي الى القيادة ويستغفر الله عندها ، حتى يستغفر له القائد من تلك الذنوب ، وعند ذلك يكون احتمال الغفران واردا ، انظروا .. حتى مغفرة الذنوب والتي تنبع من فضل الله سبحانه ورحمته فان القرآن يربطه بأذن القيادة . بعدئذ يقول ، الطاعة المطلوبة ليست الطاعة القشرية والخارجية فقط ، وانما يجب ان تكون نابعة من قناعة نفسية ، ومن رضا القلب .

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بيهم

ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت(أي ضعفا وقلقا وعدم رضا) **ويسلموا تسليما** (أي تسليما نفسيا لأوامر القيادة) * (٦٥/النساء)

ثم أن الطاعة للقيادة يجب الا تكون في القضايا البسيطة فقط ، ولا تكون فقط في تنظيم طاقاتك التي فجرتها حتى الآن في نفسك وأعطيتها من ذاتك ، وانما يجب أن تكون من أجل تفجير طاقات اضافية كامنة في نفسك ومن أجل ان تبلور شخصيتك ، ومن أجل القيام بألاعمال العظيمة التي لا يمكنك القيام بها لوحدك ، وانما تتشجع بأمر القيادة على تنفيذها .

*** ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا** * (٦٦/النساء)

هذا هو مستوى طاعة القيادة ، فالقائد لو قال لك اقتل نفسك أو اخرج من بلدك فلا تترد ، وان الذين يترددون عن تطبيق الاعمال العظيمة التي تأمرهم بها القيادة ، يعبرون بذلك عن اهتزازهم وضعف شخصيتهم وفي نهاية أمرهم سيصابون بالشر والضر أما الذين يتبعون القائد حتى في الأوامر الصعبة التي تحتاج الى أقصى حدود التضحية فان عاقبتهم ستكون خيرا ، *** لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا** * — أولا هذا خيرا ، ثانيا هو ثبات واستقامة على الطريقة .

ثم يبين لنا القرآن جانبا آخر /

*** واذن لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ، ومن يطع الله**

والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ (٦٧/٦٨/٦٩/٧٠/ النساء)

بالتدبر في هذه الآيات نعرف انهذا المستوى من القيادة سوف يحقق للجمتمع ثلاثة مكاسب :

اولا :

حينما يكون المجتمع بهذا المستوى من الطاعة فأنه سوف يتقدم ، ويشمله من الله سبحانه وتعالى فضل كبير .

ثانيا :

ان هذا المجتمع سوف يكون على الطريقة السليمة وسيكون وعيه وعلمه ومعرفته في مستوى من النضج والبلورة بحيث تعصمه من الانزلاق والانحراف ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ .

ثالثا :

هذا في الدنيا أما في الآخرة فان هذا المجتمع سيحشر ﴿ مع النبين والصديقين والشهداء والصاليحن وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

ثم في الآية الأخيرة ، يذكرنا القرآن الحكيم بأن مستوى الطاعة ليست قضية الأدعاء وانما قضية يعلمها الله سبحانه وتعالى / ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ .

نستوحي من هذه الآيات الكريمة الاجابة على ذلك السؤال الذي سبق وأن طرحناه ، وهو /

ما هي العلاقة بين فاعلية المجتمع وحيويته ، وبين

الطاعة التامة للقيادة من جهة ثانية ؟

يبين لنا القرآن الحكيم في هذه الآيات تلك العلاقة بالنقاط التالية :

أولا :

أن كثيرا من طاقات المجتمع تذهب هدرا ، لعدم وجود تنظيم بتكاملية هذه الطاقات ، فبدون ذلك التنظيم ، وحتى مع وجود العاملين المخلصين الذين يقدمون أقصى ما لديهم في سبيل المصلحة العامة ، فان المجتمع غالبا لا يجني ثمار جهوده ، فقد يقوم أحدهم مثلا بتأليف كتاب عن حياة الرسول الأعظم (ص) ، وبدل أن يقوم آخر بالتأليف حول حياة النبي ابراهيم (ع) فانه يذهب ويكتب كتابا في ذات الموضوع ، وهذا يسبب تكرارا وتبديدا للطاقات التي كان ينبغي أن تسير في خط متكامل .

وهناك نتائج هامة لهذا التكامل في عصرنا الراهن ذلك ان الحضارة الحديثة مبنية على أساس التكامل ، فمن دونه لم يقدر ان يشترك ثلاثمائة ألف عالم في صنع (ابو لو) لغز القمر فلولا التكامل الذي هو نتيجة التنظيم ، ولولا التنظيم الذي هو نتيجة الطاعة لما تكاملت جهود هؤلاء العلماء وعلومهم .

القيادات الاسلامية توفر للمجتمع الاسلامي المطيع لها تكاملية الجهود والطاقات التي تذهب هدرا في الصراعات الاجتماعية ، فكثيرا من طاقات المجتمع تذهب هباء بسبب تحول التنافس البناء في هذا المجتمع الى صراع عدواني . كل جناح وكل جبهة وكل حزب يحاول ايقاف الجناح والجبهة والحزب الآخر ، فيصبح المجتمع أشبه بسيارتين تتدافعان في اتجاهين متضادين وكلما

تتحرك هذه السيارة فانما تكون حركتها في سبيل ايقاف حركة السيارة الثانية ، فالحركة تذهب هدرا والسيارتان واقفتان في مكانهما .

انظروا .. الى العالم الاسلامي ، وانظروا .. الى المجتمعات التي تسمى بالاسلامية وهي ابعد ما تكون عن الاسلام ، ثم فكروا ! كم هي الطاقات التي تبدد في الصراعات الداخلية ، سواء الصراع الذي يبدأ بين زميلين في المدرسة ، أو في العمل ، أو بين زوج وزوجته أو الصراع الذي يكبر ويكبر ويكبر ليصبح بين تيارين اجتماعيين أو بين دولتين .

ان الصراعات الاجتماعية تبدأ صغيرة ، تبدأ بسبب نفوس متوترة تتفجر ضمن صراعات اجتماعية كبيرة ، والاسلام يريد أن يقضي على جذور الصراع الهدام ويحوله الى تنافس بنّاء ، فيقول القرآن الحكيم :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾

(٦٥/النساء)

أي فيما اختلفوا فيه ، وبعدما حكمت يكون هناك جوّ من الراحة النفسية والسكينة القلبية **﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾**

(٦٥/النساء)

اذن من العوامل الأساسية أن تتكامل جهود المجتمع الاسلامي الذي يتمتع بهذا المستوى الأرفع من الطاعة للقيادة ، ولا تتناقض مع بعضها البعض ، وأن تتحول صراعاته الى تنافس بناء متكامل ، وهذا يوفر للمجتمع المزيد من الطاعة ، وحينما تتوفر هذه الطاقات وتحفظ من التشتت في ايقاف بعضها البعض ، فانها تكون قادرة على بناء حضارة رسالية

ثانيا :

الطاعة للقيادة توفر حالة من التركيز الشديد القادر على اختراق أعتى المشاكل والعقبات التي تحول بين المجتمع وانطلاقته الحضارية ، فانظروا .. الى نور الشمس انه موجد في كل مكان ولكنه لا يستطيع أن يسبب نارا أو يحرق شيئا ، ولكن ضع هذا النور بالذات في زجاجة مقعرة وركز النور من خلالها على شيء معين ، تجد أنه يسخن ويحترق وهذه الفكرة استخدمها اليونان القدماء في احراق سفن الأعداء ، وبصفة عامة فان تركيز أي شيء يسبب نتائج غير النتائج المتسببة من نفس الشيء في غير حالة التركيز .

ان المجتمعات المتخلفة الآن في العالم تستخد فكرة الخطة الخمسية تستخدم بعض هذه العقد ، فتركز جهودها وتشد الأحزمة لمدة خمس سنوات ثم تلتحق بعد ذلك بركب الحضارة . ففي الخطة الخمسية الروسية ، ركز الاتحاد السوفياتي فيها جهود شعبه ، وبدأ مسيرته الحضارية التي نراها الآن ، وكذلك ألمانيا واليانان قبل الحرب وبعدها ، وكثير من بلاد العالم انما استطاعت أن تصل الى مستوى متقدم من الحضارة بسبب تركيز جهودها لفترة بسيطة ، ولكن لايزال ثلثي العالم يعيشون الآن حالة التخلف والحرمان .

العقد الحضارية .

لماذا أولا يملكون الطاقات والموارد ؟ أو ليسوا بشرا كغيرهم ؟

بلى ولكنهم يفتقدون شيئا واحدا هو تلك القدرة القيادية التي تستطيع أن تعبىء طاقات الأمة في لحظة واحدة وفي اتجاه معين وتتغلب بها على العقد الحضارية

لهذه العقده التي نراها عندنا والتي أشبه ما تكون بالحلقة المفرغة حيث لا ندري ماذا نعمل ، فالأشياء متشابكة ومرتبطة ببعضها ، فمثلا .. نحتاج الى مهندسين ، وهذا يجعلنا بحاجة الى كليات لتخريجهم وهذا بدوره يجعلنا نحتاج الى المال اللازم لتمويلها وبالتالي نحتاج لعمل صبغة تأتينا عن طريق تحسين الزراعة التي تحتاج بدورها الى آدوات زراعية ثم الى المصانع التي تنتجها ، والتي نحتاج الى المهندسين لادارتها وهكذا ندور حول أنفسنا ونراوح في مكاننا ولن ينقذنا الا دفعة قيادية هائلة تتكون من قائد كفؤ وشعب مطيع ، حتى ننفلت من هذا الطريق ونواصل مسيرتنا الحضارية .

وهناك في بعض البلاد التي تعاني من المشاكل العرقية كل الاطراف يعلمون أن هذه مشكلة ، ويريدون تجاوزها ولكنهم لا يستطيعون لأنهم يفتقرون الى تلك الهيمنة القادرة على تذويب المشكلة لفترة من الوقت حتى تنتهي الى الأبد .

انظروا .. كم سنة ظلت الحرب قائمة بين الأوس والخزرج ؟ لقد استمرت هذه الحرب عشرات السنين كانت النساء يلدن من أجل أن يشبوا للحرب ، واستمرت الحرب حتى جاء رسول الله لأن العنصر القيادي كان مفقودا قبلئذ حتى جاء واستطاع رسول الله (ص) وبهيمنته السماوية أن يعالج هذه المشكلة وينهيها الى الابد .

هذه العقد الحضارية الموجودة في الأمم بالذات في المجتمع الاسلامي والتي أصبحت عقبة في سبيل تقدم المجتمع ورفاهيته ووحدته ، ومن الممكن حلها عن طريق القيادة وهذه تشير اليها الآية الكريمة التي تلوناها آنفا والتي تقول :

﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ﴾
(٦٦/النساء)

ان هذه الموعظة خدمة لهم ، وخير لأنفسهم فهي تدفع المجتمع الى أن يقاوم ضغوط العدو ويصمد أمامه .

مثلا المجتمع المسلم في ايران ، والذي استطاع خلال ما يقرب من ثلاث سنوات أن يقاوم ضغوط أمريكا ومن يدور في فلكها ، ان هؤلاء الذين حاولوا أن يقوموا بالأفساد والتخريب عن طريق اثارة النعرات الطائفية والعرقية جعل المسلمون الايرانيون يصمدون أمام هذه المشكلة وضحوا ، وذهبوا الى كردستان وحاربوا في ظروف حرجة جدا وقدموا من دمائهم وأفلاذ أكبادهم في حين أن الجيش الايراني لم يقدم شيئا لأنه كان لايزال آنئذ جيشا طاغوتيا .

لقد هبّ الشباب المسلم .. الحرس الثوري ، واللجان الثورية ، وجهاد البناء ، فذهبوا وجاهدوا جميعا وحزّت رؤوس بعضهم ولكنهم صمدوا ، ثم كانت قضية تفجيرات القنابل ، وبعث المخربون من العراق الى مناطق آبار البترول ، ولكن المسلمين صمدوا ، ثم كانت قضية ربط الخيوط الاستعمارية ببعضها ، ومحاولة ايصال جماعة من أمثال أحمد مدني ، وحسن نزيه الى مراكز قيادية ، فصمد المسلمون أمام هذه المؤامرة أيضا ، وصمدوا امام التخريب في الدوائر ، ثم صمدوا أمام الحرب البعثية ، والحصار الاقتصادي ، واستمروا على صمودهم هذا ليحرزوا استقلالهم ، واذا استمروا على هذه الحالة لسنين قادمة أخرى فآنئذ يتعب الأمريكيون والأجانب وعملاؤهم ، وييأسوا

من هذا الشعب فيكفوا أيديهم ويموتوا بغيظهم ، وآنئذ فقط تحصل ايران على الاستقلال الحقيقي ، وتبقى حرة لمئات السنين .

أما هذا العبد الضعيف الارادة ، المتهاوي الشخصية الجبان الذي يسمي نفسه بأنور السادات ، لم يصمد لمدة أيام أمام الضغط ، فلو أنه صمد قليلا أمام الثغرة التي فتحها الاسرائيليون في حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، في دفرسوار، لما اضطر الى هذه الاتفاقية المذلة وهي اتفاقية كامب دافيد ، والى أن يبيع مصر وشعب مصر والشعوب العربية لاسرائيل وأسيادها .

لماذا انهارت مصر في مواجهتها مع أمريكا في حين صمدت ايران ومرغت أنف أمريكا في التراب ؟

الفرق بين الشعبين يكمنفي القيادة ، هنا في ايران قيادة الامام الخميني حفظه الله) وهناك في مصر عميل يحكم الناس بأسم أنور السادات .

ان المشكلة في المجتمع الاسلامي ، وفي أي مجتمع آخر ، ليست في القيام بالأعمال الروتينية اليومية وانما المشكلة الحقيقية تتجسد في وجود عقبة كأداء أمام المجتمع عليه ان يتحداها وان يتغلب عليها عن طريق تركيز جهوده ، والقيادة الرشيدة المطاعة هي التي تستطيع ان تركز الجهود وتعبئها في لحظة واحدة وباتجاه واحد ، لتحطم بها العقد التي تشل المجتمع وتكبّله .

اهداف المجتمع الأسلامي

١ـ الجهاد : رسالة المجتمع.

٢ـ التقدم الحضاري هدف من اهداف المجتمع الاسلامي.



الجهاد: رسالة المجتمع

ان السبب الثالث لحيوية المجتمع الاسلامي وفاعليته الكبيرة هو التنظيم • حيث أن الاسلام يؤمن بالتنظيم جوهرا واطارا • ان جوهر التنظيم هو التعاون والعلميه ، أي تعاون الجهود في خطة يصنعها العلم • وبهذا فان الاسلام يضع شرطين أساسيين للتنظيم الاجتماعي •

العلم ربان العمل •

الشرط الأول : أن يكون العمل وفق المنهج العلمي • فالاسلام يعتبر العلم عنصرا جوهريا في المجتمع • ويهتم بالعلم والعلماء • كما أنه يجعل العلم قصب السبق الذي يتنافس عليه الناس ، ويجعل المعرفة الهدف الذي يريد الجميع الوصول اليه • يقول رسول الله (ص) :

((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) •

((اطلبوا العلم من المهد الى اللحد)) •

((اطلبوا العلم ولو كان بالصين)) •

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

((قليل من العمل مع العلم ، خير من كثير العمل بدون العلم)) •

وهكذا يؤكد الاسلام على العلم ، ويجعل طلب العلم هدفا اساسيا يتطلع اليه الانسان •

غير أن العلم بلا عمل لا قيمة له اطلاقا ، ولئن كان العلم ضروريا ، فاقتران العلم بالعمل أكثر ضرورة والحاحا . فيقول الاسلام :

((عالم بلا عمل كشجرة بلا ثمر)) .

ويقول أيضا :

((العلم يهتف بالعمل ، فان أجابه والا ارتحل)).

وهكذا فهو يجعل هدف العلم هو العمل به ، وبذلك يحقق الاسلام علمية العمل ويؤكد على هذه الفكرة بالذات عبر وصايا كثيرة ، كقول الامام علي (ع) لكميل بن زياد :

((ياكميل ، اعلم بأنه لابد لك قبل كل جولة من فكرة)) .

فالفكرة تسبق الجولة ، والعلم يسبق العمل ، وبذلك يجعل العمل مقارنا بالعلم ومزكّى به . وهناك أحاديث كثيرة تؤكد على هذه الفكرة بالذات ، وهو بأن يكون عمل الانسان نابعا من علمه ، ووفق خطة علمية ومنهجية محددة سلفا . وربما تشير كلمة البصيرة في الاسلام الى فكرة العمل العلمي .

البصيرة القرآنية .

البصيرة في القرآن تعني العمل وفق هدى العلم . اذا كان العمل منطلقا من هوى الانسان وشهوته ، أو من ارتجاله ورد فعله العشوائي ، ان هذا يؤدي الى ضرر كبير وشر مستطير ، أما العمل المنتج فهو الذي ينبع من معرفة الانسان وعلمه وعقله . وقد تكررت كلمة البصيرة في القرآن حوالي سبع مرات للتأكيد على أن القرآن طريق هدى وبصائر ، وأن الرسول على بصيرة ومن اتبعه .

التعاون روح المجتمع ٠

الشرط الثاني : أن يكون العمل تعاونيا جماعيا ، وليس انفراديا انعزاليا ٠ فالاسلام يأمر أن يجري العمل في اطار التعاون ، ولا يكون انفراديا، ويضع أساليب تشجع على بث روح التعاون بين أعضاء المجتمع الاسلامي ٠ فمنها :

ألف) اخراج الانسان من قوقعة الانغلاق والتمحور حول الذات الى الانفتاح على الآخرين ٠ والاسلام يخرج المرء من قوقعته باعطائه التعاليم التي تصب في قنوات الحب للآخرين ، وانما جاء الدين ليبدّل محور اتجاه الانسان من محور ذاته الى محور الأخوة الاجتماعية ٠ وبالتالي يخرج الانسان من ظلمات نفسه الى نور الحق ، ومن سجن أنانيته الى رحاب الواقع ، ومن عمى انغلاقه الى بصيرة انفتاحه ٠

هذا هو هدف كثير من التعاليم الاسلامية التي تحاول أن تخلق الشخصية الرسالية والفاعلة عند افراد المجتمع ومن هنا يمكننا التأكيد على ان هذه التعاليم تعطي المجتمع الاسلامي امكانية الاستفادة من القدرة الهائلة الناتجة عن التعاون البناء بين أفراده ٠

باء) التأكيد على التعاون ذاته ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾

(٢/المائدة)

جيم) التأكيد على التعارف ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

(١٣/الحجرات)

ان المعرفة بالأخرين هي الخطوة الأولى التي تمهد الطريق نحو التعاون معهم . حيث انها تقود الى اكتشاف نقاط القوة والضعف الموزعة بين الأفراد وكذلك بين المجتمعات ، ومن ثم ينفتح السبيل امام تبادل المنافع والمصالح لما فيه خير الجميع .

هذه الظاهرة تنطبق على الدول فانّها تتفاوت فيما بينها من ناحية الموارد الطبيعية والثروات ، والقدرات التكنولوجية ، والطاقات البشرية العاملة . فتعارف هذه الدول عن طريق الوفود والبعثات والزيارات المتبادلة ، يمكّن كل دولة من الحصول على احتياجاتها ، واعطاء الفائض لديها لآخرين يحتاجونه . وبذلك يمكن للبرامج الاقتصادية والمشاريع التنموية أن تسير قدما الى الأمام كما تنطبق أيضا على الأفراد حيث يتفاوت الناس من جهة المواهب والاستعدادات الطبيعية والمكتسبة فقد يملك انسان العلم ، وآخر يملك المال ، وثالث لديه خبرة جيدة في الطباعة ، ورابع يتمتع بموهبة تجارية ولديه دار للنشر والتوزيع . كل واحد من هؤلاء الأربعة لا يستطيع بمفرده أن يفعل شيئا ، وأما اذا اجتمعوا وتعارفوا ، ومن ثم تعاونوا ، فيمكنهم اذ ذاك أن يزودوا المجتمع بالكتب النافعة التي يحتاج اليها . وهناك مئات بل ألوف الأمثلة لمجالات التعاون بين الانسان وأخيه الانسان ، كأفراد ، أو كتنظيمات اجتماعية على مستوى الدول .

فالاسلام يؤكد على التعاون وعلمية العمل ، وهما الركنان الأساسيان لتنظيم المجتمع . والمجتمع الاسلامي منظم ، مجتمع لا يخرق من قبل القوى المعاديه ، لانه متماسك ومتعاون مع بعضه ، ولا يسير الا على منهجية العلم .

وبعد ما يوفر الاسلام جوهر التنظيم في المجتمع وهو علمية العمل وتعاونيته وتكامليته ، فهو يؤكد على التنظيم ذاته . فترى الامام علي (ع) في آخر وصيته لأولاده ولشيعته ومواليه يقول :

((الله الله في نظم امركم ، وصلاح ذات بينكم)).

يقول اتقوا الله أيها المسلمون في تنظيم أموركم، ولا تدعوها فوضى ليس ذلك من الصلاح في شيء . والاسلام مهما يأمر بالتنظيم ويجعله واجبا شرعيا ، يجب أن يتقي الانسان ربه في تطبيقه كما يتقي ربّه في الصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الواجبات الدينية الأخرى ، وهناك نصوص أخرى تؤكد على التنظيم بتعابير مختلفة .

كيف يقوم التنظيم بتوفير الحيوية والفاعلية في المجتمع ؟

أولا : التنظيم يولد التشجيع على العمل .. الانسان عندما تكون اموره منظمة ، فان نفسيته تنفتح وعقله ينطلق وجسمه يتحرك ، أي أنه يجد التشجيع الملائم للاندفاع نحو العمل البناء والعطاء الخلاق وتكون جهوده مثمرة ، لانها تصبح بفضل النظام والتنظيم متكاملة مع جهود الاخرين .

ان هناك كثيرا من الناس يريدون أن يعملوا ، ولكن ليس هناك من يشجعهم على العمل . بل غالبا لا يجدون غير التثبيط والتخذيل فتفتر هممهم وتخور عزائمهم وبما أن نفس الانسان طبيعيا تنزع الى الراحة والكسل والتواكل وما أشبه ، فاذن يشترك التثبيط الخارجي مع التثبيط الداخلي ، فتكون النتيجة القعود عن العمل .

ان اكثر من تقدم في الحياة انما تقدم بسبب توفر الأرضية الصلبة التي تشجع على العطاء والعمل ، وقليلون

هم الذين استطاعوا أن ينطلقوا من الرمال الرخوة المتحركة . ان المجتمع الذي يشجع ويدفع الى العمل يصبح مثل القاعدة الصلبة التي يمكن للأفراد أن ينطلقوا منها ويتقدموا ، بينما المجتمع الذي يخوّر العزائم ويثبّط الهمم يكون كما الرمال الرخوة التي تبتلع الجهود .

ثانيا : التنظيم يرفع العقبات من امام أفراد المجتمع ليواصلوا مسيرتهم . ذلك أن الفرد لا يملك سوى امكانيات محدودة ، أما التنظيم فانه يتمتع بامكانيات أوسع بكثير ويستطيع امداد أفراده ويرفع هذه العقبة من امامهم ليواصلوا المسير ، فان كانت العقبة مالية فان التنظيم يوفر الأموال اللازمة ، وان كانت العقبة علمية فانه يوفر المعلومات النوعية المطلوبة ، وان كانت العقبة أمنيّة ، كما في الدول التى تحكمها أجهزة طاغوتية ، فان التنظيم يوفر الحلول الصحيحة لتجاوز العقبات الأمنية عن طريق العمل السري ، أو نقل النشاطات الى الخارج ، وغيرها من الأساليب . وهكذا فمع وجود التنظيم يمكن السيطرة على جميع المشاكل ، والصعوبات التي تعترض العمل الرسالي البناء .

ثالثا : التنظيم يعطي القدرة على الاستمرار في العمل والوصول به الى غايته ، فأنت مثلا ، اذا بدأت بعمل ما ثم اعترضتك عقبة في الطريق .. مرضت أو سجنت أو هاجرت وما أشبه ، فان هناك من يأتي وراءك ويتابع مسيرتك عندها تشرع بعملك هذا بكل ثبات واطمئنان ولا يعرقلك القلق والتردد .

ان الاعمال العلمية الكبيرة والانجازات الحضارية الضخمة لا يقوم بها فرد ، وانما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب خطة تكاملية مدروسة ، وهذه هي طبيعة

الحياة ، فالعلم وخصوصا في عالمنا الحاضر لا يتقدم عبر أناس بل عبر مجموعات منظمة كما تلمس ذلك في المجالات المادية كمشاريع البناء والانشاءات والاعمال الصناعية التكنولوجية ، وهكذا وصول الانسان الى القمر ، وانتاج الطاقة النووية وسائر الاختراعات والمكتشفات العلمية الحديثة ، وكذلك في المجال الفكري ككتابة الموسوعات العلمية ودوائر المعارف الى غير ذلك من المكاسب الحضارية ، ومن هنا نعرف أن التنظيم يوجد خاصية الاستمرارية .

وكمثال على ذلك ، كان هناك اثنان من العلماء كل منهما اسمه " جلال الدين " شرع أحدهما في كتابة تفسير للقرآن ، فما أن وصل الى منتصفه حتى مرض ومات وبعد عدة سنين قام العالم الآخر باكمال العمل ، فكتب التفسير من منتصفه الى آخره . فأنجز العمل بنجاح ، وأصبح هذا التفسير يمسى بتفسير الجلالين .

وهذا يكشف اثر الاستمرارية في اعطاء الدفع والحيوية للعمل ، وبالتالي الوصول الى أهداف ما كان يمكن الوصول أليها لو لا هذه الخاصية .

المجتمع الاسلامي مجتمع حيوي وحيويته نابعة من وجود التنظيم فيه ، ومن وجود القيادة الحكيمة الواعية وطاعة الافراد وذوبانهم في تلك القيادة . وهنا أشير الى ملاحظة هامة وهي أن كثيرا من المسلمين يعتقدون أنهم مسلمون بسبب ما يتلفظون به من الشهادتين أو ما يؤدونه من العبادات المجردّة ، وهم في الواقع ليسوا كذلك . نعم ربما يكونون مسلمين بالألفاظ ، أو بالجنسية ، أو حتى باقامة الشعائر الدينية . ولكنهم اذا نظروا الى واقعهم وفحصوه ، لوجدوا أن حياتهم أبعد ما تكون عن التنظيم الذي يدعو اليه الاسلام .

الحياة المنظمة تختلف عن هذه الحياة التي نراها. نحن نعيش في البلاد الاسلامية - ومع الأسف الشديد - حياة الأفراد المبعثرين لا حياة الجماعات المنظمة . وهذه ليست حياة اسلامية أبدا . ان الحياة الاسلامية الحقة هي حياة جماعية منظمة يسود فيها التعاون والتكامل وتتفاعل فيها الطاقات والأفكار وهذه هي القضية الحيوية التي ندعو اليها .

ان حياة التنظيم والتعاون لا يمكن تحقيقها بصورة فجائية وشاملة لكل أبناء المجتمع الاسلامي . وانما من الضروري أن تبدأ على نطاق صغير . كل انسان ينبغي أن يفتش عمن يتعاون ويتفاعل معهم . ان الاسلام لا يحب الحياة الانفرادية ، بان يعيش الفرد المسلم وحده . انه يقول:

" والشاردة للذئب "

أي أن الشاة التي تشرد من القطيع تصبح من نصيب الذئب . كذلك الانسان الذي يعيش لوحده ، فانه يصبح من نصيب الشيطان الذي هو أخطر من الذئب .

لذلك فان عليك أيها المسلم أن تبحث عن مجموعة تنتمي اليها ، واذا لم تجد هناك تجمعا يمكن أن تصب عملك وجهدك في تياره ، فعليك أن تصنع تجمعا وتخلق العمل الجماعي المنظم . اجمع حولك خمسة أو ستة أفراد من الذين ترى أن نفسيتك منسجمة مع نفسيتهم ، وارادتك متوافقة مع ارادتهم ، وطبيعتك متناسبة مع طبائعهم . وآنئذ كوّن الخلية الايمانية الصادقة ، والفئة المخلصة المتحابة في الله ، المتعاونة من أجل خير المجتمع ، وحاول أن تكمل حياتك بحياتهم .

وفي هذا الأمر لا ينبغي أن ننتظر اسقاط الطاغوت الحاكم حتى نحققه ، ونقول مادام الطاغوت موجودا ، فهو لا يسمح

لنا بأن ننظم أنفسنا ، ولا يدعنا نجتمع ان هذا الرأي هو الخطل بعينه لأن بقاء الطاغوت يستمر لحين يتكون المجتمع الاسلامي الصالح ، الذي هو البديل الضروري لاسقاط الطاغوت ، حيث أننا لا نهدف من اسقاطه الى أن يأتي طاغوت آخر مكانه . بل نريد حكم الله ، وتطبيق الشريعة الاسلامية التي لا يمكن تطبيقها الا على مجتمع اسلامي مهيأ لتقبلها .

ان أغلب الدول الاسلامية تحكمها سلطات طاغوتية لا تعترف بشرعية السماء ، ولا تعمل لقيام المجتمع الاسلامي الذي يسير في خط التوحيد ويطبق التعاليم القرآنية نصا وروحا . بل على المجاهدين الرساليين أن يعملوا لأقامة مثل هذا المجتمع ، ولن تستطيع السلطات الفاسدة أن تحول بين المؤمنين المخلصين الجادين وبين تنظيم أنفسهم وتكامل فعالياتهم مهما استخدمت من وسائل القمع والارهاب .

ان اقصى ما تستطيع ان تفعله هو أن تبث الخلافات وتسبب سوء الظن بين أفراد المجتمع ، وتوهن العزائم ، وتزرع انعدام الثقة في النفوس ، ولكنها لا تتمكن أن تجبر أحدا على تصرف معين ، ان كان يملك الارادة والعزيمة . فحتى السجون التي تستخدمها السلطات الطاغوتية كوسيلة للضغط ، حيث تضع المجاهدين في زنزانات انفرادية مظلمة وموحشة ، فان هؤلاء يتمكنون بطريقة أو بأخرى أن يتصلوا مع بعضهم ، ويتعاونوا رغم الجدران السميكة التي تفصل بينهم ، لأن الطغاة لا يقدرون على منع الناس من التعاون والتكامل .

من هنا ندعو جميع الاخوة والأخوات الى أن يبدأوا مسيرة التعاون ، مسيرة بناء المجتمع الاسلامي الذي يستطيع أن يسقط الحكومات الظالمة ويقيم الحكومة الاسلامية

التي ترضي الله سبحانه وتعالى وتعمل لخير المسلمين جميعا بل لخير كافة مستضعفي الأرض . وعند التعاون تكتشف أن كثيرا من طاقاتكم الكامنة تتفجر ، وتزداد الحيوية في أنفسكم مائة بالمئة ، لأن في التعاون خيرا وبركة . ولا تنسوا الحديث الشريف الذي يقول :

((يد الله مع الجماعة)) .

أي أن بركة الله ورحمته وقوته انما هي مع الجماعة المجتمعة على كلمة واحدة .

● التقدم الحضاري من اهداف المجتمع الاسلامي

الجانب الحضاري للمجتمع الاسلامي .

ان هذا الموضوع يتصل بواقعنا اتصالا وثيقا ، فان الذي نشاهده في العالم الاسلامي من المآسي والويلات والحرمان ، ومن سيطرة الطغاة والأجانب ، ومن عربدة اسرائيل واغتصابها لحقوق شعبنا الفلسطيني . ومن تحول اسرائيل من مغتصب لأرض وحقوق شعب ، الى سلاح مشهور على رقبة الأمة الاسلامية والى اداة فعالة بيد الاستعمار في هذه البقعة المقدسة من العالم .

كل ذلك انما جاء كنتيجة مباشرة لتخلف أمتنا . ان أمتنا ضعيفة ومفتتة ولا تملك من وسائل التكنولوجيا الحديثة ما تردع به الأعداء . فبينما تصنع اسرائيل الطائرات ، وتحصل على ثلث دخلها من بيع الأسلحة للعالم ، وبينما تقوم هذه الدويلة اللقيطة ببناء مجتمع صناعي متكامل ، وتكاد تصبح في عداد الدول الصناعية في العالم . فنحن لا نزال نلهث وراء الصناعة العالمية ، ونتسابق لشراء المنتوجات الجاهزة الصنع من هذه الدولة أو تلك ، وحتى لبناء جسر أو مدرسة أو لتنظيف مدننا ، فنحن نحتاج الى الشركات الأجنبية .

لقد زرت الرياض ، عاصمة الجزيرة في سنة فرأيت عمالا أجانب يعملون في تنظيف المدينة ، ولما سألت عن ذلك قال لي أحد الاخوان المواطنين هناك متندما .. شركة انجليزية تجلب عمالا كوريين لتنظيف بلدنا !

كما قرأت منذ أيام عن تعاون النظام الحاكم في الجزيرة مع خياطين من كوريا الجنوبية لخياطة ملابس الجيش .. حتى خياطينا ، وحتى الذين ينظفون بلدنا ، وحتى الذين يبنون لنا غرف نومنا ، يأتون من الخارج ، وهذا معناه التخلف .

التخلف له مفهوم واحد في العالم ، وهو أن تبيع المواد الخام ، وتشتري كل شيء مُصنّع . نحن نشتري حتى الماء من الخارج . لقد سألت مرة لماذا نستورد المياه الغازية معلبة من اليابان ، ولا نقوم بتحضيرها في بلدنا ، برغم أن العملية ليست أكثر من اذابة مسحوق في المياه المتوفرة عندنا ؟ قالوا في الواقع لا نقدر على ذلك .

التخلف ينخر في اعظمنا .

القضية واضحة ، وهي أن هذا التخلف الذي ينخر في اعظمنا هو سبب هذه المآسي التي نعاني منها . اننا نلهث وراء الصناعة الأجنبية لهثا انهم (أي الاجانب) يفتشون في بلادنا عن أسواق ومواد خام ، ليبيعونا كل شيء . ومادامت حالتنا في هذا المستوى من السوء فلابد ان ننتظر المزيد من استكبار المستكبرين علينا ، واستهتارهم بحقوقنا ، وضربهم لمدننا ومنازلنا .

هناك شيء واحد يحكم العالم اليوم وهو منطق القوة . ذلك المنطق الذي يجعل الأجانب يتدخلون في بلادنا ليل نهار ويضعون القوانين حسب ما يشاءون ويديرون أمورنا كما يريدون ولا يجدون من يقول كلمة اعتراض . لم يقل احد لاسرائيل لماذا ضربت المفاعل النووية في العراق ، ولا أحد قال لأمريكا لماذا أنشأت القواعد العسكرية في مصر والصومال وعمان ، ولماذا وضعت طائرات الأواكس في الجزيرة . ولم تنطلق صرخة حق

في وجه الاتحاد السوفيتي الذي تدخل في أفغانستان وذبح المسلمين هناك ودمر قراهم ومايزال يفعل .

مادمت ضعيفا فعليك أن تنتظر كل شيء . وكن قويا يحترمونك ، هذه هي الشريعة الحاكمة في العالم . فالحق للقوة وليس هناك حق آخر يعرفه العالم . ومادام هذا المنطق هو الحاكم بصفة عامة ، فلماذا نبقى ضعفاء ومتخلفين ، والى متى ؟

ما الذي ينقصنا عن الشعب الياباني الذي لم يملك غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية الا مدنا خربة ، وصناعة مدمرة بالاضافة الى مليوني قتيل ، لكنهم نهضوا من كبوتهم وشقوا طريقهم بعزيمة صادقة حتى غزت صناعتهم اليوم أسواق العالم . ولقد كان معدل دخل الفرد الياباني بعد الحرب مباشرة حوالي ثلاثمائة دولار سنويا ، والآن في سنة (١٩٨٠ — ١٩٨١) قفز الى اكثر من اثنى عشر ألف دولار سنويا .

ان الفرنسيين والالمان والبريطانيين وحتى الأمريكيين ، يبحثون الآن عن طريقة للحاق بالشعب الياباني ، بينما اليابان بلد مستعمر ولاتزال أراضيه تحت الاحتلال العسكري الأمريكي . وحتى أن اليابان لاتملك جيشا وانما تملك فقط وكالة للدفاع ، وكذلك الشعب الألماني . فان أقوى دولة أوروبية اقتصاديا هي ألمانيا الغربية ، بينما خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي تحمل ذكرى عشرة ملايين قتيل خسرتهم ، ولا تملك الا أنقاضا لحضارة سادت ثم بادت ، ولكنها تغلبت على مشاكلها وتقدمت . والذين ذهبوا الى ألمانيا رأوا مدنهم عادت جديدة ، وصناعتهم أصبحت متينة ، وقد استعادوا كل قوتهم وأكثر .

ما الذي ينقصنا نحن ؟

بالعكس فنحن نتمتع بميّزات كثيرة لم تكن متوفرة لديهم ، ونحن نملك ما لا يملكون . العالم كله يعيش على بترولنا ، ومواردنا ، وبلادنا تتميز باستراتيجية جغرافية فريدة من نوعها ، ولكن مع كل ذلك ترى أن دويلة الصهاينة تعربد في المنطقة دون أن يرد عليها أحد بأي رد ، اللهم الا عربدة الاذاعات العربية الفارغة . اسرائيل تعربد عبر طائرات الفانتوم حيث تقصف المدنيين في لبنان ، وتقتل الأطفال الرضع ، وفي مقابل ذلك ترى المؤتمرات العربية تلو المؤتمرات والتصريحات تلو التصريحات ، والمؤتمرون والمصرحون هم أول من يعلم انهم يكذبون لأنهم حينما يصرحون بتصريحات ضد اسرائيل ، فانهم يتعاونون معها من خلف الستار ويحاربون ايران وكل الحركات الاسلامية التحررية بل يحاربون حتى شعوبهم .

لقد قال رئيس مجلس الشورى الاسلامي ، حجة الاسلام هاشمي رفسنجاني حفظه الله ، كلاما أرجو ان يحمل على محمل الجد في المنطقة . قال ، نحن مستعدون أن نحارب دفاعا عن هذه الأنظمة الحاكمة في المنطقة ، لو صدقت وقطعت عمالتها ، لا أقول علاقتها وروابطها بل عمالتها للأجانب . فلتوقف البترول وتشترط لكي تعيد ضخه ، أن تكف الولايات المتحدة عن دعم نظام الغاصبين في فلسطين .. ونحن الايرانيون سنذهب الى تلك البلاد وندافع عن تلك الأنظمة ، ولكنهم لا يسمعون . ان الذي يسمع هذا النداء هو الشعب المسلم في المنطقة ، وفي العالم الاسلامي .

لماذا نهمل الحديث عن التقدم الحضاري .

أعود الى الموضوع وأقول ، ان سبب ضعفنا وبؤسنا وحرماننا ، والويلات التي تحيط بنا ، هو تخلفنا المزري. ان الاسلام هو المنهاج الذي جاء لكي ينقذنا من ضعفنا كما أنقذ آباءنا من قبل . وهذا الجانب ، وهو جانب التنمية الاقتصادية والحضارية في الاسلام ، مهمل عادة في أحاديث المؤمنين وتوجهاتهم ، وهذا غير صحيح لأن هناك تطلعا كامنا في نفوس الشعوب الاسلامية النامية يدعوهم الى اللحاق بركب الحضارة .

الغربيون كما الشرقيون يحاولون أن يسرقوا هذا التطلع وأن يجيروه في سبيل مصالحهم بأن يكذبوا على شعوبنا ، فمرة يأتون اليهم بنظام الرأسمالية ويقولون هذا النظام سوف يجلب لكم التقدم والحضارة . ومرة يأتون لهم بالنظام الاشتراكي ويدعون أنه الوحيد القادر على رفع التخلف والحرمان . انهم يكذبون ليسرقوا تطلعنا ، ويستغلوا جهلنا وقلة وعينا .

لذلك يجب على المفكرين الاسلاميين أن يركزوا على هذه المسألة ، ويبينوا أن سبب تخلفنا ، بالاضافة الى الاستعمار والثقافات الدخيلة ، هو بعدنا عن ديننا وقيمنا ، أو فهمنا الخاطئ لهما .

الاسلام هو دين التقدم والحضارة . وهناك عدة عوامل يوفرها الاسلام لتحقيق ذلك :

العامل الأول.

هو فك الأغلال النفسية والتحرر من الأغلال الاجتماعية. والتخلف في الواقع هو غل نفسي واجتماعي . والانسان بطبيعته اذا تحرر من أغلاله يصبح نشيطا وبناءا وفاعلا في الحياة . ولكن الأغلال التي يخلقها الجهل والجاهلية

والعقد النفسية عند الانسان هي التي تمنع انطلاق البشر . والاسلام يفك هذه الأغلال بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾
(١٥٧/ الاعراف)

فهو يضع عنهم الاتكالية .. وجاء في الحديث الشريف :

((ملعون من جعل كله على الناس)) .

ويضع عنهم الاعتماد على الجن والخرافة والأسطورة حيث أن هذه أغلال ثقافية ، ويحررهم من قيود الارتباط بالاشخاص على حساب المبدأ . فاذا قال لك الأخرون لو كانوا سادتك وكبراءك وآبائك توقّف ولا تتحرك فلا تسمع لهم وانما اتبع منطق الحق . هذه الأغلال وكثير غيرها لا مجال للتوسع فيها يفكها الاسلام عن الناس ويدعهم ينطلقون ويتقدمون .

العامل الثاني :

هو التمحور حول العمل الصالح . ولقد ذكرنا سابقا كيف أن الاسلام يعطي العمل الصالح القيمة الاساسية ويجعله محور التنافس في المجتمع . وفي حوالي مائة وعشرين موضعا ، يؤكد القرآن الحكيم على الربط العضوي بين الايمان والعمل الصالح . ولقد ذكرت لكم بأن القرآن يصرح بأن الذين يرثون الأرض هم الصالحون، وفسرنا الصلاح على أنه ليس شيئا جامدا وانما هو حركة وعمل في الاتجاه الصحيح . والصلاح ليس فقط في أمور الدين كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، بل الصلاح أيضا هو القيام بعمل يحكم العقل والدين بصلاحه .. فبناء المساكن صلاح ، وتعبيد الشوارع صلاح ، واقامة المصانع صلاح ، وزراعة الأرض صلاح ، وكل ما كان شأنه عمارة الأرض فهو عمل صالح .

ومن جهة أخرى و استكمالا للصورة ، فان الاسلام يحارب العمل الفاسد ، ويهاجم المفسدين بعنف شديد ويتوعدهم بأشد العذاب ، وجاء في القرآن الحكيم قوله :

﴿ انما جزآؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ﴾

(٣٣/ المائدة)

العامل الثالث :

هو الاهتمام بالعلم ، فان العلم هو قاطرة التقدم ، وعلم الانسان هو سلاحه ضد الطبيعة وهو الذي بعطية القدرة على تسخيرها . لقد بيّنا وتعلمون جميعا مدى اهتمام الاسلام بالعلم ، ومدى رفعه لشأن العلماء . ولاريب ان كلمة العلم و العلماء لا تعني فقط العلم بالدين ، بالرغم من أن علماء الدين في الاسلام لهم ميزتهم الخاصة بهم . الا أن العلم بصفته الشاملة هو الذي يؤكد عليه الاسلام بدليل أنه يقول :

((اطلبوا العلم ولو في الصين)) .

فهل كان الفقه في أيام رسول الله (ص) يدرس في الصين ؟ وانما كانت هناك العلوم المتنوعة . ومن الواجب على الناس أن يبحثوا عن العلوم التي يحتاجون اليها في أي مكان كانت .

العامل الرابع :

هو عملية العلم وعملية العمل . أي أن العلم لا يبقى غريبا وانما يصبح موجها للعمل . والعمل لا

يكون أعمى وانما يتبصر بالعلم وقد سبق وأن قلنا ان الاسلام يؤكد على الرابطة المتينة التي يجب أن تقوم بين العلم والعمل ، والقرآن الحكيم يسمي ذلك بالبصيرة .

العامل الخامس :

هو التعاون . ولم يأمر الاسلام بالتعاون ، ولم يسن أنظمة من أجل التعاون البناء ، ويؤكد على خلقيات وآداب تقرب الأفراد الى بعضهم لتسبب تعاونهم ولتتكامل فعالياتهم ،هناك حديث طويل حول التعاون وأهميته ودوره لبناء الحضارة البشرية .

العامل السادس :

هو حذف الزوائد التي تتطفل على حياة المجتمع . ان الانسان انما يسعى وينشط في سعيه ، ويجاهد اذا عرف أن مكاسبه التي تأتيه من وراء السعي والعمل والجهاد ، ستعود اليه شخصيا بالنفع أو الى من يريد هو أن تعود اليه . أما الانسان الذي يسرق جهده ويستغل سعيه فانه لا ينشط في السعي . والاسلام يؤكد عبر قوانينه الصارمة على العدالة الاجتماعية ويقتل الطفيليات التي تمتص البشر . فحينما نحدد الاسلام الرأسمال ولا يدعه يتكم في سعي الفقراء والكادحين . ويحدد السلطة ولا يدعها تستغل جهود المستضعفين . ويؤكد تأكيدا شديدا على الملكية الفردية في حدود العدالة الاجتماعية ، فان كل ذلك من أجل أن يقول للانسان ان سعيك يعود اليك ولا يعود الى غيرك . وبذلك يشجعه على العمل والسعي وبذل الجهد . وكمثل على ذلك فلسفة الاسلام في الميراث . ان الانسان لا يملك سعيه في حياته فقط ، وانما حتى بعد مماته سوف يورث سعيه الى أولاده . ان هذه الفلسفة تشجع على العمل والانتاج .

هذه العوامل وكثير غيرها هي عوامل حضارية يوفرها الاسلام • ثم أكثر من هذا حينما يحدد الاسلام الطرق الصالحة للعمل ، ويبعد الانسان عن الكسل والجبن والهم، وكذلك غن اقتراف المعاصي التي تسبب ضعفه وابتعاده عن الآخرين • فهو بذلك يبني المجتمع المتحمس النظيف الصحيح جسديا وعقليا •

هذه هي العوامل ، وهذا هو البرنامج •• انه الاسلام • يبقى أن نطبقه وأن نخرج أنفسنا من هذه الحلقة المفرغة • وانها قضية أساسية في حياة الشعوب النامية • فان العالم على أبواب الثورة الثالثة • وأنا احذر لو بقينا هكذا ، فان الفجوة بين البلاد النامية والبلاد الصناعية تتوسع • وقد تصل هذه الفجوة يوما الى حد أن البلاد النامية لا يمكن أن تلحق بركب الحضارة • وفرصتنا الوحيدة هي التحرك من الآن ، فرغم صعوبة هذا العمل البالغة ، الا انه لم يصبح مستحيلا بعد • وربما لو كنا قبل خمسين أو ستين سنة عقدنا العزم على اللحاق بركب الحضارة ، وشددنا الأحزمة وسعينا ، لكنا قد ردمنا هذه الفجوة ولحقنا بمن سبقونا وربما تجاوزناهم • ولكن القضية لم تعد بتلك السهولة واليسر •

غير أننا لا يمكننا أن نتغافل ، انه مصيرنا ومصير الأجيال القادمة ، وليس هناك الا هذا البرنامج • شرّقوا وغرّبوا ، وابحثوا في الدنيا فلن تجدوا غيره • الآن كل الكتاب والاقتصاديين في العالم الذين تعمقوا في البحث لهم أفكار تشاؤمية جدا حول البلاد النامية • وأيضا منظمة الأمم المتحدة ، والمنظمات المنبثقة عنها كمنظمة العمل ، ومنظمة التنمية وغيرها كلها متشائمة •

هذه هي الحلقة المفرغة . والأيديولوجية الجاهلية المادية عاجزة عن الخروج من هذه الحلقة . ولكن هناك أيديولوجية أخرى ، أيديولوجية اسلامية تعتمد على الروح والمعنويات . وهذه الوحيدة التي تستطيع أن تنقذنا وتعطينا برنامج الخروج من أزمتنا . ولو لم نبادر الى العمل وفق هذا البرنامج فستفلت الفرصة من أيدينا الى الأبد ، لأن الفجوة كما قلت تتسع يوما بعد يوم . وهذه ليست مسئولية اجتماعية فقط ، وانما هي أيضا مسئولية فردية .. أي كل انسان يجب أن يجسد الاسلام بتعاليمه الحضارية لكي يكون رائدا في مجال تقدم بلده . ليعقد كل واحد منا العزم على أن يقلل شيئا ما من تخلف هذا البلد أو ذاك الذي يعيش فيه .

لا يكن همّ تجارنا أن يزيدوا من ثرواتهم . ولا يكن همّ علمائنا أن يستخدموا في احدى الشركات أو الوزارات ، وأن يبنوا بيتا . ولا يكن همّ عمالنا زيادة الأجور ، ولا يكن همّ حرفيينا وكسبتنا الحصول على مغانم مادية . بل ينبغي أن يكون همّ كل واحد منا أن يقدم بلده ، وهذا هو العمل الصالح وهذا هو الجهاد . الجهاد ليس فقط في ميادين القتال . لأن ذلك الجندي الذي يحارب في المعركة ولا يمتلك سلاحا يضاهي سلاح عدوه ، انما يحتاج الى جهودك أنت العالم في الجامعة ، وأنت العامل في المصنع وكل العاملين خلف الجبهة لتقدموا له أسلحة أكثر تطورا وفعالية . انتم في الواقع جنود قبل أن يكون حامل الرشاش وصاحب المدفع كذلك .

فلنعقد العزم على السعي ، وعلى المزيد من التعاون ، وليشعر كل فرد منا بمسئوليته .

الاسلام : انه الثورة

١ـ معرفة الفرد طريقنا الى معرفة المجتمع.

٢ـ مراحل الحضارة.

٣ـ الاسلام : انه الثورة.

٤ـ كيف يصحح الاسلام موقف الانسان من الدنيا.

٥ـ الانسان بين الشهوات و القيم.

٦ـ الانسان بين الطموح و الواقع.

● معرفة الفرد طريقنا الى معرفة المجتمع

لكي ندرس المجتمع لابد أن نلاحظ الفرد ، ليس لأن الفرد أبو المجتمع اذ قد يكون المجتمع أبا للفرد ، وانما لأن دراسة الفرد طريقة لدراسة المجتمع ومفتاح لفهم المجتمع . ذلك أن الفرد مرآة للمؤثرات الاجتماعية ، وبدراسة نستطيع أن نفهم المجتمع فهما أكبر .

الفرد قد يدرس دراسة خارجية ، وقد يدرس دراسة ذاتية . الدراسة الخارجية هي أن تدرس فردا وتقيس المؤثرات التي تتفاعل في كيانه . وأما الدراسة الذاتية ، فهي أن تدرس نفسك باعتبارك كيانا شاعرا واعيا ، وتقيس في ذاتك المؤثرات التي تتفاعل فيك .

وهنا يطرح السؤال الذي يحاول علماء الاجتماع معالجته الى جانب سائر الأسئلة . بينما يركز علماء النفس والأخلاق أنظارهم عليه وبتعبير آخر ، كلا الفريقين يطرح هذا السؤال ، بيد ان البعض يطرح باعتباره يدور حول موضوعه الرئيسي ، وهؤلاء هم علماء النفس والأخلاق والتربية الذين يدرسون الفرد باعتبار أن الفرد هو موضوعهم الرئيسي . بينما الفريق الثاني وهم علماء الاجتماع يطرحون السؤال ، وضمن الأسئلة الأخرى التي تطرح في مجال علمهم ، والسؤال هو :

ما هي العوامل المؤثره في كيان الفرد ؟

هناك عوامل عديدة .. فعامل المصالح ، وعامل الاقتصاد ، وعامل التاريخ والوراثة ، وعامل الجغرافيا والبيئة ، وعامل الشخصية ، وعامل الارادة والقيم ، هذه العوامل التي يلخصها الاسلام في كلمتين .. عامل العقل وعامل الجهل ، وللعقل جنود سبعون ، كما للجهل جنوده السبعين (١).

وهناك ملاحظتان في هذا الحقل .. احداهما علمية والاخرى رسالة .

الملاحظة العلمية :

فهي أن العلم قد بلغ الآن مرحلة من النضج بحيث أضحى يعترف بكل العوامل المؤثرة في توجيه الانسان الفرد ومن ثم المجتمع ، من هذه العوامل التي سبق أن أشرت اليها ، ابتداء من عامل الوراثة ، وانتهاء بعامل الطقس والأنواء . ولم يعد العلم اليوم يعترف بالمذاهب ذات البعد الواحد الجامدة التي تركز نظرها في واحد من العوامل وتعتقد أنها العامل الوحيد ، كالنظرية الماركسية التي ترى الاقتصاد المحرك الوحيد في التاريخ، أو الفرويدية التي تعتقد بأن العُقد والحالات النفسية هي العامل الوحيد ، أو البعض الذين يبحثون أبدا عن دور الطبيعة والجغرافيا .

كلا . فالعلم الآن يعترف بكل العوامل ، وقد وصل مرحلة من النضج العقلي حتى أخذ يتواضع لكل المذاهب ويستوحي منها الأفكار والمعلومات الصحيحة دون تطرف أو تحيّر . ولكن كعقبة كأداء لاتزال امام علماء الاجتماع لابد ان يبحثوا طويلا حتى تجاوزها هي معرفة نسبة تأثير هذا العامل أو ذاك في صناعة المجتمع .

والواقع أن هذه العوامل ليست مؤثرة تأثيرا متساويا لا من حيث ذاتها ، ولا من حيث أفرادها . فمن ناحية ذاتها نجد أن عامل الاقتصاد أقوى تأثيرا من عامل الجغرافيا .. فمثلا ، الجزيرة العربية لها جغرافية معينة وأنواء خاصة كالحر الشديد والبرد القارس وهبوب الرياح السامة ، والرطوبة القاسية على شواطيء البحار. هذه الأجواء تؤثر في بناء شخصية مجتمع الجزيرة ، فيصبح مجتمعا عنيفا متحديا يعيش في المدن الصغيرة وما أشبه . ولكن حينما تفجر البترول في ارض الجزيرة ، وتغيرت حالة المعيشة ، تغيرت تبعا لذلك علاقة الانسان بالطبيعة . فبينما كان الانسان سابقا محكوما بالطبيعة أصبح بفضل البترول مسيطرا على الطبيعة . ولهذا السبب نجد أن انسان الجزيرة قد تغير تغيّرا كليا .

فبينما كان في السابق يمتطي الجمل الذي يعتبره سفينة الصحراء ، أما الآن فانه يركب أحدث السيارات أو الطائرات ، ويتحرك عبر طرق أوتوستراد معبدة ، وينتقل من عاصمة أوروبية الى مصيف أمريكي الى منتجع تايلاندي ، وبسبب هذه السياحة الواسعة الأبعاد ، تتغير نفسيته وطباعه .

فمثلا اختيار أبناء هذا المجتمع للألوان ، اذا أردنا أن نفهم المجتمع من خلال هذا الاختيار ، نجد في خلال ثلاثين عاما كيف أن الألوان القديمة كانت ألوانا شديدة وصارخة ، وأما الآن فتختار الألوان الهادئة ، دليلا على أن النفسية الشديدة العنيفة التي كانت تواجه الطبيعة بعنف ، وتواجهها الطبيعة بحدة ، هذه النفسية تغيرت بفضل البترودولار ، والآن هي تحب الطبيعة وتختار الألوان الهادئة .

اذن فان تغير الاقتصاد يؤثر على الطبيعة المتغيرة

وليس العكس .

فحينما نقول ان من عوامل التأثير في الفرد ، الاقتصاد والطبيعة ، فلا يعني ذلك أن تأثير الاقتصاد يكون بنفس نسبة تأثير الطبيعة أو العكس . كلا ، فبعض العوامل مؤثرة (١٠٠ درجة) وبعضها (٩٠ درجة) وبعضها (٨٠ درجة) وهكذا ، وهذا نسميه التغير الذاتي أو الاختلاف الذاتي بين العوامل . وهناك اختلاف فردي ، أي أن كل مرحلة وكل لحظة تاريخية محكومة بأحد العوامل أكثر من سائرها .

فمثلا عامل الشخصية ، وخصوصا اذا أردنا أن نفهم هذا العامل وقلنا عامل شخصية القائد . لاريب أن للقائد وصفاته الشخصية وعوامله النفسية تأثيرا ملحوظا على طبيعة المجتمع . وربما اذا كان قائد الثورة الاسلامية شخصا غير الامام الخميني ، لكانت الثورة أخذت مساراً آخر ، فللشخصية أثرها ، اذا كانت الشخصية قوية فأثرها في المجتمع يكون ١٠٠٪ في المائة ، واذا كانت أضعف يكون ٩٠٪ في المائة ، وهكذا الى أن يصل أثر الشحصية الى درجة لا يكاد يبين .

وكذلك عامل الاقتصاد ، فللاقتصاد أثره ، ولكن بعض أنواع الاقتصاد آثاره حادة . مثلا الاقتصاد الكوري الجنوبي تأثر من قبل الحرب الكورية وبعدها بسبب الانتماء الى المعسكر الغربي وتم تطوير صناعتهم عن طريق الدعم الغربي لها . والآن معدل النمو في كوريا الجنوبية يبلغ (١٢٪ في المائة الى ١٣٪ في المائة سنويا) وهذا معدل مرتفع جدا . كما أن أجور العامل هناك ترتفع بمعدل (٢٠٪ في المائة الى ٣٠٪ في المائة سنويا) وهذا يؤثر تأثيرا اقتصاديا في المجتمع .

ولكن قد تجد بلدا مثل ليبيا ، الى الأمس القريب لم يكن فيه أي نوع من أنواع البترول ، أو قليلا من الثروة ثم تفجرت آبار البترول وانهمرت الثروة . اذن الاقتصاد هنا يؤثر ، ولكن لأن التغيير كان كبيرا فالتأثير أيضا يكون كبيرا ، لأن العوامل ليست كلها من ناحية مقدرتها الفردية بشكل واحد .

ومهمة العلم اليوم تتركز في معرفة نسبة التأثير ليس فقط أن يكتشف العلم بأن للاقتصاد تأثير ، فهذا يسمى نوع من الانتماء الى الاطلاق ، أو النزوع الى الاحكام الكاسحة . مثل ذاك البدوي الذي قال وهو واقف على باب مكتبة كبيرة ، أنا أعرف ما هو مكتوب في هذه الكتب . قالوا وماذا فيها ؟ قال هذه كلها تقول يا ابن آدم تأدب بالعلم ، هل يكتفي العلم اليوم بهذا الجواب ؟ كلا ، انما يريد العلم أن يفهم في الثورة الاسلامية الايرانية هل أن عامل الدين كان المؤثر الأكبر ، أم عامل الجوع والحرمان كان أكثر تأثيرا ، أم عامل الجغرافيا باعتبارها دولة خليجية ، كان هو العامل الحاسم ؟ .

وهكذا عن طريق المقارنات والمقايسات ، وعن طريق دراسة الظروف المختلفة ، يفهم العلم فهما تقريبيا نسبة تأثير هذا العامل أو ذاك في المجتمع وبالتالي في التاريخ .

وهذا هو الذي يعطي التاريخ فرديته ، فالتاريخ لا يعيد نفسه بصورة متطابقة (١٠٠/ في المائة) ولكنه يعيد تطبيق السنن ، وتبقى الكل لخطة تاريخية فردية خاصة وسمات معينة ، لا يمكن أن نجدها في كل لحظات التاريخ متساوية .. كما أن لكل انسان شخصيته

المتميزة نفسياً وروحياً وصورة . فلو جمعت صور سكـــان الارض جميعا وجعلتها في الكمبيوتر محاولا أن تجد صورتين متماثلتين تماما ، فلن تنجح في ذلك .

هكذا التاريخ وهكذا المجتمع . هذه هـــي الملاحظة الأولـــى .

الملاحظة الرساليـة .

أن هناك قضيتان نبحثهما في دراسة الفرد وأثره في المجتمع ، القضية الأولى ما هو الواقع الآن ؟ والقضيـــة الثانية ما ينبغي أن يقع ويجب أن نفصل بينهما .

الواقع هو الذي نعترف به وبوجوده ، ولكن لا نعترف بشرعيته . أما الحق فهو الذي نعترف بشرعيتـــه ولكـن لا نعترف بوجوده . تدبروا في هذه الآيـــة الكريمـــة لتعرفوا أن نصفها حق ونصفها واقـــع .

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنيـــن والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيـــل المسوّمة والانعام والحرث ﴾

(١٤/ال عمران)

ولكن الآية ماتلبث أن تضيـــف قائلـــة /

﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حســـن المـــآب ﴾

(١٤/ال عمران)

القطعة الأخيرة في الآيـة الكريمة تؤكد على مـــا ينبغي أن يكون ، بينما القطعة الأولى تبين ما هـــو كائـــن ؟ الكائن أن هذه هي الشهوات أو العوامل التـي تؤثـر في تحريك الانسان .. عامل النساء ، عامل البنيـن عامل الكماليات والمفاخر ، عامل اكتناز الذهب والفضة ،

والركوب على مراكب جميلة وجذابة (الخيل المسومة) ، وكذلك الأنعام والحرث أي تراكم الثروة . ولكن هذه العوامل ليست العوامل النهائية ، وليست العوامل المعترف بها باعتبارها العوامل المشروعة ، انما على الانسان أن يقلع بنفسه عن أرض هذه العوامل الى سماء تلك القيم * ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * .

وكذلك الآية الأخرى تقول :

* انا جعلنا ما على الأرض زينة لها *
(٧/الكهف)

هذه القطعة تؤكد على الواقع ، ولكن القطعة الثانية * لنبلوهم فيها أيهم أحسن عملا *
(٧/ الكهف)

فهي تؤكد على الجانب الشرعي ، أو الجانب المقبول عقلا .

والآيات القرآنية وكذلك النصوص الاسلامية الأخرى تؤكد على الجانب الثاني .. ليس لاهمالها الجانب الاول ، وانما لأن وظيفتها هي عدم الاعتراف بشرعية الجانب الأول بل دفع المسلمين الى الجانب الثاني .

واذا بحثنا جيداً في النصوص الاسلامية فسوف نتبين خيوط هذين الجانبين .. جانب الشيء الواقع ، وجانب الشيء الذي ينبغي أن يقع وهو الحق . أما في النظرة البدائية العامة فان هذه الخطوط تتشابه بحيث قد يظن أحد بأن الاسلام لا يعترف بأن للعامل الجنسي أثره في حياة الانسان ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

* انما أموالكم وأولادكم فتنة *
(١٥/التغابن)

ومن هنا نعرف أن القرآن الحكيم لا يؤكد على هذا الجانب أبدا ويقول ربنا عز وجل في القرآن الحكيم :

﴿ وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾

(١٨٥/ال عمران)

هل القرآن لا يعترف بمتاع الدنيا ، ويؤكد على وجود الغرور . كلا ، فان القرآن يعترف ، ولكنه لا يريد أن يقرّر .. يعترف به واقعا ولكن لا يقرّه شيئا مشروعا . وهذا هو الفرق بيّن الحق والباطل .

ومن مسئوليات الفقية أو المفكر الاسلامي ، التمييز بين توجيهات القرآن والاسلام ومواعظه ، وبين تذكرة القرآن والاسلام بالعوامل ، أي بالعلم والوقائع ، كما أن معرفة نسبة تأثير العوامل هي من مسئوليات العالم الاجتماعي . هاتان ملاحظتان أوليتان حول تأثير العوامل في الفرد ، ومن ثم المجتمع ، ومن ثم التاريخ الانساني .

● مراحل الحضارة

تتجمع العوامل المؤثرة في الفرد كما تتجمع في المجتمع لتصنع وجه التاريخ ، بالاضافة الى عامل الارادة والقيم • وبالتالي تكون نظرتنا الى التاريخ مستوحاة من نظرتنا الى تلك العوامل التي أشرنا اليها مع تينك الملاحظتين السابقتين التي كانت أولاهما مرتبطة بالعلم والثانية بالرسالة •

الدورة التاريخية •

الدورات التاريخية التي نراها عادة عبر التاريخ البشري ، حيث أن الأمم تنشأ ثم تتقدم ثم تنكمش ، ثم تتحدى ثم تنكسر ، ثم تتقدم ثم تنبعث لفترة قصيرة ثم تنتهي • هذه الدورات التي غالبا ما نجدها صحيحة في الحضارات لا تقع بطريقة واحدة في كل مكان ، ولا يمكن أن نعتبرها قضية مطلقة ، كالقضايا الرياضية التي قوامها القوانين المجردة والكلية ، مثلا (٢×٢=٤ دائما) لدورات التاريخية ليست هكذا ، وانما تحتفظ بالجانب الانساني فيها وهو الجانب الارادي المتميز ، حيث أن كل عامل يؤثر في ظرف تاريخي معين تأثيرا بمقدار مختلف عن تأثيره في ظروف أخرى •

ويمكننا أن نقسم المراحل الحضارية للتاريخ بصفة عامة الى :

اولاً : المرحلة البدائية .

وهي عبارة عن مجموعة من البشر أجسادهم مجتمعة وأفكارهم متفرقة ، لا يحملون رسالة ولا يطمحون لتحقيق هدف ، ولا يبحثون عن تقدم ، ولا يعنيهم الا الحصول على ضرورات معاشهم . هذه المجموعة البشرية تبقى هكذا عبر ألوف السنين ، تعيش في عزلة عن العالم وعن العلم ، كالعرب في الجاهلية ، وشعوب أخرى غيرهم .

ثانياً : المرحلة الرسالية .

ثم تنبعث فيها فكرة رسالية ، عادة ما تكون مستوحاة من نبي بعث اليهم مباشرة ، أو رسالة نقلت اليهم عبر وسيط بشري من غير الأنبياء . وحين تنبعث فيهم هذه الرسالة ، فانها تقوم بدور معين ، ذلك الدور هو اشعارهم بوضعهم المتردي الذي يتوجب عليهم تغييره واعطاؤهم رسالة فوق تطلعاتهم المادية الضيقة ، حيث يتشبثون بها ويتمحورون حولها ، ويفجرون طاقاتهم من أجل تحقيقها . وأخيرا تحدد لهم برامج ومناهج ، وسلوكيات وأحكاما وأنظمة معينة يسيرون عليها ، وهنا تنغرس النواة الأولى للمدنية التي لا تلبث أن تنمو حتى تحقق مدنية جديدة .

ثالثاً : مرحلة الأصطدام .

هذه المدنية تصطدم أول ما تنمو بما حولها ، ومن الأفكار والمجتمعات صدمة عنيفة ، حتى أن هذه الصدمة قد تؤثر فيها تأثيراً سلبيا ، فتنهزم أمام جيوش الاعداء ، وتصاب بنواقص كثيرة . وجاء في القرآن الحكيم :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾
(١٥٥/البقرة)

الآية تشير الى المشاكل التي تنشأ من بعد نمو الحضارة وتكوّن الأمة على أساس الرسالة . وقد تسبب هذه الصدمة وهذا التحدي انكماشا في هذه المدنية حتى ليبدو للذي يرى الصراع من بعيد أن هذه الرسالة وهذه الحضارة التي ابتنيت عليها قد انتهت ، ومالها من فرصة للانتصار على أعدائها ، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي تعيشها ، والاختلافات الداخلية ، وأسباب أخرى . وفي هذه المرحلة تتميز هذه الأمة التي تعيش عبر الرسالة بروح الغرور السيالة المتفجرة ، والشجاعة البالغة التي تعطي هذه الروح الوثوب في سبيل التضحية والفداء ، كما في هذه المرحلة ، لا يهتم الناس بالأسلحة والتنظيم ، وبتهيئة الوسائل والحصول على المكاسب المادية باستخدام الوسائل والأساليب العلمية والطبيعية ، بل يتحركون في الأرض هكذا ارتجاليا وبكل صراحة ، يحملون الكتاب بيد، والسلاح باليد الأخرى ، زادهم ايمانهم وشجاعتهم .

رابعا : مرحلة المراجعة والتنظيم .

ولكن هذه الرسالة لا تلبث أن تجدد نفسها بعد سنين قد تطول وقد تقصر ، ويتجدد ايمان أتباعها بها ، لأنهم بعد أن ينهزموا نوعا ما أمام الصعوبات وسيل الأعداء فانهم يجلسون ويفكرون ثم يطرحون على أنفسهم هذه الاسئلة : لماذا انهزمنا ؟ ماهي الثغرات ؟ وكيف نتقدم ؟ .

وهكذا تنبعث فيهم روح جديدة مرة أخرى فيتحركوا ، هذه هي المرحله الجدية في الحضارة ، وتتميز بعدم الاعتماذ على الايمان وحده ، بل يتوجه الاهتمام الى التطوير والتنظيم ، وتهيئة الوسائل والسعي الى زيادة الحلفاء والحصول على الأسلحة ... وعموما ، الأخذ بكل

الأسباب العلمية والمادية ، وذلك اعتبارا بما حصل لهم من دروس مرة ، ومن انتكاسات صعبة ، فينطلقوا . وتدوم هذه المرحلة فترة لابأس بها قد تبلغ مائتين أو ثلاثمائة سنة أو أكثر ، تنمو خلالها الحضارة وتتقدم ، وتحتفظ ذاكرة الحضارة بعبرها السابقة لكي لا تتكرر التجارب الفاشلة مرة أخرى .

خامسا : مرحلة التحجّر .

ولكن مع استمرار الوقت وطول الزمن ، تهترىء الذاكرة الحضارية ، وتنسى تجاربها تقريبا ، سواء التجارب الايمانية كالشجاعة والتضحية ، أو التجارب المادية التي حصلت عليها في المرحلة السابقة ، قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ﴾

(١٦/الحديد)

وقسوة القلب عبارة عن التحجّر ، بحيث أن الأمة تصبح في وضع بحيث لا تعطي ولا تأخذ ، ولا تتأثر بحقائق الحياة ولا تستجيب للعوامل الطبيعية والسنن الصحيحة ، فتصبح مثل الحجر الذي لا يتفاعل مع ما حوله .. كما لو أخذت وردة بيد ، وباليد الأخرى حجرا ، فانك ترى الوردة تستجيب للنسيم فتتحرك أوراقها ، وتعطيه عبيرا ينشره في الهواء . أما الحجر فلا ترى فيه أي استجابة أو تأثر بذلك النسيم . وكذلك الحضارة بعد أن تتطاول عليها السنون ، فانها تصل الى مرحلة التحجر ، وتصاب بحالة التعب والأرهاق . والقرآن عادةً لا يذكر التعب والأرهاق ، فالحضارة ليست كأنسان واحد ، بل هي ناس

يموتون ويأتي مكانهم آخرون ، فالأبناء لا يتعبون بتعب آبائهم بالمعنى المفهوم ، وانما يكون التعب معنويا يعبر عنه القرآن بقسوة القلب ، أي التبلد الفكري ، والتوقف الذهني . وحسب تعبير بعض المؤرخين توقف الابداع في كمبيوتر الحضارة .

سادسا : مرحلة التغني بالأمجاد .

بعد هذه المرحلة تبدأ الصراعات الداخلية ، والأنانيات ، والقوميات ، والنعرات العنصرية والطائفية . وتبدأ مرحلة صعبة في الحضارة تتشرذم عناصرها ، وربما تصل الى مشارف النهاية . وبالتالي تسقط الدولة ، ويتفتت المجتمع ، وتنسى الأفكار . الا أن الغرور والكبرياء والناشيء عن الأمجاد السابقة يبقى . هذه الأمجاد ليتذكرها الانسان هي آخر ما ينساها ، لأن الأمجاد تكون قد تحوّلت الى انجازات بعضها ظاهرة كالآثار المعمارية والأحداث التاريخية المروية — لها خطها في تفسير شيء يسميه بعض المؤرخين بطيف الحضارة ، أي آخر مرحلة من انتهاء هذه الحضارة .

وهذه الحالة العاطفية التي تنبع من الانتماء الى الأمجاد ، والمكاسب التاريخية والافتخار بها — تعود لتكون شيئا ما ، وعادة ما يكون ذلك دولة كبيرة أو ألفاظا ضخمة ، ولكن دون أن يكون فيها أي نوع من أنواع الابداع و التطوير أو العطاء أو حمل رسالة حقيقية ، وانما هي فقط طيف الحضارة أو حلمها . وهذه المرحلة غالبا ما تكون قصيرة الأمد ، وبعدها ينتهي كل شيء ، وبانتهائها تذهب آخر فرصة لهذه الحضارة في البقاء .

كل الحضارات التاريخية عادة ، وحسب ما يذكر

المؤرخون ، مرت بهذه المراحل ، ولكن هل هذه المراحل حتمية وأنها دائما بشكل واحد ؟

كلا ، انها ليست حتمية .. لأن الحضارة يمكنها أن تستوعب تجارب الحضارات الأخرى في أول مراحلها ، فتضم الى روح التضحية والشجاعة والاقدام ، الأخذ بالعوامل المادية والسنن الطبيعية التي توصلت اليها الأمم السابقة ، ولا تدع مجالا للغرور أن يصيبها وبذلك يمكنها أن تبقى فترة أطول .

ولابأس أن أعرض تجربتين لبيان أثر الغرور في الحضارة ، دون أن أحاول المقارنة الدقيقة لأن الامثلة التي أضربها ليست حضارات وانما هي دول . ولكن يمكننا أن نضرب بها أمثلة على واقع الحضارات .

ألمانيا في عهد بسمارك حيث كان رئيسا للوزراء في " بروسيا " فجعل بسمارك من هذه الولاية نواة لدولة اتحادية كبيرة في أوروبا وهي ألمانيا الاتحادية ، بفضل جهوده ، وبفضل نشاط وحيوية الشعب البروسي.

الا أن بسمارك لم يلبث أن اغترّ بالسكك الحديدية الجديدة ، والأسلحة الحديثة ، والجيوش المنظمة ، والطاعة التامة والانضباط العسكري الكامل ، والتقدم الاقتصادي ، فقام يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، وخاض حروبا عديدة الى أن ضعفت ألمانيا سريعا وأصبحت دولة عادية ، بينما كان بالامكان أن يصبح لفترة طويلة مركز الثقل الحضاري في أوروبا .

ولكن من جهة ثانية ، نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية عاشت فترة طويلة نسبيا بعد استقلالها وازدهارها ، لأن الشعب الأمريكي رفض كل المحاولات التي قامت لاقحامه في الحروب ، والتدخلات في شئون الدول

الأخرى . فقد رفض وبكل شدة في سنة ١٩١٣م نظرية نشأت في البلاد تدعو الى احتلال المكسيك ، وكان انتصار " روزفلت " على منافسه الانتخابي بسبب رفعه شعار ابقاء أمريكا بعيدة عن مشاكل العالم .. وقد واجه معارضة من الشعب الأمريكي لما انحرف عن هذه السياسة ، وقام بمحاولات عديدة وحيل كثيرة من أجل ادخال الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية .

لقد كان الأمريكيون من سلالة الأوروبيين ، وكانوا يعلمون ماذا تعني الفتوحات ، والتدخل العسكري هنا وهناك وتحمل مشاكل " لا ناقة لهم فيها ولا جمل" كانوا يعرفون بالضبط ماذا يعني ذلك وكانت ذاكرتهم لاتزال تحتفظ بالتجارب الأوروبية القاسية ، لأنهم أوروبيون انتقلوا الى أمريكا . فقرروا ألا يعيدوا التجربة هناك ، وظلوا فترة طويلة هكذا ، الى أن تم ادخالهم أخيرا في الحرب العالمية الثانية وبعدها أصبحوا ورثة الاستعمار القديم ، وتدّخلوا في كل بقعة من العالم والآن هم يعانون نقصا كبيرا في كثير من المجالات بسبب هذه الأعمال ، وخصوصا بعد الحرب الفيتنامية ، فقد أصيب الشعب الأمريكي بهزة عميقة في كيانه الداخلي ، ولا اعتقد أن بامكان هذا الشعب أن يتجاوز هذه الهزة .

لقد كان الشعب الأمريكي في فترة من الشعوب التي لا تقهر فموارده كبيرة ، وقواه عظيمة ، وانجازاته التكنولوجية باهرة . ولكن ثبت الآن بأن الأمريكيين ليس يقهرون فقط وانما يتخلّفون أيضا بسبب غرورهم وصلفهم .

وفي حالة هبوط روح الحضارة والمدنية ، وقسوة القلب ، أي تحول الحضارة الى حقيقة استاتيكية جامدة ، وفي هذه المرحلة أيضا يمكن أن يلعب الفكر والثقافة ،

والارادة والقيم دورا هاما . فبعد أن تقسو القلوب ، وتتحول النظرات الرسالية الى توجهات مادية ، ويحين وقت الانهيار فان بالامكان وبتحول جذري داخل الحضارة وبهمة عالية من بعض أبنائها ، أن يوقفوا انهيارها وتدهورها . مثل ما حدث مع قوم يونس .

﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ﴾

(٩٨/يونس)

فقد كان قوم يونس يعيشون في آخر لحظات حضارتهم ، والتدهور الذي كان يرتقب أن ينتهي بصاعقة من السماء ، تداركوه بعد أن هجرهم نبيهم ، ولاحت نذر العقاب الشديد ، فلجأوا الى علمائهم وسمعوا نصيحتهم ثم غيروا مسيرتهم ، وأوقفوا بذلك الأنهيار المحتوم .

هذه قضية هامة وفريدة في تاريخ الأمم وأهميتها ناشئة من انها تدل على أن ارادة الانسان أقوى من مسيرة الزمان وظروفه .

والسؤال الكبير الذي ربما يكون كل حديثنا مقدمة لاثارته وطرحه هو : هل هناك قوانين وأنظمة نستطيع أن نكتشفها في مجال مقاومة الانهيار ومحاولة الاستمرار في الحضارة ؟

هل هي الصدفة ، والقضاء والقدر ، أم أن هناك شيء يمكن تخطيطه معتمدين على ارادة البشر وتفكيرهم ؟

نحن نعتقد أن عامل الارادة له قوانينه وأنظمته الذاتية والبعيدة عن تأثير العوامل الأخرى ، والتفكير فيها ومحاولة تنظيمها ووضع قنوات لها ، يعطينا القدرة

على الاستفادة من هذا العامل العظيم ، وهذا هو الحديث عن الثورات . فالثورة ما هي الا الاستفادة من عامل الارادة البشرية ، ومن قدرة الانسان على تحدي واقعه ليس بالأشياء المادية ، وانما بالأفكار الروحية والقيم .

والأمة التي تعرف سرّ الثورة لا تموت أبداً ، لأن هذه الأمة كلما ضعفت فيها العوامل المادية ، تدخل العامل الارادي ليعوض عن تلك العوامل ، وليعطي الأمة دفعة جديدة الى الأمام . وربما نستطيع أن نقول أن الأمة الاسلامية هي من أكثر الأمم التي عرفت وتعرف الى الآن سرّ الثورة وأهميتها في حياتها الداخلية . والمذهب الرسالي لأهل البيت عليهم السلام ، هو ذلك السرّ ، وتلك النواة التي لو عرف قدرها ، وتبلورت في ذهنية الأمم ، لاستطاعت أن تكون ماكنة تسحب قطار الأمة ، وتعطيها المزيد من المقاومة للظروف الصعبة ، والقدرة على التحدي .



● الاسلام: انه الثورة

اذا كانت رسالة ما أو مبدأ ما ثوريا ، فرسالة الاسلام هي الثورة بعينها ، ذلك لأن الثورة في الاسلام ليست ضرورة فقط بل هي قاعدة ، والاستسلام شذوذ . ونحن نبحث هذا الموضوع انطلاقا من موضوعنا السابق ، حيث قلنا بأن هناك سننا اجتماعية تؤثر في مسيرة البشر ، ولكن هذه السنن محكومة بمشيئة الانسان . والثورات تأتي لتصنع هذه السنن موضع التطبيق .

رسالات السماء توقف الانهيار .

لقد جاءت الرسالات السماوية في بعض المراحل لكي تهدي البشر الى ايقاف رحلة الانهيار . فمثلا قوم يونس بدأت عندهم رحلة الانهيار ، وكل السنن الالهية كانت تشير الى أن حياتهم الاجتماعية وحضارتهم تلفظ أنفاسها الأخيرة . ولكنهم بحركة التفاف سريعة ، وبتغيير حاد في حياتهم استطاعوا تجنب الانهيار والاستمرار في حياتهم الاعتيادية . وهذه هي الثورة .

ولكن كيف يعتبر الاسلام الثورة أصلا وقاعدة ، بينما تعتبرها سائر المذاهب والفلسفات ضرورة استثنائية ؟ ان الانسان يتمحور حول أمرين .. اما حول الواقع واما حول الحق .

فجاذبية الواقع وضغوطه وحضوره عند الانسان يفرض عليه التمحور حوله . لذلك يقولون .. الانسان ابن

مجتمعه .. ابن اقتصاده .. ابن وسائل الانتاج .. ابن آبائه .. وابن الثقافة . وكل هذه المقولات تشير الى نوع من تمحور الفرد حول ذاته وحول واقعه الذي يعيشه ويضغط عليه فيجذبه باتجاه معين .

الانسان بين محور الحق ومحور الواقع .

وهناك شيء آخر قد يتمحور الانسان حوله وهو الحق ، سواء كان هذا الحق هو الواقع أم خلافه . وهناك برامج الهية جاءت ثابتة ولن تجد لها " **تبديلا** " ولن تجد لها " **تحويلا** " .. حلالها حلال الى يوم القيامة ، وحرامها حرام الى يوم القيامة ، وذلك ضمن دين كامل .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾

فالبرامج ثابتة وكاملة ، وهي لا تتكيف مع الواقع ، وانما تسعى من أجل تكييف الواقع معها . مثلا ، الخضوع للغنى والثروة حرام ، سواء كانت الثروة في شكل بدائي عاشته الجزيرة العربية ، وكان قوامها مجموعة جمال وبضع أحمال تجارية لا أكثر ولا أقل ، أو كانت الثروة ماكنة ضخمة تنتج عشرات الألوف من البضائع المختلفة ، وبمعدل مئات البلايين من الدولارات كالاقتصاد الأمريكي . فالثورة عليها قاعدة ، والخضوع لها شذوذ .

والخضوع لعلماء السوء ، وكل من لا ينطق عن الله حرام ، سواء كان عالم السوء هو ذلك الرجل الكاهن الجالس في زاوية معبده أو بيته ، ينتظر بضعة أفراد يزورونه ليحدثهم ويلقي عليهم تعليماته . أو كان عالم السوء هو كيسنجر أو بريجنسكي الذي يعطي تعليماته الى أكثر من (١٥٠٠) اذاعة في الولايات المتحدة والى آلاف الاذاعات في العالم ، وآلاف الصحف التي يطبع من كل

واحدة منها يوميا أكثر من (١٧) مليون نسخة فالخضوع للعالم غير المتقي حرام سواء كان هذا أم ذاك ، وهذه الحرمة قاعدة ، وتغيير هذا الواقع أصل من اصول العمل الاسلامي .

اذن الثورة في الاسلام هي القاعدة ، لأن الاسلام منذ البداية يقول للمسلم يجب عليك أن تسلم نفسك لله ، لا للواقع ، أي أن تحارب ذلك الواقع ، وتكيفه من أجل أن يصبح مرضيا عند الله . وهذه حقيقة بارزه وملموسة .

الرسالات تصطدم بالواقع

فانك تجد آن أي رسالة تأتي فانها تصطدم بالواقع . وفي القرآن الحكيم اشارة الى هذه الحالة ، فحينما تتحدث آية ما حول الرسالة تأتي الآية التالية لها لتبين حالة الرد والرفض المباشر . مثلا هذه الآية الكريمة تقول :

﴿ اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾
(٣٦/النساء)

رأسا نرى أن جوابهم :

﴿ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾
(٨٧/هود)

فهنا وقبل كل شيء يأتي الاصطدام مع الواقع الفاسد، أي أن الحجة التي يعتمد عليها الكفار هي أنهم يقولون للرسول .. الواقع يخالف كلامك ، والرسول يعتمد على حجة أخرى ويقول .. عملكم يخالف الحق .

وهذا يدل على أن هذه وتلك نقطتان يتمحورحولهما

الانسان .. نقطة الواقع ، ونقطة الحق ، ومن ثم ينشأ ذلك الصدام العنيف بينهما . ومن هنا نرى أن الصدام ليس قضية استثنائية عند الانسان المسلم بل هي القاعدة وأن الانسان الذي يتصور أن الصدام قضية خارجية وأنه يمكنه أن يكون مسلما دون أن يصطدم ، فعليه أن يعيد النظر في اسلامه .

وفي سورة الشعراء نجد أن الله سبحانه وتعالى يبدأ حديثه عن الرسالات السماوية ، وبأن الذين أرسل اليهم قد كذّبوا رسلهم :

﴿ كذبت ثمود المرسلين * اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون ﴾

(١٤١/١٤٢/ الشعراء)

فيأتي بذكر التكذيب في البداية ، لبيان أنهم كانوا يصدقون وأن الصدمة كانت القاعدة الأصيلة ، وفي الآية الأخرى يقول القرآن :

﴿ كذبت قوم لوط المرسلين * اذ قال لهم أخوهم لوط الا تتقون ﴾

(١٦٠/١٦١/الشعراء)

وفي الآية الأخرى يقول :

﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين * اذ قال لهم شعيب الا تتقون ﴾

(١٧٦/١٧٧/ الشعراء)

وهكذا فأنه يبدأ الحديث بالتكذيب . كذلك نجد في القرآن الحكيم في سورة هود مثلا ، حينما يحدثنا عن مقاومة الرسل للواقع الفاسد الذي كان يعيشه قومهم ، نجد أنه في اللحظة التالية لبعث الرسل تبدأ المقاومة ، ورد الفعل ضد الرسالة :

﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين * ان لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتّبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾

(٢٥/٢٦/٢٧/هود)

ثم في قصة قوم عاد يحدثنا القرآن هكذا فيقول:

﴿ والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون * ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذي فطرني أفلا تعقلون * ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾

(٥٠/٥١/٥٢/ هود)

كان هود يحدثهم عن فكرة واحدة ، وهي فكرة عبادة الله سبحانه وتعالى ، ولم يحدثهم عن تفاصيل رسالته ، ولكنهم رفضوها .

﴿ قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ﴾

(٥٣/هود)

وكذلك قصة قوم صالح ..

﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان

ربي قريب مجيب * قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب *
(٦١/٦٢/ هود)

والملاحظ في هذه الآيات ، ومن خلال بيان قصة الرسالات أن اعتماد قوم الرسل كان على الواقع الذي يعيشونه ، لذلك كانوا يرفضون تغيير هذا الواقع ، الذي سار عليه الأولون ، والذي تكيفت معه أعمالهم وسلوكهم ونفسياتهم . كانت هذه قضية هامة عند أولئك فمثلا نجد أصحاب الأيكة يقولون لنبيهم شعيب :

* قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا *

(٨٧/هود)

أي هل هذا دين ، وهل هذه رسالة أن تأمرنا بأن نترك ما كان يعبد آباؤنا ؟ . الدين يأمر بتقديس المقدسات ، وعبادة الآباء كانت عندهم من المقدسات ، لذلك فانهم استنكروا كيف أن الدين يخالف عبادة الآباء ، وكأن الدين يجب أن يكرس الواقع الفاسد الذي يعيشونه ذلك الواقع الذي كان يعطيهم حرية الفوضى والانحراف .

وكذلك قوم فرعون ..

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما امر فرعون برشيد *

(٩٧ /٩٨/ هود)

انظروا .. الى سرعة بيان الصدام (لقد أرسلنا... فاتبعوا أمر فرعون)

وهكذا حديث القرآن عن الرسالات ينبؤنا بأن الصدام

والصراع في هذه الرسالات أصل من أصولها . وهذا لا يكون الا اذا كانت الرسالة ذاتها ثورة . والثورة في الاسلام ليست ترميمية ، بل هي ثورة جذرية لأنها منذ البداية تريد أن تبدل المحور من الواقع بأمثاله وصوره المختلفة الى الحق ورب الحق وهو الله سبحانه وتعالى .

مقاومة الآلهة الزائفة .

فرسالات السماء تريد أن تبدل الاله .. من الآلهة الباطلة الى الاله الحق ، أي أنها تريد أن تبدل كل شيء . فحينما يتبدل المحور ، وحينما تتبدل القبلة ، وحينما يتبدل المعبود ، فكل شيء آنئذ يتبدل عند الانسان . لذلك تكون ثورة الاسلام ثورة أصيلة .

واذا كانت ثورة الاسلام ، ثورة من أجل تبديل المحور وتكييف الواقع حسب منطق الحق ، واذا كانت ثورة جذرية ، فانها تكون ثورة مستمرة دائما ، بمعنى أنه لا يكون هناك ميعاد لانتهائها ، لأن هناك دائما فكرة وقضية ، وهي تكييف الحياة مع الحق ، ومقاومة ضغوط الواقع التي تتسبب في تحول الناس عن الحق واعراضهم عنه .

ان تغيير الواقع الفاسد ، وارجاع الناس الى منهج الحق ليس أمرا هينا ، فهو لذلك يحتاج الى ثورة بعد ثورة أي الى ثورة مستمرة . فمثلا حياتنا تعتمد على البترول ، واقتصادنا يتمحور حوله ، وقد تعودنا على أسلوب الاستهلاك .. نستخرج النفط ونبيعه ، ثم نأخذ الأموال ونشتري بها كل شيء . ورأسا نكتشف بأن هذا ليس هو الحق ، بل هو الواقع ، لأن ديننا يأمرنا بالاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفط ، ويدفعنا الى التحرر

والاستقلال . اذن علينا أن نغير هذا الواقع . فهل بسهولة نستطيع ذلك ؟ هل بسهولة نستطيع أن نعيد مئات الألوف من الفلاحين الذين تركوا الأرياف وتكدسوا في المدن ، الى حقولهم ومزارعهم ليستصلحوا أراضيهم ؟ هل بسهولة نستطيع أن نقنع الناس بألا يأكلوا اللحم يوميا ، وألا يركبوا السيارات الفارهة ويكتفوا بباص المصلحة ؟ كلا ، وانما نحن بحاجة الى ثورة .

واذا تغلبنا على التخلف في مجال الزراعة ، وحققنا اصلاحا زراعيا ناجحا ، واكتفينا بالمحاصيل والغلات الوفيرة ، فاننا نكتشف أنّ علينا أن نصنّع بلدنا لنتغلب على ضغوط الدول الصناعية الكبرى واستغلالها لنا .. فهل بسهولة يتصنع البلد ؟ وهل بسهولة نستطيع أن نقنع الناس بالتصنيع والتغلب على صعوباته ؟ كلا ، وانما نحن بحاجة الى ثورة أخرى لنحقق ذلك .

واذا تم لنا ذلك ، ثم رأينا أن العالم يسير نحو الصناعة الالكترونية والتكنولوجيا المتطورة ، فسنشعر بأن علينا أن نقوم بثورة ثالثة للحاق بركب الحضارة وموازنة الأوضاع .. وهكذا يستمر الحال على هذا المنوال . من ذلك نرى أن الحق الذي نطمح من أجل تكريسه يعارض ذلك الواقع الخاطئ ، وعلينا دائما أن نتحرك من أجل مقاومة الجاذبية في الواقع ، والتحليق الى سماء الحق ، أي أن نكون ثائرين للتطور ابدا .

﴿ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا * الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ﴾

(الكهف /٢٣/٢٤)

هناك ثورات في التاريخ الغابر والمعاصر ، أشبه

شيء بالجمود . انها ثورات تقليدية ، تحذو حذو التجارب الثورية التي سبقتها بلا تدبر وتحاول اقامة واقع موجود . ان هذه الثورات تفشل حتما ، أو تنجح ظاهريا ولكنها لا تستطيع أن تحقق أهدافها .

مثلا في يوم من الأيام تكون الثورة هي أن تحمل السلاح ، وتلتجيء الى الكهوف . ثم تقتل عن طريق حرب العصابات بعض الشرطة والجنود وغيرهم . وشيئا فشيئا تسيطر على العاصمة ، كما فعل كاسترو بدكتاتور كوبا السابق . و لكن بعد أن تنتصر هذه الثورة ، يحاول الشعب في بلد آخر من بلاد أمريكا اللاتينية أن يقلدها ، وذلك البلد لا يوجد فيه جبال أو غابات ، والحكومة هناك قوية الى درجة أنها لا تتأثر بحرب العصابات ، وشعب ذلك البلد لا يؤيد أساسا هذا الأسلوب النضالي ، كما أن الولايات المتحدة تدعم الحكومة الديكتاتورية القائمة حتى لا يتكرر ما جرى في كوبا ، وما أشبه من هذه القضايا التي تخالف هذه الطريقة في الثورة .

ولكن الثوار في هذا البلد ، لأنهم يعبدون الواقع ، ويقلدون شيئا قد وقع فعلا ، فهم لا يستطيعون التغيير ، ولأنهم يؤمنون بثورة واقعية وليس ثورة حق تطمح لبرنامج غير ما هو واقع ، فانك تجدهم يتخلفون عن الحياة وعن العصر ولا يستطيعون أن يبدعوا أساليب وتكتيكات واستراتيجيات وبالتالي تفشل ثورتهم .

لماذا فشلت الثورة الليبرالية .

كما فشلت الحركات الثورية الليبرالية في ايران ، لأنها كانت تحاول تكريس واقع موجود وكانت تهدف اقامة نظام بورجوازي على الطراز الغربي ، وهذا النظام قد تكشّف بسوءاته للعالم ، وعرفت الشعوب أنه لا يحقق طموحاتها ، لأنها كانت تهدف الى اقامة الواقع لا اقامة

الحق .

كذلك ستفشل أية ثورة اسلامية ، تحاول أن تقلد الثورة الاسلامية في ايران بكل تفاصيلها . لأن الاستعمار قد عرف تفاصيل هذه الثورة القائمة ، وقد وضع لكل حق فيها باطلا ، ولكل تكتيك تكتيكا مضادا ، ولكل تحرك أو استراتيجية عقبات . فاذا اتبعت الشعوب هذه التكتيكات وتلك الاستراتيجية بتفاصيلها ، فسوف يقوم الاستعمار بدحرجة تلك الاحجار في طريقها . ثم ان هذه التفاصيل كانت متصلة بالواقع الذي يعيشه الشعب الايراني وهي تختلف بالتأكيد عن تفاصيل واقع سائر الشعوب . والنظام الايراني لم يكن بقادر على أن يطلق النار على مجموعة متظاهرين في بداية خروجهم الى الشارع . لذلك خرج المتظاهرون بالملايين وآنئذ استحالت السيطرة عليهم . كذلك نمت الثورة الايرانية في ظل المؤسسة المرجعية الدينية القائمة في ايران ، مما أعطاها قدرة على الصمود .

وهذه الظروف قد لا تتوفر بعينها في بلد آخر ، اذن أن نأتي ونعتقد بأن الثورة يمكن أن تقلد ، فاننا قد أخطأنا تحديد معنى الثورة . الثورة هي أساسا مقابل التقليد . ومعناها أن نتجاوز ضغط الواقع ومحوريته وعبوديته الى جاذبية الحق وعبادة الله ، وبالتالي الى التمحور حول برامج الله . فأصل الثورة هو تغيير المحور ، والاسلام يهدف الى هذا . ولو أتبعت برامج الله في تربية الانسان وتحديد وجهته ، وجعل عبادته خالصة لله ، لكان كما قلنا ثورة أبدية لا تنتهي .

فلما ركز الواقع على أصل ثابت ، جاء الثائر الاسلامي ، وغيّره باتجاه واقع جديد يصنعه الحق .

ونؤكد في آخر بحثنا على ضرورة العودة الى فهم الاسلام من جديد ، لنكتشف بأنه ثورة • واذا كانت المذاهب والأفكار الأخرى تدعو الى الثورة ، فان الاسلام ذاته ثورة • ولا يمكن أن يكون الانسان مسلما الا اذا كان في نفس الوقت ثائرا بحق •

● كيف يصحح الاسلام..موقف الانسان من الدنيا

في سياق حديثنا عن المجتمع الاسلامي الرسالي الذي يتبع رؤى الاسلام ومناهجه ، يطرح السؤال :

ما هي علاقة هذا المجتمع بما في الدنيا من زينة ، بالمال ، والاعمار ، والتقدم والحضارة ؟

لابد أن نقول أن هناك عدة أبعاد لزينة الحياة الدنيا :

البعد الأول :

هو أن الاسلام يسعى من أجل تزكية النفس البشرية وتطهيرها ، واعطائها دفعات من الارادة التي تتغلب بها على جاذبية المادة . ومن أجل أن يحقق هذا الهدف الرفيع فهو يوصي ويؤكد على ضرورة التسامي على الدنيا وزينتها ، لأن جاذبيتها وضغطها ومن ثم قدرتها على تذويب ارادة الانسان وتمييعها كبيرة جدا . لقد خلق الانسان هكذا .. ترابيا . وللتراب سلطانه على أبنائه . فحينما يجوع البطن ويعطش الكبد ، وتثور الشهوة ، ويتألم الجسد ، وتسيطر الرغبة في التفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد ، آنئذ ترى أن ارادة الانسان ضعيفة أمام هذه المؤثرات . فلذلك كان البشر بحاجة الى من يعطيهم قدرة للتغلب على جاذبية هذه الأمور . ولم يكونوا بحاجة الى من يأمرهم بالاهتمام في متاع الدنيا ، لأنهم اذا تركوا على طبيعتهم فسوف

يفعلون ذلك غريزيا .

ومن هنا لا تدل الوصايا الاسلامية على أن موقف الاسلام من أمور الدنيا موقف سلبي ، كما قد يتبادر الى الذهن حينما نقرأ الآيات التالية :

* واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة *
(٢٨/الانفال)

* انا جعلنا ما على الأرض زينة لها *
(٧ / الكهف)

* المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا *
(٤٦/الكهف)

* زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا *
(١٤/ال عمران)

* ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون *
(٩ / الحشر)

ان هذه الوصايا والمواعظ القرآنية ، والتعاليم الاسلامية الأخرى التي صدرت على لسان النبي (ص) والائمة المعصومين (ع) لا تدل أبدا على أن المال و البنين وسائر أقسام زينة الحياة الدنيا مرفوضة ومكروهة عند الاسلام ، وانما تدل على أن الاسلام يريد أن يوجد التوازن في نفسية الانسان حتى لا ينكب على متاع الدنيا انكبابا أعمى .

ويؤيد هذه الحقيقة جملة من الآيات الكريمة

والاحاديث الشريفة وهنا نذكر قسما منها :

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة ﴾

(٣٢/الاعراف)

وتقول آية أخرى في صفة المتقين :

﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾

(٦٧/الفرقان)

ويقول الحديث الشريف :

((ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، وليس منا من ترك آخرته لدنياه)) .

ويقول حديث آخر :

((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)) .

ويقول الامام علي (ع) :

((ايها الناس أوصيكم بالآخرة ، أما الدنيا فأنتم مستوصون بها)) .

أي أنني لا أوصيكم بالدنيا ، لأن الدنيا ذات جاذبية ، وهناك من أوصاكم بها ، انما الآخرة هي التي تحتاج الى الوصية .

البعد الثاني :

هو أن مصلحة الانسان الذي يواجه الحياة الدنيا وزينتها هو الذي يحدد موقف الاسلام منها . فالاسلام لا يريد أن ينفي الدنيا وزهرتها ، وانما يسعى من أجل

أن ينفي الجانب السلبي منها وهو الذي يؤثر في النفس تأثيرا ضارا . ان زهرة الدنيا بذاتها هي حسنة ومطلوبة ، والقرآن الحكيم يؤكد عليها بقوله على لسان المؤمنين :

﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾

(٢٠١/البقرة)

الا أن موقف الاستسلام المطلق ، والذوبان التام في بوتقة الشهوات هو المرفوض في الاسلام . وحينما يقول الاسلام :

((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) .

فبالضبط يعني هذه الحقيقة ، بدليل أنه لم يقل شهوات الدنيا رأس كل خطيئة ، لأن لكل انسان شهوات وانما يقول حب الدنيا ، والحب هو الاستسلام للشيء وجعله هو الغاية . أما أن تأخذ الأشياء لنفسك فليس هذا حبا وانما هو نوع من التملك . وحينما يقول الاسلام على لسان الامان علي (ع) :

((ليس الزهد ألا تملك شيئا ، وانما الزهد ألا يملكك شيء)) .

فهو يحدد معنى الأحاديث والآيات الأخرى ، حيث أن النصوص الاسلامية يفسر بعضها بعضا .

ان الموقف الاستسلامي تجاه زينة الدنيا ومتاعها ، هو موقف التبعية والخضوع ، وفقدان العقل والرؤية امام حوادث الدنيا ومتغيراتها هو الموقف السلبي الذي يحاول الاسلام نفيه . فالزهرة موجودة ، والزينة حسنة والمؤمنون أحق بها ، وحسب ما جاء في حديث شريف :

((ان الله سبحانه وتعالى أكرم من أن يحاسب المؤمن على نعمة أعطاها له فاستفاد منها)) .

فالله لايحاسبك لماذا تأكل أو تشرب أو تنام ، ولا يحاسبك أن تبني بيتا أو تقيم حضارة وتعمر الارض . وانما يحاسبك على أنه أعطاك الدنيا لتسخيرها فأصبحت أنت مسخرا لها .. وحينما تتسخر للحياة الدنيا وتستسلم لزينتها وجاذبيتها فانك لا تحصل على الدنيا ولا تكتسب الآخرة .

فحتى عمارة الأرض ، وزينة الدنيا وزهرتها لا تحصل عن طريق الاستسلام المطلق لها . وانما يستسيغ الشراب ويمرأ الطعام ذلك الذي يشرب حين يشتهي بقدر ما يشتهي وينتفع ، وهكذا يأكل . أما الذي يأكل كالأنعام ويشرب كالبهائم ، فان الشراب والطعام لا يهنئان له . واذا أهنئاه الآن فلن يأمن من الآثار السيئة مستقبلا . فلرب أكلة منعت أكلات ، ولرب شربة سببت أمراضا وآفات .

الاسلام يريدك أن تسخر الحياة وتتمتع بها وتستفيد منها ولكن بشرط أن تكون أنت المهيمن عليها ، اذن موقف الاسلام من الدنيا هو الموقف الذي يحقق للانسان المسلم أفضل النتائج في العاجل والآجل .

فالاسلام ينهى عن الاسراف ، لأن الاسراف لا يضر بالدنيا وانما يضر بالانسان أيضا . يقول الله عز وجل :

﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾

(٣١/الاعراف)

والاسلام ينهى عن التبذير بقوله :

﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾
(٢٧/ الاسراء)

الكفور هو مقابل الشكور ، والتبذير في الدنيا كفر بنعم الله أي استفادة خاطئة وانتفاع شاذ من الدنيا .

والاسلام يأمر بالاصلاح في الأرض ، وينهى عن الافساد،
﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين ﴾
(٥٦/الاعراف)

ويقول سبحانه وتعالى عن المنافقين :

﴿ واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾
(٢٠٥/البقرة)

ويقول عن المؤمنين أن بعضهم يصلح الآخر :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (٧١/التوبة)

فعلاقتهم بالحياة هي علاقة الاصلاح . وهذه الصفة يقررها الاسلام ويؤكد عليها لأن الاستفادة من الحياة تعتمد عليها وهذا هو الموقف الصحيح .

فحينما يأمر الاسلام بالزهد ، فليس معنى ذلك أنه يتخذ موقفا سلبيا مطلقا من الحياة ولا يعني انه يمنع التفاعل معها والاستفادة من متاعها ، فلقد كان الامام علي (ع) أزهد أهل زمانه ، حتى قال عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام :

((من أراد أن ينظر الى عيسى في زهده فلينظر الى علي بن أبي طالب)) .

ولكن أموال علي (ع) وثرواته كانت كثيرة وضياعه وحقوله عديدة و كان يتعب نفسه ويجتهد في زراعة الأرض واستصلاحها وحسب ما جاء في بعض الأحاديث أنه كان يصل ايراده اليومي الى سبعين ألف دينار من ضياعة وممتلكاته ، الا أنه بعد أن يحصل على هذه الأموال الطائلة كان يوزعها على الفقراء والمحتاجين وينفقها لخير المجتمع واصلاحه ، ولا يستبقي لنفسه الا الكفاف . وهذا هو المنهج الصحيح لعمارة الأرض .

البعد الثالث :

هو أن الاسلام يعتبر التنافس البناء من أجل زينة الحياة الدنيا ، عاملا أساسيا في عمارة الأرض . فلولا التنافس على بناء البيوت وانشاء المصانع وتطوير التجارة لم تنشأ مدنية أو حضارة ، ولو اكتفى كل انسان برغيف خبز يأكله ، وقطعة ثوب يلبسها ، ورقعة أرض يسكنها فهل كانت تبنى هذه القصور والعمارات ، وتلك المصانع والمؤسسات ؟ ولو لم يكن التنافس في تحدي مجتمع لمجتمع آخر ، لم تتسابق المجتمعات نحو الابداع والابتكارات والصناعات ، ولو لم يكن التنافس بين أبناء المجتمع لم يرهق الناس أنفسهم في المزيد من العمل ولركنوا الى القعود والكسل ، ولكن التنافس هو الذي يدفعهم الى مواصلة الليل بالنهار ، والكدح في سبيل الحصول على المال والثروة والتكاثر فيها .

وقوانين الاسلام في الملكية الفردية ، تدفع الناس الى التنافس البناء لعمارة الأرض واصلاحها ، لأن غريزة التملك عند الانسان من أقوى الغرائز التي تدفع الى العمل

والابداع .

ولقد حاولت النظرية الشيوعية التي لم تطبق حتى الآن في العالم بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلت في هذا الشأن - أن تجرب الغاء نزعة الملكية الفردية في بعض التجمع التي تسمى بالسوفيت في الاتحاد السوفياتي وبالكولخور في الصين ، فكانت النتيجة أن انعدم الحماس للعمل عند أفراد هذه المراكز . ولكنهم بعد أن أعادوا جزئيا فكرة التملك عن طريق منح امتيازات مادية ومعنوية لمن يعمل أكثر ، وجدوا أن النشاط قد دب في هؤلاء ، وبدأوا يعملون .

اذن الملكية الفردية بحدودها المشروعة يؤمن بها الاسلام ، ويؤكد عليها . بل أن ملكية الانسان لأمواله تمتد الى ما بعد وفاته وذلك عن طريق الارث والوصايا . لأن الانسان اذا عرف بأنه سوف يفعل في أمواله ما يشاء في حياته وبعد مماته ، فانه يشعر بالاطمئنان تجاه هذا الجهد المركز الذي نسميه بالمال . وعند ما يقول الاسلام بأن حرمة أموال الآخرين كحرمة أنفسهم ، فانه يشدد بذلك على احترام الملكية الفردية ، لأن ذلك في الواقع هو احترام الانسان نفسه ، فالمال انما هو جهد مدّخر ، وحينما لا تحترم جهد أحد فكأنك لا تحترمه شخصيا . ومن هنا يأتي موقف الاسلام الحاسم تجاه المال .

● الانسان بين الشهوات والقيم

للانسان قوتان تتجاذبانه .. قوة الطبيعة وقوة القيم ، وقد تقوده احدى القوتين بصورة مطلقة أو تشتركان في قيادته عبر ظروف مختلفة وفي حالات متباينة وفي المجتمع قد تكون القوة الغالبة والحاكمة تتجسد في الطبيعة أو في القيم ، وذلك عبر المجموعة التي غلبت طبيعتها قيمها أو غلبت قيمها طبيعتها ، فتكون الصفة العامة لهذا المجتمع اما صبغة الطبيعة واما صبغة القيم فان كانت الأولى هي السائدة وصبغتها هي الظاهرة فذلك هو مجتمع الطاغوت ، وان كانت الثانية هي السائدة فذلك هو مجتمع الرسالة والايمان .

وكما أن الانسان الفرد قد يخضع للمال باعتباره مجسدا لقوة الطبيعة في ذاته ، ومحققا للأهداف المادية ، كذلك المجتمع قد يقوده المال وأصحابه باعتبارهم مجسدين لتلك القوة الطبيعية .

وقد طرحت البشرية منذ أن كانت هذه المشكلة مسألة كيفية التخلص من جاذبية المال بالنسبة للأفراد والتخلص من قوة المال كقوة طاغية وحاكمة على المجتمع كله .

صور متعددة ، وجوهر واحد .

في يوم ما كان الاقطاع مشكلة الانسان الأولى ، حيث كان ملاّك الأرض يستغلون الناس بقوة المال ويفرضون عليهم سلطتهم المستمدة من ثروتهم ، وبالتالي تقود المجتمع

الطبيعة المتجسدة في الثروة . وبعد أن ثار الثائرون وأسقطوا صنم الاقطاع ليعبد الله لم يلبثوا أن اختاروا لأنفسهم صنما آخر سموه بصنم الرأسمالية وكان ذلك الصنم معبرا عن غلبة وتفوق قوة الطبيعة في ذاتهم على قوة القيم . وثارت الثائرة مرة أخرى ، فدارت المعارك وأزهقت الأنفس واريقت الدماء حتى أسقطوا صنم الرأسمالية الخبيث ، وزعموا بأنهم قد ارتاحوا نهائيا من المشكلة الحادة في حياة البشرية ، وهي مشكلة تسلط اصحاب الثروة والمال على رقاب البائسين والفقراء . وبعد أن انجلت الغبرة واستكنّت النفوس وظهرت الحقيقة ، فاذا بصنم آخر يعبد من دون الله وهو صنم الدولة المستبدة والمستغلة للمال .

وسواء كانت الثروة بيد الاقطاع متجسدة في امتلاك الأرض ومن عليها ، أو كانت بيد التجار ، أو بيد السلطة فانها هي الثروة ، وهي الصنم ، وبالتالي فهي الحاكمة ، فالصور تتبدل ، والاشكال تتغير والجوهر هو الجوهر .

المشكلة في ذات الانسان .

لكن المشكلة هي في خضوع الانسان للثروة ، وغلبة الطبيعة على القيم في ذاته . وحينما تذوب القيم في بوتقة الثروة فلا جدوى من السؤال عمن يملك هذه الثروة ويتسلط على الناس باسمها ، فقد تملك الثروة هرة ، وقد يملكها صنم من حجر وهو يحكم الناس ولكن المهم هو تجاوز الناس لسطان القيم واستسلامهم لسطان الطبيعة والثروة .

الحل الاسلامي لهذه المشكلة .

ألف : على مستوى الفرد .

الحل في الاسلام يبدأ من العمق من داخل ذات الانسان فهو يجعل سلطة القيم هي الحاكمة على الطبيعة في ذات

الانسان . فاذا كانت نظرتك الى المال نظرة استعلاء وتسامي ، والى زينة الحياة الدنيا نظرة تملك وتسخير ، والى الطبيعة نظرة اصلاح واعمار ، فانك تنتصر على مشكلة الثروة في ذاتك .

لذلك نجد القرآن الحكيم يركز على هذا الموضوع في عدة آيات .

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾
(٤٦/الكهف)

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾
(١٤/آل عمران)

هذه الآيات والتعاليم الاسلامية الأخرى تدفع الانسان الى أن ينتمي الى مجتمع القيم ، المجتمع الذي يقوده خير الناس علما وتقوى وكفاءة ، وليس أثقلهم جيبا وأوفرهم قوة وجاها .

باء : على صعيد المجتمع .

يشدد الاسلام على عدم تركيز السلطة بيد الأغنياء ، بل يجعلهم تابعين وخاضعين للعلماء والنصوص الاسلامية تؤكد على أن احترام الغني لغناه جريمة وخطيئة كبيرة .

((من احترم غنيا لغناه أكبّه الله على منخريه في النار)) .

كما تؤكد الآيات القرانية على أن الأغنياء غير الأتقياء هم من شرار الناس كمثال على ذلك قصة الجنتين

وصاحبهما الذي دخلهما وهو ظالم لنفسه :

﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة * - ثم كانت عاقبته - فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربي احدا ﴾
الكهف - ٤٢ -٣٦/٣٥

وقصة قارون الذي أوتي من الكنوز :

﴿ وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾
(٧٦/القصص)

ثم كانت عاقبته :

﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾
(٨١/القصص)
وكذلك يحمل الاسلام حملة عنيفة على الأغنياء الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله :

﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾

(١٨٠/ال عمران)

كل هذه النصوص والتعاليم تريد أن تفصل المال عن السلطة داخل المجتمع حتى لا يعبد الأغنياء من دون الله ، ولكي لا يتخذ الغنى صنما باسم الأقطاع يوما ، وباسم الرأسمالية يوما آخر وباسم الحزب الحاكم . المهم هو فصل هذا التجمع القائم على المال والثروة عن السلطة الاجتماعية والسياسية ، ولكن كيف يتم تحقيق هذا الهدف ؟

الضمانات التي يقررها الاسلام لفصل السلطة عن الثروة .

اولا : التوزيع العادل للثروة .

وذلك عن طريق فرض الضرائب التصاعدية ، وغير التصاعدية ، كضريبة الخمس والزكاة ، والحق المعلوم لو كان غيرهما ، وتقسيم الأموال بالارث ، وكذلك بعض الكفارات والديات المالية ، هذه الاحكام الشرعية لا تدع المال يصبح دولة بين الأغنياء يبداولونه كما تحلو لهم شهواتهم ، ولا يدعون الآخرين يستفيدون منه .

ثم ان الاسلام يؤكد على ضرورة تقسيم المال لو سبب ضررا على المجتمع الاسلامي ، ولو كان بغير الطرق السالفة الذكر حيث يقول :

((لا ضرر ولا ضرار)) .

((الأرض لله ولمن أحياها)) .

ثانيا : القضاء على احتكار الأرض .

ان الاسلام بمعالجته لمشكلة الأرض ذلك المورد الرئيسي الهام للانسان ، وعدم جعلها حكرا على مجموعة خاصة ، تستغل الناس يوما باسم الاقطاع ، وآخر باسم الشركات الزراعية ، بذلك يقضي على الاقطاعية القديمة والجديدة هذا الاقطاع البشع الذي يضيق الخناق على الناس ويعيق مسيرة التقدم في الحياة .

ثالثا : محاربة احتكار المواد الأولية الضرورية .

ان بعض المواد الضرورية وبسبب حاجة الناس الماسة اليها تكون مشتركة المنافع فيما بينهم ، وهذا يدل على أن كل مادة أصبحت ذات حاجة اجتماعية شاملة ، فالناس شركاء فيها ، كالنفط مثلا . ويقول الاسلام في ذلك /

((الناس شركاء في ثلاثة الماء ، والكلاء، والنار))

رابعا : تأميم التجارة الخارجية ٠

ان التجارة الخارجية في الدولة الاسلامية في ما يختص بالمواد الضرورية ، كالتي تعتبر أساسا لسائر الصناعات مثل الحديد والبترول وما أشبه ، أو المواد الغذائية الرئيسية كالقمح والأرز واللحم والسكر وغيرها والتي يحتاج اليها الناس في حياتهم اليومية ، وأدنى ما يحتاجونه من الملابس ، ووسائل النقل ، ووسائل البناء يجب ألا تصبح أداة للاستغلال من قبل التجار ٠

ومن هنا يجب مراقبة التجار والزامهم بمراعاة الحدود المشروعة في اعمالهم ونشاطاتهم ٠٠ واذا رأى المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية أن هؤلاء يحتكرون هذه المواد ويستغلون الناس بها ويفرضون وصايتهم على الناس عن طريقها ، ولا يوفرونها بصورة تكون سببا لرفاه الناس فمن الواجب على الدولة أن تؤمم التجارة الخارجية كما بدأت تفعل ذلك الحكومة الاسلامية في ايران ٠

خامسا : فصل العلم عن الثروة ٠

وهو من الضمانات الاسلامية الهامة في هذا المجال ، اذ أن الثروة لا تستطيع أن تستغل الناس الآ تحت غطاء العلم ، وعن طريق العلماء ٠ فالعلماء الراكعون على أبواب الأغنياء والتجار ، والذين يبيعون علمهم بثمن بخس للمستكبرين كانوا دائما أداة طيّعة بيد اصحاب الثروة ، لكي يحولوا ثروتهم الى سلطة يفسدون بها في الأرض ٠

سادسا : رفع مستوى الناس علميا واقتصاديا ٠

من الناحية التاريخية ثبت أن المجتمعات التي

تحكمها الديكتاتورية ، ويتسلط عليها الاستبداد ، هي المجتمعات الأقل وعيا والأكثر فقرا . أي أنه اذا ارتفع مستوى الجماهير الى حد معين من الوعي والرفاه الاقتصادي فان قدرة أصحاب المال والثروة على التسلط والاستغلال تتلاشى . وفي هذا المجال أود أن أفصل الحديث قليلا ،،

المجتمع الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب يكون مادة دسمة للمستغلين لذلك فالأمية خطر حرية الانسان ، والاسلام يسعى الى محو الامية ويعتبره واجبا شرعيا ويؤكد الحديث المعروف :

((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) .

والاسلام يفرض على المسلم أن يقسم أوقاته أربعة أقسام ، يجعل قسما منها لطلب العلم . ولقد كان أحد شروط النبي (ص) لاطلاق أسرى حرب بدر أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

ان الاسلام يجعل طلب العلم فوق كل الواجبات ويشترط أن يقترن ذلك بالوعي ، فلا يجتهد الناس في طلب علوم بعيدة عن واقعهم ، بل ينبغي أن يكون العلم فيما يخص الانسان مباشرة ، ويعالج مشاكله ويلبي احتياجاته ، التي يتعرض لها في زمانه وأهل زمانه ، وطبيعة القوى والتيارات الحاكمة في الحياة ، أي أن يكون علما سياسيا بالمعنى الاسلامي الشامل للسياسة . وهذه من صفات المؤمنين .

((عارفا بأهل زمانه)) .

((من عرف زمانه لا تهجم عليه النوائب)) .

وكذلك بالنسبة الى الاقتصاد . حينما نقول المجتمع الذي يملك أبناؤه مستوى معينا من الثروة والغنى فانهم يرفضون الديكتاتورية ، ليس المقصود بذلك ايراد الفرد كبيرا . فلو كان راتبه الشهري ألف دينار ، ومصروفه

ألفا وخمسين لكان فقيرا ، والفقير في الاسلام هو الذي يكون انفاقه أكثر من مدخوله ، والمؤمن يجب أن يبتعد عن الفقر الذي هو سواد الوجه في الدارين • ولا يعني ذلك أن يحصل على المزيد من المال بل المقصود أن يقتصد في مصروفه وألا يجعل ميزانيته دائما خاسرة وعلى المؤمن أن يدخر ، فنعم العون على الدين والدنيا الغنى •

والغنى أن تكون يدك مبسوطة يوم الحاجة ، وهو ذلك اليوم الذي يحاول فيه الغني أن يستغلك • فحينما تقرر سلطة الأغنياء أن تتحكم في مصيرك ، وتكون قادرا على المقاومة بأن تضرب عن العمل مثلا وعندما يقطعون راتبك فأنت تمتلك مدخر تعيش عليه ، وتصمد الى ان ترغمهم أن يعطوك حقوقك ، وبالتالي ترغم السلطة السياسية الحاكمة في البلد على الرضوخ للحق •

لذلك فان الديكتاتورية مقرونة بقلة الوعي والمال عند الجماهير • وكلما توزعت الثروة وانتشر الوعي كلما ضعفت سلطة الديكتاتورية •

سابعا : اعتبار الخضوع لغير سلطان الله شركا •

هنا تأتي الضمانة الدينية وهي الأهم ، حيث أن الاسلام يحرم على المسلم الخضوع لسلطان غير سلطان الله ، ولحاكم غير من أمر الله به ، ويعتبر ذلك شركا • والشرك عند الله ظلم عظيم غير قابل للغفران • والقرآن من بدايته الى نهايته حديث عن الشرك والمشركين ، وعن ضرورة مقاومة الشركاء من دون الله ، والتمرد على الآلهة التي تعبد من دون الله • والآلهة هؤلاء هم أصحاب الثروة الذين يتسلطون على الناس ويستغلونهم •

هدف الاسلام ٠

اذن فهدف الاسلام في الحياة الاجتماعية هو أن يجعل المال خاضعا وليس حاكما ، وأن يجعل الانسان مسخرا للحياة لا تابعا لما فيها من متاع زائل ٠ وهذا الهدف العام يحققه الاسلام عبر مجموعة ضخمة من التعليمات التربوية ، والأحكام الاجتماعية ، والوصايا والاخلاق ، وحتى من التوجيهات الأيديولوجية ٠

واذا استطاع مجتمع أن يفلت من قيد المال ويجعله مملوكا ، فانه ليس فقط تنطلق مواهبه وتتفجر امكاناته ويتحرر من الجمود ، وانما تنمو ثروته أيضا ، ويستطيع أن يفلت والى الأبد من قيد الفقر ، فالمال حيث يعبد من دون الله يصبح فقرا ٠ والمجتمع الذي يحكمه المال هو المجتمع الفقير ٠



الانسان بين الطموح والواقع

اذا سيطرت المادية على الحياة السياسية للأمة ، وتسلط أصحاب الثروة بالتعاون مع المستغلين بالتواطوء مع أولئك الذين يبيعون علمهم وثقافتهم لكل مشتري فماذا يجب على سائر أبناء الأمة آنئذ أن يفعلوا ؟

لاريب أن الواجب عليهم هو التمرد والثورة والنهوض لمقاومة السلطة الفاسدة .

ولكن كيف ؟

وما هي الشروط الذاتية والخارجية للثورة ؟

ومتى تبدأ وكيف تتوسع وبأية عوامل تنتصر ؟

الثورة تبدأ بمجموعة من الناس مخالفة للنظام القائم . وكلما كانت هناك مسافة بين طموحاتهم وبين ما يجدونه في واقعهم ، آنئذ تتحرك ارادتهم لتغير ذلك الواقع . وكلما كانت المسافة بين الطموحات وبين الواقع أبعد ، كلما كانت الارادة وكان النشاط أكبر . وهذه هي نطفة الثورة التي تنعقد في ضمير المجتمع .

الشروط الذاتية للثورة .

اولا : العقل المدبر .

الثورة بحاجة الى عقل مدبر يستوعب متغيرات الحياة ويعرف روح القيم ، ويهتدي الى الأهداف بدقة ، ويصنع الاستراتيجيات بوضوح ، ويتميز بقدرة الابداع .

والقدرة على الابداع تعني ألا تكون ثقافة الانسان وأفكاره وعلومه ، وبالتالي أنشطته محكومة بالواقع الفاسد القائم ، بل تكون متحررة من الضغوط التي يوجدها ذلك الواقع الفاسد .

وهذه قضية أساسية في الثورة ، لأن الانسان الذي لايزال فكره وعقله عبدا لواقعياته فكيف ينسى له أن يثور عليها ؟

ان اول ما يتحرر من الانسان هو عقله وذلك بأن يفهم أن هذا الواقع غير صحيح وبالتالي يبدأ في التفكير من أجل التغيير .

اذن فالقدرة على الابداع والابتكار وخلق الأفكار شرط أولي وضروري لأية ثورة. حيث ان قانون الثورة الداخلي فهو أن قوة الثورة ونجاحها يتناسب طرديا مع قدرة الابداع . فالثورة التي تتميز بقدرة قليلة على الابداع تكون ضعيفة لأن جذرها ضعيف ، بعكس تلك الثورة التي تملك قدرة متكاملة في الابداع . والفرق يظهر في عدة أمور .

الأمر الأول :

ان الثورات التي تفهم بعمق من أين بدأ الوقع الفاسد ولماذا وكيف جرى حتى وصل الى هذا الوضع - تكون أقوى من الثورات التي ترى ظاهر الأمور ، فثورات الانبياء (ع) كانت قوية وجذرية لأنهم كانوا يضعون أيديهم على جذر المشكلة ، وبالتالي يكتشفون ان سبب الفساد هو عبادة الآلهة من دون الله . وكذلك الرساليون عبر التاريخ ، الذين استوحوا أفكارهم وقيمهم من رسالات السماء ومن سير الأنبياء كانوا بدورهم ثوريين بالمعنى الصحيح للكلمة ، لأنهم لم يكتفوا بازالة الفساد القائم

ليأتي فساد آخر مكانه ، وتتبدل الصور والأشكال والجوهر واحد . بل نسفوا قاعدة الفساد التي هي الانحراف عن منهج الله في الحياة .

الأمر الثاني :

ان الثورة التي تفهم أهدافها بوضوح وأن عليها أن تغير الواقع الفاسد من الجذور تستطيع أن تصنع الاستراتيجية الواضحة ، لأن وضوح الأهداف يعادل وضوح الاستراتيجية التي هي عبارة عن الطرق الواسعة المؤدية الى تلك الأهداف .

الأمر الثالث :

مثل هذه الثورة تتمكن أن تبتكر التكتيك السليم الناجح ، لأن الأسلوب المناسب يتبع الاستراتيجية الواضحة ، وكلما كانت رؤية الثائر الى استراتيجيته أوضح كلما كان تكتيكه أفضل .

الأمر الرابع :

معرفة المتغيرات . فالحوادث الواقعة التي تتغير في الظروف المختلفة قد تكون باتجاه أهداف الثورة وقد تكون مخالفة لها . ولكن كثيرا من الثورات في التاريخ فشل أصحابها في فهم بعض المتغيرات التي واجهتهم فاتخذوا مواقف متناقضة وخاطئة وكانوا سلبيين امام حادثة وقعت لصالح أهدافهم ، بينما كانوا ايجابيين بالنسبة الى حادثة أخرى ضد أهدافهم . وهذا قمة الغباء وسبب الانكسار والهزيمة .

ولقد رأينا في الفترة الأخيرة في ايران مجموعة من المتدينين المصلين الصائمين ينضمون الى منظمة الفرقان الارهابية ، ويقتلون قادة الثورة ومفكريها .

انهم مجموعة من الشباب الذين قرأوا القرآن ونهج البلاغة ودرسوا التاريخ وتشبعوا بروح الثورة ، ولكن هذه الروح انفجرت باتجاه مضاد لأهدافهم ، وهذا يعني عدم وضوح الرؤية والقصور في فهم المتغيرات وتقييم المواقف .

ان أكثر المؤرخين يؤكدون على أن انتصار الثورات في التاريخ يعتمد على قوة ذاتية فيها وهي القدرة على الابداع ، وكلما رأيت أن ثورة فقدت عقلها المدبر وديناميكيتها الفكرية ، وافتقرت الى وضوح الرؤية ، وتجردت من معادلة الثورة وهي تبلور التطلعات ومعرفة الاستراتيجية والتكتيك ، وفهم المتغيرات ، فاعلم أن هذه الثورة تتحرك حتما في طريق النهاية .

ثانيا : ارادة التحدي وتجسيد الفكرة .

وتأتي ارادة التحدي من فاعلية الفكرة التي تحملها الثورة . وكلما كانت هذه الفكرة تؤكد على السعي والعمل من جهة ، وتسفه التبريرات التي تقف حاجزا دون العمل من جهة أخرى ، كلما كانت هذه الفكرة أكثر فاعلية وقدرة على تحريك الأنشطة ، وأكثر قابلية للتجسد في الواقع الخارجي عبر أشخاص . فالفكرة التي لا تتحول الى جماعة ولا تتمثل في أناس ، فانها تنتهي ولا تجد لها مجالا الا عبر الكتب والمحاضرات وبالتالي فانها وحدها لا تصنع ثورة . انما يصيغ الثورة رجال ذو ارادة وتضحية وذو فاعلية وسعي دؤوب ، وهؤلاء تصنعهم الفكرة .

فالفكرة التي صنعت محمدا (ص) هي الفكرة الصحيحة لا لأننا عرفنا صحتها عبر أدمغتنا وفطرتنا وواقعيات حياتنا فحسب ، وانما حينما رأيناها متجسدة في شخصية الرسول (ص) عرفنا صحتها وصوابيتها ، وكذلك حينما

رأينا عليا (ع) واتباعه وشيعته - تمثلت أمامنا أفكارهم بصورة حية . لذلك يسمّى القادة بالحجج لأن حياتهم حجة على أفكارهم .

ان الصراع التاريخي في الحياة يمكن أن يلخص بكلمتين .. التحدي واستجابة التحدي ، أي أن الصراع يكون بين فكرتين ، فكرة حية تصنع الرجال ، وفكرة ميتة نسبيا لا تصنع مثل هؤلاء الرجال . فكما أن المقاتل لا يصنع في ساحة المعركة وانما في قواعد التدريب ، كذلك الثائر لا يصنع في صراع التحدي ، وانما عندما يشبع بالفكر الحي .

ثالثا : وحدة البناء .

كلما كانت الفكرة كاملة ، وتجسيد الفكر كاملا ، كلما كانت العلاقات بين أبناء الثورة حميمة ، والوحدة العملية في الساحة متينة . ولا نعني بالوحدة مجرد تعليق شعارات لذلك الحزب أو تلك المنظمة ، ولا ترداد كلمات معينة عبر وسائط الاعلام ، كما لا نعني بالوحدة مجرد القبول بقائد معين قبولا قوليا ساذجا ، وانما نعني بها وحدة كل ذرة من عمل الثائرين ، وكل سعرة حرارية من وجودهم ، وكل خطوة في حياتهم ، مع ذرات وسعرات الآخرين من أبناء قضيتهم ، وهذه هي وحدة البناء داخل جسم الثورة .

رابعا : القدرة على الجذب .

الثورة التي لا تستطيع أن تنتشر عبر قطاعات واسعة تبقى محدودة فتضمحل سريعا ، ومن ثم تموت ، ذلك لأن نظرتها الى الانسان نظرة ضيقة ومحدّدة باللون أو العنصر أو القومية أو الأرض وغير ذلك من الحدود التي يصطنعها الفكر الضيق .

وكلما كانت الثورة أشمل نظرا الى الانسان وأقدر على جذب القابليات والطاقات البشرية ومن ثم تعبئتها كلما كانت أقرب الى الانتصار وأكثر قدرة على الاستمرار .

هذه هي الشروط الذاتية الأربع التي تصنع ديناميكية الثورة في المجموعة الرائدة التي تتمحور حول الفكرة الثورية المتفاعلة القادرة على فهم الحياة واستيعاب متغيراتها .

الشروط الخارجية للثورة .

هذه الشروط بعضها مرتبط بارادة الثوار والبعض الأخر مرتبط بتكييف الثوريين أنفسهم مع الواقعيات .

الشرط الأول : العناية بالوسائل المادية .

يجب على الثورة ألا تكتفي بصنع الوسائل المعنوية فقط ، بل عليها أن تصنع الوسائل المادية لأجل تحقيق انتصارها .

في بداية هذا القرن حدثت ثورات رسالية ووطنية عديدة في العالم الاسلامي . ولكنها انتهت الى الفشل برغم أنها كانت سخية بما بذلت من دماء ، وبما صنعت من ملاحم . ذلك لأن هذه الثورات لم تستطع أن تصنع الوسائل المادية لتدافع بها عن فكرها وعن قيمها وأهدافها فهي حاربت بأسلحتها البدائية القديمة في مقابل الاسلحة الحديثة الاتوماتيكية ، وهذا خلاف سنة الله التي تقضي الى جانب التسلح بالعقيدة والقيم المعنوية ، التسلح أيضا بالسلاح الحربي المناسب للعصر ، والمواكب للتقدم التكنولوجي في المجال العسكري .

وعلى وجه الاجمال يجب على الثورة أن تهتم بالنقاط التالية :

(١) الاهتمام بالعلم التطبيقي و الصناعات المختلفة .

(٢) متابعة الوسائل الجديدة التي يصنعها الأعداء .

(٣) التجسس وجمع المعلومات الدقيقة عن العدو والتحقيق في أمره .

(٤) الاهتمام بالسرية الكافية في التخطيط والتحرك .

(٥) معرفة نقاط الضعف عند العدو لتسدد اليه من خلالها ضربات ناجحة .

(٦) تطوير الاقتصاد وتوفير الأموال اللازمة لتمكين الثورة من الصمود والاستمرار .

(٧) دراسة المغيرات السياسية بعمق لتستفيد منها تكتيكيا .

الشرط الثاني : معرفة الواقع بدقة .

ليست كل الظروف هي ظروف الثورة . فالأمم تشبه في عطائها : المواسم ، والشوريون هم الزراع ، فاذا جاء الثوري وأراد أن يزرع أرض الأمة بالثورة في أيام الصيف فان ثورته ستموت من الجفاف والحر الشديد . ولذا عليه أن يختار أيام الربيع لتنمو ثورته وتزدهر .

وهذه ليست من مشكلات الثورة ، وانما من مشكلات الأمة التي تحتضن الثورة . وعلى الثوريين أن يفهموا هذه المشكلة ، وألا يكونوا مغرورين بأنفسهم وبما لديهم من ارادة .

ان الحياة لا تسير بضغط واحد وبعجلة واحدة. وانما نجد فيها فجوات . ففي بعض الأوقات يكون ضغط الحياة

خفيفا ، وعجلة السرعة فيها بطيئة . آنئذ يجب أن يسددوا ضربتهم القاضية الى الأنظمة الفاسدة .

فمثلا هناك نظام ديكتاتوري متسلط على بلد يمتلك احتياطيا كبيرا من البترول ويعيش برخاء اقتصاديا ، وأوضاعه هادئة ، والشعب اجمالا راض عنه . في مثل هذه الظروف يكون تفجير الثورة والكفاح المسلح أشبه شيء بالانتحار .

والواجب يقتضي أن يربي الثوار عناصرهم ، ويعبئوا قواهم ويهيئوا وسائلهم المادية ، وينتظروا الفرصة المواتية . وحينما يفتح الشعب عيونه على مساوىء هذا النظام ، وتظهر الأزمات في البلد ، وتسوء العلاقات الدولية . آنئذ يفجرون ثورتهم ، وسيجد الشعب في هذه الثورة خلاصا له من مشاكله فيلتف حولها وتكون فرص النجاح والانتصار كبيرة .

لماذا لم يثر الامام الحسن (ع) بينما ثار الأمام الحسين (ع) ؟

لقد كان رسول الله (ص) يدرك اختلاف الظروف وأن الثورة لا تكون الا في ظرف خاص مؤات ، ولذلك فقد استبق الزمان عندما قال عنهما :

((الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا)) .

ولقد اثبت الواقع فيما بعد أن حكم معاوية مختلف عن حكم يزيد ، وأن سخط الجماهير ضد يزيد كان أكبر من سخطهم ضد معاوية ، لذلك وجد الامام الحسين (ع) الوقت مناسبا فقام بتفجير ثورته المباركة .

فالثورة يجب أن تتحلى بالصبر بقدر ما تتحلى بالشجاعة ، فالشجاعة والصبر وجهان لعملة واحدة .

هذه هي الشروط الخارجية ، وتلك هي الشروط الداخلية للثورة .

ومن هذا المنطلق يجب على المخلصين من أبناء الأمة قبل أن يثوروا أن يعرفوا هذه الشروط لكي لا تذهب دماؤهم هدرا ، وتتعرض ثورتهم للفشل .



الفهرس